كتاب

الدرة السنية

في الرد على المادية واثبات النواميس الشرعية في الادلة العقلية

تأليف حضرة العلامة الاوحد نادرة زمانه

وفريد عصره وأوانه الجامع بين المعقول

والمنقول عبد الله علاء الدين البغدادي

الدهلوي الصديقي الحنفي

نفعنا الله تعالى بعلومه

آمين

(وقد حلى هامشه بكتابين جليلين أحدهما مسالك)

العرفان في فتوح الرحمن والثاني الانصاف في رفع

الاعتساف وكلاهما من تأليف حضرة العلامة الشيخ

عبد الله علاء الدين الدهلوي المؤلف المذكور

نفع الله الانام بتأليفه وجازاه الله

تعالى عن خدمة العلوم وايضاح

خفاياها من منطوق ومفهوم

احسن جزاء آمين

« حقوق الطبع محفوظة للمؤلف »

طبع بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٣١٣

1609

COLUMBIA UNIVERSITY
THE
LIBRARIES
IN THE CITY OF NEW YORK

W. Arthur Jeffery

كتاب

الدرة السنية

في الرد على الماديه واثبات النواميس الشرعية في الادلة العقلية

تأليف حضرة العلامة الاوحد نادرة زمانه

وفريد عصره وأوانه الجامع بين المعقول

والمنقول عبدالله علاء الدين البغدادى

الدهلوي الصديقى الحنفى

نفعنا الله تعالى بعلومه

آمين

(وقد حلى هامشه بكتابين جليلين أحدهما مسالك)

العرفان في فتوح الرحمن والثاني الانصاف في رفع

الاعتساف وكلاهما من تأليف حضرة العلامة الشيخ

عبد الله علاء الدين الدهلوي المؤلف المذكور

نفع الله الانام بتأليفه وجازاه الله

تعالى عن خدمة العلوم وايضاح

خفاياها من منطوق ومفهوم

احسن جزاء آمين

« حقوق الطبع محفوظه للمؤلف »

طبع بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٣١٣

893.9991
Sa13

بسم الله الرحمن الرحيم

احمد من علم البيان واوجد نوع الانسان واعده لمراتب العرفان فمن توجه باختياره للحضرة العلية وسلك في العوالم الروحانية انجذب للتجليات الرحمانية واودع في نفس السالك الحكم الالهية وجرد الروح عن الاجسام فانكشف عن بصائره حجب الظلام وارتفعت عن قلبه ظلمات الغفلة وامتازه من بين الامة فرقاه حتى صار المنام كاليقظة وانطمست قوة الوهم والخيال وظهر سلطان العقل يرشده لاعلى مراتب الكمال واصلى واسلم على رسول جاء بالحكم وارشد الامم الناطق بالصواب الذي جاء بالحكمة وفصل الخطاب وعلى آله واصحابه العارجين معارج الكمال المتحلين بحلية الجمال اما

بسم الله الرحمن الرحيم

ان احسن ماينتظم به الكلام وخير ما يبتدأ به المرام حمد من تفرد بالبقاء وتقدس عن المثيل والاكفاء فالق الحب وبادئ النسمات الذي بيده ملكوت الارض والسموات خلق الانسان وعلمه البيان وجعله متطلعاً على خفايا العلوم ومدركا لدقائق المفهوم ومستدلا من دوران الافلاك بان الله هو مالك الاملاك ماتسقط من ورقة الا يعلمها بحكمته الباهرة ولا توجد في غامض البحر من دقيقة الا ومن قدرته القاهرة وعلم من بديع الجاذبة بان ادلة الدهرية كاذبة فسبحانه من آله كريم وخلاق عظيم فهو الواحد الاحد الوتر الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد تفرد بذاته الابديه وتعزز بصفاته الازليه والصلاة والسلام على خير الانام وسيد المرسلين الكرام محمد الناطق بالصواب المرسل بالحكمة وفصل الخطاب الداعي بلسان الرشد الى الهداية المجيب لدعوته من دعته العناية وعلى آله وأصحابه الذين أقاموا للحق حجته وانارو بانوار الادلة للدين محجته خلفاء الدين ومصابيح اليقين وكنوز العلم ورموز الحكم الذين استنارت بهم

189166

قلوب الامم ٠ ﴿اما بعد﴾ فيقول العبد الحقير عبدالله الدهلوي الصديقي المدرس في مدرسة العادلية في دار السلام بغداد انه لما شطت الافكار عن درك العلوم وعدم انتقال الذهن من اللازم الى الملزوم واختل نظام الاستدلال بالقياس حتى ضل كثير ممن يدعى المعرفة من الناس الحاح علي كثير من افاضل سيواس ان اؤلف كتاباً في الرد على الدهريه لادفع به الشبهات الماديه فاعتذرت منهم لاضطراب الحال وتشوش الخاطر والبال وقلت ان النائى عن الاحباب والغريب الذي ماله اكتساب لايمكنه ان يوضح الحقائق وان يبين في املائه لب الدقائق ثم بعد زمن قليل ازمعت من ثمة الرحيل فتوجهت مسافراً الى خربوط فلما وصلتها نزلت بساحة الخاندان الكريم صاحب الفضل العميم حضرة كوجك بك فحظيت لديه بملاقات الفاضل الهمام والاسد الضرغام مفتى زاده محمد امين فاتفق ان جرى ذات يوم بيننا الكلام في بحث ماتقدم ذكره من المرام ثم من بعد ذلك حصلت على مواجهة العلامة المفضال الذي ليس له فى زمنه مثال الشيخ عبد الحميد افندي فتجاذبنا البحث فى علم المنطق وأمرنى بالرد على كل من تزندق فاستقلته من هذا المقام الذي يبحث عن غوره الاعلام ثم لازمنى على ذلك بعض الاخوان والح علي الحاح الولهان بان انشئ رسالة تضمن المطلوب وتشفى بادلتها العناء من

بعد فلما تشرفت بالطريقة الرفاعية والحقيقة الاحمدية على يد الشيخ حسن افندي قطب العارفين ووالد شيخ الاولياء الواصلين خادم الشريعة الاحمدية وغوث الامة المحمديه الشيخ ابي الهدى افندي من هو في ظل سلطان الاسلام وخليفة سيد الانام حميد الخصال محمود الفعال محيى العلوم ومشيد مدارك المعقول والمنقول ايد الله وجوده واعلى طالع سعده وشيد اطناب دولته بايد البقاء مادامت الارض والسماء السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان عبد المجيد خان فيقول الفقير الى الله عبد الله علاء الدين البغدادي الدهلوي انه سئلنى حضرة الشيخ العارف الشيخ ابراهيم افندي الراوي في مباحث عديدة وامرنى ان اصنف كتابا في هذا الباب فاستخرت الله فاذا تشرفت بقطب العارفين

وغوث السالكين من سلالة ابي العلمين وامام الامتين الشيخ حسن افندى وامرنى ان أؤلف هذا الكتاب واوعد بفيوضات رب الارباب

المقصد الاول في الانسان فانه مركب من مرتبتين روحانية وحيوانية فالاولى هى النفس الناطقة وهى انما تكون بعد الاعتدال التام والثانية النفس الحيوانية وهى التى يعيش بها الانسان وهى حادثة بالاتفاق من الحكماء والاختلاف في القدم والحدوث انما هو بين الحكماء فى النفس الناطقة وهى التى تدرك المعاني وتدبر الامور وتتصرف في البدن الا ان ادراك المعانى والتصرف فيه انما يكون بعد الامتزاج لا قبله كذا قرر الحكماء في بحث الفرق بين النفس الناطقة والعقل فقالوا ان العقل يصدر منه افعال قبل تعلقه في البدن وبعده والنفس لا

القلوب وأورد في هذا الباب ماترضاه عقول ذوى الالباب فتعللت بان بضاعتى لاتفى وضنك عيشى عليكم غير خفى فما اقالوا بالاقالة ولا اعفوا من المقالة حتى أمرنى من أمره غنم وطاعته حكم ان أجد فى ذلك المطلوب واميط به غواشى اللغوب الاديب الكامل والاريب الفاضل الذي شمر ساعده لخدمة العلماء الافاضل خاندان الطائفة البابانيه حضرة مسعود بك فبادرت بتأليف الكتاب وقبل تمامه ركب مطية السفر اذ توجه الى اعمامه فوقع في الخاطر ان اقدمه بعد طلوع بدر تمامه وبزوغ شمس المامه الى فرع شجرة النبوة الهمام الذي عم فضله الانام من شد نسبه من غير انفصال وتسلسل تسلسل النمير الزلال بابن ذى العلمين وسيد الامتين قطب دائرة العرفان ومظهر تجليات الرحمان الغوث الكبير والقطب الخطير السيد احمد الرفاعى المجيب لكل داعى السيد احمد نقب زاده سراج الاعيان وتاج الاقران من افتخرت به البصرة الفيحاء وتأرجت بنشر مدائحه الارجاء دام علاه وابقاه لفعل الخير مولاه امين نعم انى راج بان ادرك المنى * لديه وأحظى منه ما انا آمله فالامل النظر لما فى هذا الكتاب اذ فعل الخير من طبع ذلك الجناب واملى الكبير ان اقدمه الى ملك الزمان المحيي لمدارس العرفان من نظم مسالك الامة بعد الشتات واثبت حقائق المكارم بعد البتات الذي خمدت اشعة الجهل

في زمانه وطار في جميع الكون احسانه الملك الذي شكرت صنائعه البرايا وتسامت بعدله على هام الثريا كافل الملة الغراء وحامي محجتها الشهباء انسان عين وجود العالم وانوار مشاهد المعالم السلطان {عبد الحميد خان الغازي} ابن السلطان عبد المجيد خان الغازي ايد الله دولته في الزمان ونصره ما تعاقب الملوان امين شعر لسان الحال

امير المؤمنين اخو المعالي * حليف الجود محمود الخصال
مليك لا يماثله مليك * ومولى لا تحاكيه الموالي
تسامى قدره من ان يسامى * ويكبر ان يحط من القلال
تود لشأوه الاقيال ان لو * تدانيه وذاك من المحال
يحل بدسته فترى البرايا * ذكاء الفضل في افق المعالي
له همم يكل الدهر عنها * ونيل عنه ينحط العزالي
لعمرى انه داماء جود * وفضل ساغ ذو العذب الزلال
هو الامل الكبير يداه تأتي * بجود الخير مرفض السجال
يروق بطلعة منه تحاكى * طلوع البدر في برج الكمال
مليك قد تمسك من تقاه * من المولى بوثقى الابتهال
مليك دينه الاسلام اعظم * بدين غير منبت الحبال
مليك منه اصبح دين طه * حافظه الامان من الزوال
منيع ليس امنع منه رضوى * واثبت وهو من جل الجبال
اليس نراه مبتهجاً بثغر * غدا يفتر عن غرر اللئالى
حماه حيث لا يحميه حام * سواه بالقواضب والعوالي

يصدر منها افعال الا بعد التعلق بالبدن وعلى هذا مشى كثير من حكماء الاسلام لا سيما الشيخ شهاب الدين المقتول والذي عندي ان للنفس افعالا قبل التعلق بالبدن وبعده لما يرد عليهم انهم ان ارادوا بعدمه المطلق فممنوع لما تقرر عندهم ان النفس جزؤ من عالم التقديس وهي مجردة شفافة لا يحجبها شئ ابدا وذلك يدل على ان لها افعالا تصدر منها قبل البدن والا لنافى كونها قطعة منه وجميع الملل بالاتفاق منهم على ان الروح قد اخذ عليها العهد قبل دخولها فيها فاسرعت لامتثال تلك الاوامر ونطق بذلك كتاب الله القديم ولاشك ان هذا دليل على ان الروح قبل البدن لها افعال وايضا انه لو لم يكن قبل البدن لها تعلق وتصرف لما كان بعده ايضاً لعدم اعانة البدن في

التصرف الذي حصل قبله كما تقرر لان التحقيق يدل على ذلك حيث انه ثابت انها مجردة فاذا دخلت في البدن فلا بد وان تكون غير ممتزجة والا قبلت الانقسام وقد برهن على خلافه فتبين انه لو لم يكن له قبل البدن تصرف لما كان لها بعده لان الروح مكملة للبدن لا متكملة به لئلا يلزم التكميل بالسافل ومن عجب ان الشيخ كيف فاته النظر في هذه المقدمة التي توجب الاحتراز عن القول بان البدن بعد فناءه يحصل للنفس الناطقة تصرفا وافعالا لاقبل اذ مما قلنا تبين ان للروح افعالا وحركات سواء تعلقت بالبدن اولا وليست ادراكاتها اللامور موقوفة على امتزاجها بالبدن والا لما كان للعقول حينئذ معنى فتبين انه بعد فناء الجسم يظهر لها افعال وحركات لم تكن له قبل ذلك وقد تقرر عندهم

عن الاسلام ذو التاج المفدى * لقد اضحى يذب بكالنصال
رجال من عساكره كرام * اذا عدوا فاسد فى النزال
يحالفهم من التوحيد ذكر * يئول بهم الى حسن المئال
اعزهم الآله على المداجى * ووفقهم على مر الليالى
وايد خادم الحرمين فينا * خليفتنا المعظم ذا النوال
أجل سلطاننا عبد الحميد الـــذى فدى بافئدة الرجال
فلا زال المفدي والمرجى * تؤيده عناية ذي الجلال

وبعد فأقول ذهب طائفة من المأدبين الى ان الانواع ليست بمستقلة بالخلق وسبب القول انهم لما رأوا بعض الاعضاء الاثيرية في بعض الحيوانات لافى كلها قالوا لو كان كل خلق مستقلا كما هو مذهب الخلق لما كان بهذه الآثار فائدة بناء على ما يقتضيه مذهب الخلق لان مذهب الخلق يقتضى الترتيب والفائدة وهذه الاعضاء الاثيرية لافائدة فيها فلا تكون مخلوقة بل هى آثار اعضاء فى نوع قديم وبعد تغير هذا النوع استغنى عنه حتى لم يبق الآن الا أثره وبعدما طرأت عليه تغيرات جعلته مستعداً لان ينقلب الى نوع آخر يحتاج الى تلك الاعضاء أقول ان القول بعدم تسليم ان كل نوع مستقل حصل بسبب رؤية بعض الاعضاء الاثيرية فى بعض الحيوانات دون بعض فهو لا يصح لان يكون سبباً لانه لاعلاقة بين هذين الامرين لان هذا اللازم انما هو أمر نظري وهو محتاج

الى أثباته وهو محال والمقدمة القائلة لو كان كل خلق مستقلا كما هو مذهب الخلق لما كان لهذه الآثار فائدة يرد عليها الاعتراض من وجوه الاول انهم لم يدركوا الفائدة ولا يلزم من عدم ادراكها عدم الفائدة لانه لا يلزم من عدم العلم بوجود الشئ عدم الشئ والثاني لانسلم بان الخلق يستلزم ان وجود الشئ لا يكون موجداً الا بعد جعله مفيداً لان ذلك الحكم لا يكون الا بعد العلم على وجه التفصيل بان جميع الافراد الموجودة فى هذا العالم فهو مفيد وذلك مع انه محال قال جميع الحكماء انا لم نقف على أقل القليل مما فى هذا العالم بل ولا يمكننا الوقوف عليه فكيف ساغ الحكم بانه لو كان كل نوع خلقاً مستقلا كما هو مذهب الخلق لما كان لهذه الآثار فائدة . الوجه الثالث انكم حكمتم ان كل الانواع هى أثر قديم فما معنى هذه المقدمة فان كان معناها انها أيضاً قديمة فهو باطل بالبداهة لانا نشاهد ايجادها وفناء أكثر منها فى كل يوم وان أردتم انها اثر قديم بمعنى ان الذي احدثه قديم فذلك هو الخلق أيضاً فالاعتراض وارد عليكم أيضاً وان المقدمة القائلة فطرئت عليه تغيرات تؤهله لان ينقلب الى نوع آخر يحتاج الى تلك الاعضاء غلط اقول عرف الحكماء بان النمو اذا أحدثت المنافذ فى الاجزاء الاصلية ودخلت فيها وتشبهت بطبيعتها واندفعت الاجزاء الاصلية الى جميع

ان النفس حال التجريد لها افعال اظهر مما هى في حالة الامتزاج ولا سيما الصوفية اهل الكشف لقد اكثروا من القول بان النفوس كالسيف ليس لها في غمد البدن افعال وحركات بل حال التجرد تكون مظهرا للتجلى الالهى ووافقهم كثير من الحكماء الالهيين وان ارادوا انه لها افعال وحركات قبل البدن الا ان تلك الافعال والحركات ليست من ملايمات البدن بل من ملايمات الروح لا كلام لى معهم غير ان اقول فعلى هذا لا فرق بين النفس والعقل من هذه الحيثية اذ هو ايضاً قبل البدن له افعال غير مناسبة للبدن وتحقيق القول فى ان العقل قبل النفس كان مظلما لاستارة فيه فلما توجهت نحو البدن النفس الناطقة انعكس من شعاعها فاستنار منه الا انه لما لم يمكن اخذه الانعكاس تاما يسمى

اولا العقل البسيط وكلما زاد الانعكاس بسبب التحصيل والممارسة تشرق عليه انوار الالهية وحينئذ يحصل ترقى العقول على حسب الانعكاس فيسمى من اخذ الانعكاس الغير التمام بالعقل الهيولانى ثم العقل بالفعل والعقل بالملكة والمستفاد والعقل الفعال فهذه العقول انما تحصل بواسطة اشراق نور الروح فكلما زاد الاشراق سمى العقل باسم فلو لم يقرر الكلام على هذا العنوان لما كان له معنا ويستدل على ذلك بان حصول الترقى يكون على حسب استكمال الصور التى تنطبع فى النفس الانساني ولا يجوز ان يوجد في الانسان هذا العقل المسمى بالعقل بالفعل حين خلق والا للزم وصول كل فرد الى هذه المرتبة وذلك غير جائز لان البداهة أكبر شاهد بعدمه لان النادر منه يصل الى ذلك وهذا التحقيق فتح بابا

الاقطار على نسبة واحدة مناسبة لطبيعة النوع فذلك هو النمو فمن هذا التعريف تبين ان هذا القول باطل لان الانقلاب من نوع الى نوع آخر ليس بنمو عند الحكماء والحق اقول ان طائفة الماديين اناس لا يفقهون حديثاً بل هم يجهلون ثم اقول انه بعد مادخلت شيره رايت رجلا يحب الدنو منى فدنوت منه فوقع بيننا البحث فقال ان مصدر العالم هو الاثير وان المواد لا يطرئ عليها التغير وهى دائمة البقاء لا تزول وهى التى اودعت فى تلك الاجسام هذه الخواص قلت له هل الاثير الآن موجود فى الكون ام لا فقال نعم انه موجود ولولا وجود الاثير لاختل النظام فقلت لم لا يوجد الاثير عالما آخراً غير هذا العالم لان طبيعة الاثير والمواد ايداع هذا الخواص فى الاجسام فلم زالت الآن فتلجلج فى الكلام ولم يجب الا بان داروين هكذا قال ومن خرافات معتقداتهم انهم يجعلون المادة فاعلة بواسطة حركتها التى هى تحرك اجزاء الفردة المتماثلة فى الذات المتخالفة فى صفات متغيرة ومنها حصل مادة سديمية وتجمعت بعضها على بعض فتكونت كرة فحصل لها الدوران بمقتضى نواميس الجاذبة اقول تبين من هذا الكلام ان قوة الجاذبة علة لوجود الارض والسموات والكواكب ودورانها فيلزم حينئذ التقدم عليها كما هو ناموس العلة والمعلول فنقول ان الجاذبة من الذي اوجدها قالوا اوجدها السديم

ودوران الارض لانه عندهم ان المادة محركة من غير محرك وقد قالوا ان لا حركة الا بمحرك الحاصل انه تبين مما نقول ان مذهب الماديين كذب غير مرتب والذي انطوى عليه اعتقادى ان الله واحد خالق للكون ولقد استدل المتكلمون على وحدانية الله بأدلة لا يمكن ان يرد عليها اذ هى براهين قطعية

أقول تحقيق المسئلة انه لا يخلو من ان تكون المادة السديميه هى موجدة للقوة الجاذبة أولا فان كانت المادة السديمية هى موجدة للجاذبة التى بسببها صارت الحركة للارض والسموات فيلزم الدور لانه اتفق أهل الحكمة الطبيعية الى ان اجتماع المواد بعضها مع بعض لا يمكن الا بالجاذبة فالمادة السديمية حصلت من اجتماع الاجزاء التى حصلت بواسطة القوة الجاذبة فالجاذبة علة لوجوده فلو كان هو أيضاً علة لوجوده لزم الدور وهو محال لانه يلزم تقدم الشئ على نفسه بمرتبتين أو مراتب وذلك لا يجوز بداهة وقد وقع لنا بحث في اسكندرية مصر مع بعض من يدعى المهادة في فنون الحكمة الطبيعية وغير ذلك في جاذبة الارض فقال ان حركة الارض والسموات ماهى الا بقوت الجاذبة ولا يسوغ لاحد ان ينكر ان القوة الجاذبة تحرك المجذوب لما نشاهد في الآلة المغناطيسية وغيره قلت نعم ذلك مسلم ولكن هذا استدلال لا يلزم منه

لغيره وهو ان القوة الحافظة حصلت من انعكاس الانوار فانطبع في النفس صور كلما تالفت النفس بقت الصور واذا لم تألف النفس بذلك فعند حصول الانقطاع حصل النسيان فتبين لك معنى السهو والنسيان والقوة الحافظة والنفس الناطقة اشرف من النفس الحيوانية وان كانت لها في التصرف والمحافظة باذن الله مدخل عظيم الا ان النفس الناطقة انفع فيه وهى مقدسة لا شرفيها وعلى ذلك انطوى اعتقادي لانها قطعة من عالم التقديس وهى حين ما خلقت منزهة مشغولة باللذات الالهية والطفل حين ولادته لا يعلم الشر فضلا عن فعله وأيضاً انها من عالم العلوى ولا شك انها في جوهرها منزهة وان الحيوانية مشغولة بالنشو والنماء لاشغل لها غير ذلك وهى لا تزال

مقهورة لها اذ هي المدبرة للابدان الحيوانية تدور على محور النفس الناطقة وهي لا تزال تحب الكمال وتميل اليه ان لم يشغلها شاغل العادة ويعارضها ولا يضر الانسان شيء مثل الطعن في عقله والطعن في كماله لما تقرر عندهم ان المعاني العقلية الذ من غيرها واستدلوا على ان الشجاع لا زال يرجح بقاء وصفه بالشجاعه على حياته فيقدم على الحرب عند اتقاد نارها وان علم انه لا يرجع سالما فيقدم مخافة التسمية بالجبن وان الكريم لا زال ينفق ماله مخافة ان يسمى بخيلا ولا شك ان هذه المعاني من الامور النفسانية فانا وان اكثرنا من الاستدلال على ان الروح خير محض الا ان الزيادة في البيان يوضح المطلوب فاقول ان الانسان والحيوان قبل الروح عدم محض فلما تشرف بالروح خرج

ان الارض متحركة بقوة الجاذبة والسموات ان لم يثبت انه فيها قوة جاذبة فادعى الثبوت وساق أدلة كلها ظنية لا تفيد في المطلوب قلت ولو ثبت ان بين الارض والسموات جاذبة لكن لا يلزم منه حركة الارض وسكون الشمس لان قولك انه بين الشمس والارض جاذبة والشمس اكبر من الارض مراراً كثيرة فيلزم حركة الارض وسكون الشمس حركة يومية لان كبر الشمس لا يقتضي ان يكون اكثر جاذبة من الارض لانه يجوز ان يوجد في جسم صغير جاذبة اكثر مما هو في الجسم الكبير كما في الجسم المغناطيسي ولو كان صغيراً فيجذب كثيراً من الاجسام الكبيرة فتبين انه لا يلزم من اكبرية الشيء كثرة جاذبته والاستدلال لا يتم الا به وأيضاً انه لو كان بين السموات والارض جاذبة لما هبط الحجر المرمى من فوق الى الارض لان مقتضى الجاذبة ان تأخذ المجذوب الى عندها وقد نراه هابطاً الى تحت فاذا كانت الشمس جاذبة للارض لجذبت الحجر المرمى ولكنها لم تجذبه بل بعد ما تمت القوة الدافعة لذلك الحجر فاعتراه السكون بعد الحركة والساكن لا يمكنه الصعود الى مركز العلو ما لم تقترن به حركات وكان قطعة من الارض فمال الى مركزها فهبط دفعة واحدة الى مركزه والجواب عن هذا الكلام بان الجاذبة بين السماء والارض كلام تمجه

الاسماع والقول بان جاذبة الارض الى الحجر اقرب من جاذبة الشمس اليه كلام لا يليق ان يتكلم به المبتدى فكيف يليق للحكيم القول لانه بعد القول باتصال جاذبتها بكرة الارض كيف يصح القول بقرب الجاذبة أو بعدها عن الحجر المرمى ومقدمة الخصم القائلة ان القوة الجاذبة جزء من هذا العالم الذي بعضه يفعل في بعض يلزم منها الدور لان القوة الجاذبة هى التى اوجبت تلاصق الاجسام السديمية بعضها في بعض فوجود الاجزاء السديمية موقوف على وجود القوة الجاذبة وهى موقوفة عليها لان القوة الجاذبة لا يمكن حصولها الا بعد وجود الاجزاء السديمية لانها قوة تحققت منها كما هو محقق في الحكمة الطبيعية والدور باطل فالقول بان القوة الجاذبة مؤثرة في العوالم أيضاً باطل وقال بعض الماديين ان أصل العلة واحدة وهى الاثير ثم اثرت وحصلت اجزاء واودعت في كل جزء قوة تكون فاعلة ومنفعلة وهذه الاجزاء بعد وجودها تفاعلت فحصلت فتحصل هذا الكون اقول اما ان يكون هذا التفاعل اتفاقياً أولا فان كان اتفاقياً يلزم عدم ارتباط البعض في البعض لان الاتفاق هو الذي لا لزوم فيه وأيضاً قد ذكر الحكماء المتأخرون وكثير من المتقدمين بان كل حادثة حدثت فى الكون لابد لها من سبب اذ لا اتفاق فعلى هذا التقدير يلزم عدم الاتفاق

منه الى الوجود ومن المعلوم لدى كل احد ان الارواح مجردة قبل دخولها في البدن من جميع شوائب النقصان فاذا كانت الروح فى مبداء فطراتها حيوانية تميل الى القبائح والشرور لزم صدور هذه الافعال من عوالم المجردات ولا شك انه لا يصدر منها الا الخير المحض الفاضل لان دواعى الشر لم تكن حين خلقت الارواح معها اذ ذلك من دواعى الشهوة وهى مفقودة فى عالم الارواح وعلى ذلك الاتفاق وقد قال تعالى في كتابه العزيز افمن كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس اذ المراد بالنور الروح وعلى هذا حضرة الشيخ الاكبر ولا يجوز ان يراد غير هذا المعنى وجواز ارادة العقل لا ينافي ذلك لما ذكرناه فعلى هذا ان الانسان

لا يمكنه ان يرشد الى طريق من الطرق الا بالروح التى جعلها الله نورا من انواره ولا شك انها منزهة من الشرور والقبائح والا لما كانت نورا لان المراد من اطلاق النور على الروح التنزه عن القبائح اذ هو المراد بما هو المصطلح في لسان الحكماء اذ لا معنى له غير ذلك وايضاً ان الروح لا بد من ان تكون امرا نورانياً وقد بينا لك ان الامر النوراني لا بد وان يكون خالياً من الشرور فثبت المدعى ولا يكن يريبك أيها الاخ شئ فان الحق احق بالاتباع وقال الشيخ السهروردي فى عوارف المعارف ان الله تعالى خلق الانسان وهيأه لقبول الصلاح والفساد وجعله للادب والمكارم ووجود الاهلية فيه كوجود النار في الزناد ثم ان الله مكنه من اصلاحه بالتربية كما مكن

والشق الثانى يلزم ان يكون وجود العالم حصل من الاثير بداعى سبب بحيث فعل الاثير فى هذا الجزء قوة فاعلة وهى قوة الجاذبة مثلا وفى ذلك الجزء قوة الملاصقة لاجل ان يحصل في الكون انتظام فلا يخفى انه على هذا يلزم ان يكون لقوة الاثير عقلا وتمييزا بحيث رتب العالم على نظام وجعل لكل جزء قابلية واستعدادا لما تقتضيه قوة عاقلة فى تدبير النظام ولكن وقع الاتفاق من الحكماء على ان الاثير لاعقل له بل هو جماد فثبت ان هذا العالم أوجده واحد قهار عليم حكيم وانه لاتأثير في الكون الا به وقد قال بعض الحكماء من الماديين ان الانسان حصل من نشو ونماء واصله القردة فاقول ان فن التشريح اعدل شاهد بان الانسان والقردة متغايران غاية التغاير ولو كانت القردة اصلا لزم عدم المغايرة وانقلاب القردة انسانا الآن وليس كذلك ومما يشهد على ان الله واحد فن التشريح فنبين الانسان على ماذكرت كتب المرشحين فنقول

اعلم ان الناس اختلفوا فى حد العقل وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقاً على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا المجرى

فلا ينبغى ان يطلب بجميع اقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه فالاول الوصف الذى يفارق الانسان به ساير البهايم وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية وتدابير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي أراده الحرث بن أسد المحاسبي حيث قال فى حد العقل انه غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد لادراك الاشياء ولم ينصف من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنايم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم وكما ان الحيوة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها يتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز ان يساوى بين الانسان والحمار في الغريزة والادراكات الحسية فيقال لا فرق بينهما بحكم العادة يخلق الله فى انسان علوماً ليس يخلقها فى الحمار والبهايم لجاز ان يساوى بين الحمار والجماد فى الحيوة ويقال لا فرق ان الله عز وجل يخلق فى الحمار حركات مخصوصة بحكم جرى العادة فانه لو قدر الحمار جماداً ميتا لوجب القول بان كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب ان يقال لم يكن مفارقته للجماد فى الحركات الا بغريزة اختصت النوات الى ان يصير نخلا والزناد بالعلاج حتى تخرج منه نار وكما جعل في نفس الانسان صلاحية الخير جعل فيها صلاحية الشر حالة الاصلاح والافساد فقال سبحانه وتعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها فتسويتها بصلاحيتها للشيئين جميعاً ثم قال عز وجل قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فاذا تزكت النفس تدبرت بالعقل واستقامت احوالها الظاهرة والباطنة وتهذبت الاخلاق فالادب استخراج ما في القوة الى الفعل وهذا لمن ركب سجية صالحة وهى فعل الحق لا قدرة للشر على تكونها ككون النار في الزناد اذ هو يخلق الله المحض ويكسب العبد فهكذا السجايا الصالحة والمنح الالهية ولما هيأ الله تعالى بواطن الصوفية بتكميل السجايا فيها توصلوا بحسن الممارسة والرياضة الى اشتخراج

به عبر عنها بالحيوة فكذا مفارقة الانسان البهيمية في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرأة التى تفارق غيرها من الاجسام فى حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها وهى الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة فى صفات وهيئات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية. الثانى هى العلوم التى تخرج الى الوجود فى ذات الطفل المميز بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لايكون فى مكانين فى وقت واحد وهو الذى عناه بعض المتكلمين حيث قال فى حد العقل ان بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات وهو أيضاً صحيح فى نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد تنكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم . الثالث علوم تستفاد من التجارب بمجارى العادات فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل فى العادة ومن لايتصف بهذه الصفة فيقال انه غبى غمر جاهل فهذا نوع آخر من ان يسمى عقلا. الرابع ان تنتهى قوة تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب مايقتضيه

ما في النفوس مركوز بخلق الله تعالى انتهى كلامه والمقصد من نقله ايضاح المطلوب ولا تتوهم من قوله تعالى في كتابه العزيز قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها بعد فنفس وما سواها ان النفس الهمت الفجور والصلاح على السوية لما يتبادر من الآيه الشريفة فالآية الشريفة يفهم منها ليست مخلوقة للخير المحض بل متساوية الطرفين فلو لم يصدر منها هذين الفعلين لما كان للالهام فائدة ولا يجوز ان يقال ان المراد من النفس خير محض قبل تعلقها في البدن والآية تدل علي البعدية لانه لم نر وجه للدلالة على انه لا فائدة تكون للالهام بعد التعلق بالجسم لما بيناه ومن هذا تبين ان الروح لها افعال قبل البدن وتحقيق المسئلة موقوف على ذكر بعض مقدمات من كلام ابو

النظر فى العواقب لابحكم الشهوة العاجلة وهذا أيضاً من خواص الانسان التى بها يتميز عن سائرالحيوانات فالاول هو الاس والنسخ والمنبع والثانى هو الفرع الاقرب والثالث فرع الاول والثانى اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفادعلوم التجارب والرابع هوالثمرة الاخيرة وهى الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي كرم الله وجهه

رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع * اذا لم يك مطبوع
كما لاتنفع الشمس * وضوءالعين ممنوع

بعد ما عرفت حقيقة النفس فالعقل على اربعةأقسام فالعقل الاول هوالعقل الهيولانى المجرد عن العلوم والادراكات لكن فيه قوة استعداديه تمكن لفهم العلوم ودرك الحقايق على ماهى عليها فى نفس الامر واذا كانت العقول مستعدة غير عالمة حين وجودها كما رأينا عقول الاطفال فانها مستعدة لدرك الحقايق غير فاهمة لها بالفعل فالعلوم التى حصلتها لاتخلوا اما انها حصلت بمعلم أوكان تحصيلها اليها بدون معلم فالتحقيق ان العلوم الضرورية حصلها العقل بدون معلم كالعطش والجوع وغير ذلك فانا كما انتزعنا من الانسان انه عاقل وان عقله مستعد لفهم الحقايق وليس بعالم بالفعل انتزعنا منه انه محتاج فالعلوم

حامد الغزالي شيخ العارفين في احياء العلوم ان لفظ القلب يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنبوري الشكل المودع في جانب الايسري من الصدر وهو لحم مخصوص في باطنه تجويف دم اسود هو منبع الروح ومعدنه وهذا كلامه وان كان يليق للاطباء البحث عنه الانه لنا فيه ايضاً دخل والروح ايضاً تطلق على معنيين احدها انها جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن جريانها في البدن وفيضان انوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على اعضائها يضاهى فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهى الى جزء من البيت الا ويستنير به والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان

والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الناطق مثال حركت السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا لفظ الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب المعنى الذي هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهي التي ارادها الله تعالى بقوله قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني يعجز اكثر العقول والافهام عن درك حقيقته والنفس ايضاً مشتركة احدها ان يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان والصوفية يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله عليه السلام اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك واللطيفة التي

الضروريه العقل يلتفت اليها بمزاحمة الاحتياج فان الطفل الصغير اذا زاحمته قوة الجوع صرخ وبكى ولم يسكت حتى يشبع وليس له علم متعلق بالجوع الا بعد مرور ايام وهذا هو الحق الحقيق بالاتباع ومما قررنا لك تبين ان الانسان محتاج في معرفة العلوم الى معلم سواء كانت ضروريه أو نظريه لان الطفل لايمكنه ان يعرف ان الاثنين اعظم من الواحد الا بعد معرفته الواحد والاثنين وذلك ثابة بالتجربه والمشاهدة والتجربه أحد اقسام البرهان ونذكر مثالا آخر لايضاح المرام فانا نرى الطفل لايعرف ان لزوم الضوء للشمس من الامور البديهية والطفل لايعرف الشمس حتى يعرف الضوء وان الشخص الواحد لايمكن ان يوجد فى الآن الواحد في مكانين والطفل غافل عن معرفة بداهة هذه القضية ويعضد ذلك قوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئاً ان الانسان خلق فى مبدء الفطرة خالياً عن معرفة الاشياء ثم قال الله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة والمعنى ان نفس الانسان لما كانت في أول الخلقة خالية عن المعارف والعلوم فالله تعالى اعطاها هذه الحواس لتستفيد بها المعارف والعلوم وتمام الكلام في هذا الباب يستدعى مزيد تقرير فنقول التصورات والتصديقات اما ان تكون كسبية واما ان تكون بديهية والكسبيات انما يمكن تحصيلها بواسطة

تركيبات البديهيات فلا بد من سبق هذه العلوم البديهية وحينئذ اما ان يقال انها كانت حاصلة منذ خلقنا أو ما كانت حاصلة والاول باطل لانا بالضرورة نعلم حين كنا في رحم الام ما كنا نعرف ان النفي والاثبات لايجتمعان وما كنا نعرف ان الكل اعظم من الجزء واما القسم الثاني فانه يقتضي ان هذه العلوم البديهية حصلت في نفوسنا بعد انها ما كانت حاصلة فحينئذ لايمكن حصولها الا بالكسب وكل ما كان كسبياً فهو مسبوق بمعلوم آخر فهذه العلوم البديهية تصير كسبية ويجب ان تكون مسبوقة بعلوم أخرى الى غير النهاية وكل ذلك محال فهذا السؤال أقوي مشكل وجوابه ان يقال الحق ان هذه العلوم البديهية ما كانت حاصلة في نفوسنا ثم حدثت وحصلت اما قوله فيلزم ان تكون كسبية قلنا هذه المقدمة ممنوعة بل نقول انها انما حدثت في نفوسنا بعد عدمها بواسطة اعانة الحواس التي هي السمع والبصر وتقريره ان النفس كانت في مبدء الخلقة خالية عن جميع العلوم الا انه تعالى خلق السمع والبصر فاذا ابصر الطفل شيئاً مرة بعد اخرى ارتسم في خياله ماهية المبصر وكذلك اذا سمع شيئاً مرة بعد اخرى ارتسم في خياله ماهية ذلك المسموع وكذلك القول في سائر الحواس فتصير حصول الحواس سبباً لحصول ماهيات المحسوسات في

مر ذكرها هي الانسان بالحقيقة ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر تضطرب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى في مثلها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها لله تعالى فانها مبعدة من الله وهي حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عنها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه وقال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاغراض وأذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى (وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء)

النفس والعقل ثم ان تلك الماهيات على قسمين مايكون حضورها موجباً ما فى جزم الذهن باسناد بعضها الى بعض بالنفى والاثبات مثل انه اذا حضر فى الذهن ان الواحد ماهو وان نصف الاثنين ما كان هو وحضور هذين التصورين فى الذهن علة تامة فى جزم الذهن بان الواحد محكوم عليه بانه نصف الاثنين وهذه الاقسام هى العلوم البديهية والقسم الثانى مالا يكون كذلك وهى العلوم النظرية مثل انه حضر فى الذهن ان الجسم ماهو وان المحدث ماهو فان مجرد هذين يكونان سبباً لاكتساب المواد وحضورها ومما ذكرنا لك تبين ان النفوس والعقول فى مبدء الفطرة خلقت مستعدة خالية عن العلوم والمعارف وقد ذهب بعض المعاصرين الذين يظنون ان لهم قوة فى المعقول فقال ان الانسان فى مبدء فطرته كانت له قوة ادراك المعلومات وتلك المعلومات موجودة فى القوة العاقلة فكلما يزيد عمره ينتشر ما انطوى في تلك القوة فحينئذ لاحاجة الى معلم يدرس العلوم للعالم ويرد عليه انا نشاهد العلوم الحاصلة فى العقول اما انتزاعية أو اختراعية ومن المعلوم بداهة ان الامور الانتزاعية ما كانت حاصلة من الموجودات والممارسة فى الامور وذلك لايكون الا بعد التعلم ويصدق ذلك الحس والتجربة فان كثيراً من الناس ليس لهم اطلاع باكثر

ويجوز ان يراد بالنفس الامارة النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثانى محمودة لانها نفس الانسان وبعد ما تم الكلام فلا بد من الرجوع الى اصل المرام وهو ان النفس بعد اتصافها وتعلقها بالوجود واتصفت بهذه الصفات لا قبله ويستدل على ان ذلك ترتب الذم والمدح انما هو بعد التعلق لان الله تعالى قال في كتابه العزيز (قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) وهذا لايكون الا في عالم الارواح وأيضاً ان الفجور انما يكون من عالم الاجسام ولايمكن وجوده في عالم الارواح لما بيناه لك واذا امعنا النظر في الآية فلا بد من ان نحمل الفجور والتقوى على معنى الاستعداد للطرفين بمعنى ان الله خلق الروح نورانية تنطبع فيها جميع ما في الكائنات

المواد وبعد الممارسة وتشمر ساعد التحصيل يحصل له العلم بالفعل واما العلوم الاختياريه فانها انما حصلت من تعاطى الافكار فان الانسان بعد ماوقف على افكار اعلمته فبسماعه تلك الافكار يتمكن من اختراع فن من الفنون أو علم من العلوم فتبين ان العلم سواء كان اختراعياً أو انتزاعيا يحتاج الى معلم والعلم بالقوة مرجعه الاستعداد البتة قال أهل التحقيق الجسم مظلم كثيف فاذا اتصل به الروح صار حياً لطيفاً نورانياً وظهور آثار النور فى الحواس الخمسة ثم الروح أيضاً ظلمانية جاهلة فاذا اتصل به العقل صار مشرقاً نوراينا ثم العقل أيضاً ليس بكامل النورانية والضياء والاشراق حتى يستكمل بالمعارف الالهية فلا بد ان نبين معانى قولهم ان المواد المحسوسة بديهية حتي يندفع مايمكن وروده للخاطر ان العلوم البديهية مخلوقة في الانسان لا ان الانسان مستعد لها اعلم ان لنا بالنسبة الى كل محسوس ثلاثة أحوال استحضاره والذهول عنه ونسيانه وليس استحضاره الا بادراكه وحفظه ونسيانه بزوالهما حتى يحصل احساس جديد ولا شك انه لاادراك فى الذهول لو لم يكن فيه حفظ مغاير لقوة الادراك ومما قررنا لك تبين ان الانسان لم يخلق معه لا العلوم النظريه ولا البديهية بل خلق للانسان قوة استعداديه بها يمكن معرفة الامور فالبديهيات تعرف بالاتقان واعادة الحواس

ولاشك انه فيها من يخل النظام واصلاح النفس بحيث يجردها عن عالمها الذى هو كثير شر فحينئذ هذا لا ينافي انها خير محض ايضاً لان ذلك الانطباع خير لها ان اخذت الاصلح وتركت الفساد الاعتباري على ما هو التحقيق فمن تأمل في كلام الامام وجد هذا المعنى فيه موجودا عند الحيوانات الا ان الانسان يدرك النظريات والبديهيات وهى لا تدرك الا البديهيات وبعد الادراك اذا تألفت النفس الناطقة بامر يصعب عليها فراقه وان لم تجد منه فائدة كمؤلفات الطفل المشغول باللعب فالروح بعد ما تألفت بما يعيقها عن المعارف الالهية وتقوي الدواعى البدنية والحيوانية صارت ميالة للفسق والعصيان بحيث لايتمكن الانسان ان يفارقها فتأمره بالمعاصى فتكون امارة واذا تألفت بالكمالات

اشتد ميلها بها فصارت عاشقة اياها لا يمكنها ان تفارقها فحينئذ تكون منزهة من الشرور والقبائح فتكون مطمئنة وكلما ترقت تسمى باسم واذا لم تكن مائلة للشرور والكمالات بل متوسطة فكرامة ان فعلت فعلا تعاقب عليه فالنفس في الحقيقة واحدة وحصول هذه الاسماء باعتبار اتصافها بصفات حصلت من ميلها وتعشقها لان الروح مدركة وميالة لكل ما تألفت به فاذا تألفت بالجمال مالت اليه فتحركت فتكون فاسقة فالتألف هو سبب لاتصاف النفس بصفات مختلفة ثم اعلم ان الحياة لا تتم بدون الروح المدركة لان الحياة لما حصلت باجتماع الاجزاء وامتزاجها وكان لها في الكون أمور خادمة وخارقة لذلك الامتزاج فلا بد من قوة تفرق بين الطرفين وتحفظ الهيأة الاجتماعية التي حصلت من امتزاج

مرة بعد اخرى والعلوم النظرية انما تحصل بسوق مقدمات فاذا تبين مما قررنا ان القوة العقلية مستعدة لفهم المواد والعلوم فحين وجود العالم في المبدء فلابد وان نقول انه كان في ذلك الوقت معلم يدرسهم العلوم ولابد ان يكون ذلك المعلم له علوم موجودة في القوة العقلية بالفعل لان نظام العالم يقتضي المحافظة الكلية فلولم يكن محافظاً لذلك النظام ومعلم يعلم العلوم لما حصلت المعلومات والمحافظة ولايمكن لاحد ان يقول ان الذين وجدوا في ذلك الزمان كانت لهم قوة عقلية تستفيد من مبدأ الفياض علوماً على سبيل التدريج لانه يلزم فوات المحافظة والترجيح بلا مرجح فاذا لابد من معلم للناس وذلك المعلم غير مبدأ الفياض فنذكر لك بحثاً يتضح لك مانقول مرتبة النفس من البدن الاستكمال الى نهاية اما استعداد الكمال أو نفس الكمال واستعداد الكمال اما استعداد ضعيف أو استعداد متوسط أواستعداد قوى اما الاستعداد الضعيف فهو استعداد المعقولات الاولى كاستعداد الطفل للكتابة وهو الهيولانى واما الاستعداد المتوسط فهو استعداد المعقولات الثانية بعد حصول المعقولات الثانية اما بحركة الذهن وهو حصول بالتفكر أولا بحركة الذهن وهو حصول بالحدس والمراد بالاكتساب ههنا تحصيل المعقولات الثانية من المعقولات الاولى اعم من ان يكون

بالفكر أو بالحدس والا لم يصح قسمته اليهما فان قلت الحصول باطل بطريق التعلم فان الحصول به ليس حصولا بالحدس وهو ظاهر والا لم يحتمل الخطأ ولا بالفكر لان افادة المعلم المبادى المترتبة كافاضة العقل الفعال اياها فان لم يكن هناك حركة من الذهن لم يكن أيضاً ثمة حركة فالجواب ان المعلم لايلقى المقدمات دفعة واحدة بل مقدمة مقدمة فالمتعلم لايتعقل الا بالاختبار فهو يلاحظ المقدمات وترتيبها فى الذهن ترتيباً اختيارياً بخلاف المستفيض من العقل وهو بين لاسترة فيه نعم ليس ههنا الا الحركة الثانية فان جعلناها فكراً كما عرفه المتأخرون بالترتيب والا فلا أقل من ان يجعل فى عداده واما الاستعداد القوي فهو استعداد المعقولات الثانية بعد حصولها كاستعداد القادر على الكتابة وهو العقل بالفعل واما الكمال فهو حصول المعقولات الثانية وهو العقل المستفاد وأيضاً قد تقرر ان للانسان استعداد اكتساب واستعداد استحضار واستعداد حصول المعقولات ولا شك ان استعداد الاكتساب بحسب استعداد المحض واستعداد الاستحضار بحسب استعداد الاكتساب ثم قال المحققون العقل المستفاد هو حضور المعقولات الثانية بالفعل والفعل بالفكر هو ان يكون له ملكة استحضارها وذلك انما يكون اذا كان النفس اكتسبت المعقولات الثانية ولاحظتها مرة

الاجزاء ومما يفيد انه لم تجد له محافظا غير الروح المدركة فهى في الحقيقة خادمة للروح ولولاها لانخرمت الحياة فالشهوة والغضب والحرص وما اشبه ذلك فلا بد من وجودها في الانسان لانها لازمة للحياة لانه يغضب عند فوات حقوقه فينهض لاخذ حقوقه التى بها يتم الحياة وعند مجاوزة غيره عليه فيدفعها بواسطة ولا يشتهى شيئاً الا بعد علمه بوجود لذة من الملذات فاذا كلها في حد ذاتها نافعة لابد من وجودها في الانسان لان الروح اذا انفعلت فتارة تكون مصدر الغضب وتارة تكون للحرص واذا تلذذت فتارة يصدر منها العشق والحرص وتارة الغضب فوجب علينا المباشرة في تصفية وهكذا امر الروح فهذه الامور عند تحقيق النظر في حد ذاتها خير محض بشرط معاضدة العقل الذي يرشد

بعد اخرى ضرورة ان ملكة الاستحضار لاتحصل الا بعد حضور مرات والحضور هو العقل المستفاد فيكون متقدماً على العقل بالفعل تبين لك مما قررنا ان القوة العاقلة فى مبدئها مستعدة لدرك العلوم وانه لابد من معلم في المبدأ والا لما وجدت هذه العلوم يوماً فيوماً فى الترقى وذلك المعلم انه خلق ووجد له خلق فى مبدأ فطرته موقد بنور قوة القدسية يلزم الترجيح على غيره وذلك المرجح ان يكون فى نفس ذلك الفرد فالعالم حين ايجادهم خلق لهم معلم له قوة قدسية يفيض العلوم عليهم وانه وجد فيه مرجح على غيره ولا بدان يكون بين المعلم والمعلم مناسبة فى النوع ولا يجوز ان يوجد العالم ولا معلم لهم لان الحس والتجربة يشهدان على ان الانسان اذا لم يشغل بالتحصيل فهو فى ظلمة الجهل وانا نجد تفاوتا بين من يشتغل بالتحصيل على يد معلم يأخذ العلوم وغيره فاذا ثبت ماذكرنا لك فلا بد من تسليم ان العلوم ومحافظة النظام لاتحصل فى العالم الا بواسطة معلم وذلك المعلم لايكون هو الله تعالى بل لابد وان يكون بشرا افيض عليه من المبدأ الفياض علوماً ووفق للقوة القدسية فذلك البشر المفاض عليه من مبدأ الفياض لابد وان يكون ممتازاً على غيره من الانسان فثبت بما مهدنا لك انه لابد فى العالم من انسان كامل ممتاز عليهم وذلك

الانسان على ان الافراط والتفريط خطاء عظيم لان تجاوز الحد في جميع الامور خطء لا ينبغى للعاقل استعماله وقد ورد في الشريعة المطهرة المنع عن شدة الغضب والاستغفار فيها عنده فالروح كانت مستعدة لهذه الامور لانها تكونت مدركة لجميع ما يقع في الكون بحيث تنفر من الضار وتألف الى النافع والا لوقع الانسان في المهالك العظيمة فان الله سبحانه وتعالى جعل حكمته في الروح على هذا المنوال ليعيش الحيوان والانسان المدة التى قدرها الله في الدنيا فهذه الامور اذ لا بد من وجودها فى الانسان المقدار الكافي للحياة وكثرته انما تحصل من تعوده عليه فان الانسان اذا تعود على أمر مثل الغضب والشهوة وغير ذلك يتزايد ذلك الاستعداد يوماً فيوماً فاذا تزايد الاستعداد

هو الرسول وانه لابد من مبدء فياض يفيض العلوم وهو الله تعالى ولا يجوز ان يكون الطبيعة ثم اعلم ان خادم القوة العقلية الحواس الخمسة الظاهرة والباطنة فلم لا يجوز ان تحصل العلوم بواسطة تلك الحواس وتستغنى عن وجود معلم غيرها نعم ذلك محال لكن يتضح حقيقة الحال بعد بيان الحواس الظاهرة والباطنة فنقول قوة الابصار ومادة الروح الباصرة تنفذ الى العين من طريق العصبتين المجوفتين اللتين اذا انحدرت العصبة والاغشية التى تصحبها الى الحجاج اتسع طرق كل واحد منهما وامتلأ وانبسط اتساعاً يحيط بالرطوبات التى فى الحدقة التى اوسطها الجلدية وهى رطوبة صافية كالبرد والجليد مستديرة بنص تفرطحها من قدام استدارتها وقد فرطحت ليكون المتشنج فيها اوفر مقداراً ويكون للصغار من المرئيات قسم بالغ تتشنج فيه ولذلك ان مؤخرها يستدق يسيراً ليحسن انطباقها فى الاجسام المتلقمة لها المستعرضة المستوسعة عن دقة ليحسن التقامها اياها وجعلت هذه الرطوبة فى الوسط لانه أولى الاماكن بالحرز وجعل وراءها رطوبة أخرى تأتيها من الدماغ لتغذوها فان بينها وبين الدم الصرف تدريجاً وهذه الرطوبة تشبه الزجاج الذائب ولون الزجاج الذائب صفاء يضرب الى قليل حمرة اما الصفاء فلانها تغذو الصافى واما قليل حمرة فلانها

فمن أدنا محرك ينفر منه الطبع وان كان اقل القليل يترقى الطبع فيصدر الغضب وأدنى محرك للشهوة فيصدر منه الشهوة وكذلك غيرها فلا بد وان يوجد هذا الاستعداد الذي هو بمثابة الجزؤ من الحياة ولابد من تهذيب الاخلاق حتى لا يوجد الكثير من الامور فينقلب الخير شرا كالترياق للمريض فان قليله خير له نافع وكثيره شر مضر فى حياته فتبين لك ان هذه الامور انما تكون شرا باعتبار محافظة الهيئة الاجتماعية من الانسان فلو وجد شخص في مبداء الخلقة منفرداً وكانت هذه الصفات كلها موجودة فيه لا يقال انه صدر منه شر بل متى تكون هذه الصفات شرا اذا وجدت الهيئة الاجتماعية فتبين ان الشر من الامور الاعتبارية فالواجب على من كان انساناً ان يهذب اخلاقه لئلا يصدر الكثير

من جوهر الدم ولم يستحل الى مشابهة مايغتذى به تمام الاستحالة وانما اخرت هذه الرطوبة عنها لانها من بعث الدماغ اليها بتوسط الشبكى فيجب ان تلى جهته وهذه الرطوبة تعلو النصف المؤخر من الجليدية الى اعظم دائرة فيها وقدامها رطوبة اخرى تشبه بياض البيض وتسمى بيضية وهى كالفضل عن جوهر الجليدية وفضل الصافى صاف ووضعت من قدام لسبب متقدم والسبب كالتمام والسبب المتقدم هو ان جهة الفضل مقابلة لجهة الغذاء والسبب التمامى هو ان يدرج حمل الضوء على الجليدية ويكون كالجنة لها ثم ان طرق العصبة يحتوي على الزجاجية والجليدية الى الحد الذي بين الجليدية والبيضة والحد الذى ينتهى عنده الزجاجية عند الاكليل احتواء الشبكة على الصيد فلذلك تسمى شبكية وينبت من طرفها نسج عنكبوتى يتولد منه صفاق لطيف تنفذ معه خياطات من الجزء المسمى وذلك الصفاق حاجز بين الجليدية وبين البيضية ليكون بين اللطيف والكثيف حاجز ما وليأتيه غذاء من امامه نافذا اليه من الشبكى والمشيمى وانما كان رقيقاً كنسج العنكبوت لانه لو كان كثيفاً فانما في وجه الجليدية لم يبعد ان يعرض منه لاستحالته ان يحجب الضوء عن الجليدية من طريق البيضية واما طرق الغشاء الرقيق فانه يمتلى ويتشنج عروقا كالمشيمة لانه منفذ الغذاء بالحقيقة

منها فاذا فعل شرا فلا يلومن الا نفسه لانه هو الذي اختار ومال الى ترقى استعداده الى هذه الامور التى صدور الكثير منه شرا ومسلم ان قوة الاستعداد هى تكون منشأ لصدور الكثير من هذا الصفات وغيرها فان البشر الى اي شئ ومادة مال وكان استعداده اكثر فكان صدور ذلك الامر منه كثيراً بلاشك والذي يخطر في البال فيما يمكن فيه الاستدلال هو انهم لما رأوا ان النفوس تتصف بصفاة مختلفة والشئ الواحد لا يمكن ان يتصف بصفاة مختلفة فلا بد من الحكم بان النفس الامارة غير النفس المطمئنة الى غير ذلك وذلك لما وجدمن ان الانسان لا يمكن ان يتصف بالعالمية والجاهلية فانه لو كان عالماً يمتنع ان يكون جاهلا لكن اذا نظرت الحق بعين الانصاف علمت ان الامر

وليس يحتاج الى ان يكون جميع اجزائه مهيأة للمنفعة الغذائية بل الجزء المؤخر ويسمى مشيميا واما ما جاوز ذلك الحد الى قدم فيثخن صفاقا الى الغلظ ماهو ذالون اسمانجونى بين البياض والسواد ليجمع البصر وليعدل الضوء فعل اطباقنا البصر عند الكلال التجاء الى الظلمة او الى التركيب من الظلمة والضوء وليحول بين الرطوبات وبين القوى الشديدة الصلابة ويقف كالمتوسط العدل وليغذو القرنية بما يتأدى اليه من المشيمية ولا يتم احاطته من قدامه لئلا يمنع تأدى الاشباح بل يخلى قدامه فرجه وثقبته كما يبقى من العنب عند نزع ثفروقه عنه فى تلك الثقبة تقع التأدية واذا انسدت منع الابصار وفى باطن هذه الطبقة العنبية خمل يلاقى الجليدة ليكون اشبه بالمتخلخل اللين وليقل اذى مماسته وصلب اجزائه مقدمة حيث تلاقى الطبقة الصلبة حيث يثقب ليكون مايحيط بالثقبة اصلب والثقبة مملوءة رطوبة للمنفعة المذكورة وروحا يدل عليه ضموو ما يوازى الثقبة عند قرب الموت واما الحجاب الثانى فانه صفيق جدا ليحسن الضبط ويسمى مؤخره طبقة صلبة وصفيقة ومقدمه يحيط بجميع الحدقة وتشف لئلا تمنع الابصار فيكون لذلك فى لون القرن المرقق بالنحت والجرد ويسمى لذلك قرنية واضعف اجزائه مايلى قدام وهى بالحقيقة كالمؤلفة من طبقات رقاق أربعة كالقشور

الواحد ههنا ليس بمتصف بصفات مختلفه فان النفس الامارة ليست بمطمئنة الى غير ذلك فالنفس الامارة اذا هذبها الانسان برياضات فحينئذ زالت تلك الصفة وصارت مطمئنة وذلك واقع فلو سلمنا ان النفس الواحدة مرة تكون امارة ومرة مطمئنة وذلك غير ممكن فنقول ان النفس لما كانت مستعدة لان تكون مأثرة ومتأثرة فاذا أورد عليها بعض أمور مهيجة للشهوة تأثرت من ذلك كالجمال مثلا فهاجت الشهوة فتكون النفس حينئذ آمرة بالمعصية واذا تأثرت بالالاهيات والكمالات مالت الى جانب الحق فتكون مطمئنة وليس في آن واحد ومن داع واحد تكون مطمئنة وأمارة ولا محال في ذلك نعم الا انه قد نشاهد شخصاً معيناً في زمان معين نجده متصفاً في صفتين فان زيداً مثلا قد يكون مشتغلا في

المترا كبة ان انقشرت منها واحدة لم تعم الآفة وقال قوم انها ثلاث طبقات ومنها مايحاذى الثقبة لان ذلك الموضع الى الستر والوقاية احوج وأما الثالث فيختلط بعضل حركة الحدقة و يمتلئ كله لحما ابيضاً دسماليلين العين والجفن ويمنعهما من ان تجف وتسمى جملة الملتحم فاما العضل المحركة للمقلة واما الهدب فقد خلق لدفع مايطير الى العين و ينحدر اليها من الرأس ولتعديل الضوء بسواده اذ السواد يجمع نور البصر وجعل مغرسه غشاء يشبه الغضروف ليحسن انتصابها عليه فلايضطجع لضعف المغروس ويكون للعضلة القائحة للعين مستنداً كالعظم يحسن تحريكه واجزاء الجفن جلدا ثم احد طاقى الغشاء ثم شحمه ثم عضله ثم طاقه الآخر وهذا هو الاعلى وأما الاسفل فينعقد من الاجزاء العضلية والموضع الذي فى شقه خط وهو مايلي موقه عند مبدأ العضلة قال المتأخرون من الحكماء النور هو الفاعل الطبيعى الذى به يشعر عضو البصر بالاجسام المرئية وفى ماهيته قولان احدهما انه مادة لطيفة مؤلفة من ذرات دقيقة جداً تنتشر من الاجسام المنيرة الى كل الجهات على خطوط مستقيمة بسرعة فائقة جدا وانه بواسطة تلك المادة المنعكسة عن الاجسام الى العين تدرك آلة البصر المرئيات والثانى انه حاسية يحدثها نقر

طرب عند دواعى الطرب وفى ذلك الآن ان جاء خبر مكدر انقبضت نفسه وذهب طربه فالنفس فى زمن قليل اتصفت بصفتين احدها انفعالها من قبل دواعى الشهوة فتكون مشتهية متلذذة والثانى انها انفعلت من دواعى الاحزان فتكون منكسرة متفرغة الى الله تعالى وهذا يقتضى تعدد النفوس أقول هذ أيضاً لايقتضى تعدد النفوس لان الدواعى عند تعارضها غلب ماهو أقوى فالنفس وان كانت أمارة بالسوء اذا كثرت عليها دواعى الانكسار والتوجه الى الله انقلبت في تلك الساعة وتوجهت لله تعالى فان الله لما اودع فيها استعداد قبول صور الكائنات توجهت النفوس الى ما يكثر دواعى التوجه اليه فان النفس الامارة بالسوء عند الدواعى تكون مطمئنة كالشجرة فان الله لما اودع فيها قوة التمايل والاهتزاز

تموج مادة لطيفة جداً مالئة الفضاء يقال لها ايثير على عصب البصر وهذا التموج انما يصدر عن الاجسام المنيرة التى لها قوة على اصداره وينبعث الى العين او يقع على الاجسام المرئية وينعكس اليه فيحدث فيه الحاسية بالنور وبالوان المواد المرئيـة التى يأتى أو ينعكس عنها كالاصفر والاحمر وغيرهما كما ان تموج الهواء الصادر عن المواد المصوتة يحدث الحاسية بالصوت فى عصب السمع ويشكل الصـوت الآتى عن المواد كالرتة والطقطقـة وغيرهما وهذا الشعور بالوان المواد المرئية يعرف بالبصر فالنور واللون فى البصريات يشبهان الصوت وشكله فى السمعيات غير ان سرعة تموج النور نحو ١٧٥ ضعف تموج الهوى وأما القول الاول فمذهب العلامة اسحق نيوتسون وأما الثاني فمذهب هوبجنس وجمهور الطبيعيين والخادم للقوة العاقلة الانف تشتمل على تشريح عظامه وغضروفه والعضل المحركة لطرفيه وذلك مما فرغ منه ومجرياه ينفذان الى المصفاة الموضوعة تحت الجسمين المشبهين بحلمتى الثـدي والحجاب الدماغى هنـاك ايضاً يثقب ثقباً بازاء ثقبـه من المصـفاة لينفذ فيها الريح ويؤدى ولكل مجرى ينفذ الى الحلق وتشريح الآلة التى بها يقع الشم وتلك هي الزايدتان الحلميتان اللتان فى مقـدم الدماغ ويستمدان من البطنين المقدمين من الدماغ وكذلك

فاذا هب هواء شـديد فالشـجرة وان كانت قوية ثابتـة في الارض عارض قوتها وكسرها فتبين لك حكم جـذبة بعض الناس المتجاهرين في المعاصى عند وقوفهم في حلقات الذكر وجه الشـيخ فان الرجـل الفاسق اذا وقف بين يدي الشيخ الكامل فتغلب الدواعى الرواحانية فيجـذب الى المقامات العالية وأيضاً عند وقوفه فى حلقات الذكر تكثر الدواعى من مدح النبى بالحان طيبـة وأصوات رطبة تهيم النفوس الى الحق وتمـايل الرجال وضرب الدفوف وغير ذلك من همت الشـيخ وصـفاء الوقت فهـذه الدواعى لابد وان يجذب الرجل وان كان فاسقاً فجذبت الفاسق قد تكون صحيحة قال الامام فى تفسـيره ما يؤيد ما نحن عليـه فلا بد من نقـله اختلف في ان النفس الامارة بالسوء

تتصفى الفضول فى تلك الثقب ومن طريقها ينال الدماغ والزائدتان النابتتان منه الرائحة ينشق الهواء والدماغ نفسه يتنفس ليحفظ الحار الغريزي فيه فيربو ويأزر كالنابض وقد يربو عند الصباح وعند اختناق الهواء والروح الى فوق وفى أقصى الأنف مجريان الى الماقين ولذلك يذاق طعم الكحل بنزوله الى اللسان وأما كيفية الشم فقد ذكرت فى باب القوى وأما الرائحة تكون فى الهواء بانفعال منه أو تأدية أو بسبب بخار يتحلل كذا قالت الفلاسفة وقال الاطباء ان الشم قد يكون فى الاصل باستحالة ما من الهواء على سبيل التأدية ثم يعينه سطوع البخار من ذي الرائحة واذ قد ذكرنا تشريح الانف فواجب عليك ان تعرف كيفية تحصيل العلوم القوة العاقلة من هذه الحساسة والخادم الثالث للقوة العاقلة الآذان وهو عضو خلق للسمع وجعل صدف معوج ليحبس جميع الصوت ويوجب طنينه وثقب يأخذ فى العظم الحجري ملولب معوج ليكون تعويجه مطولا لما فيه الى داخل مع قصر نحته الذي لو جعل الثقب نافذا فيه نفوذا مستقيما تقصرت المسافة وانما دبر لتطويل المسافة اليه لئلا يقافص باطنه الحر والبرد المفرطان بل يردان عليه مندرجين اليه وثقب الاذن يؤدي الى جوية فيها هواء راكد وسطحها الانسى مفروش بليف العصب السابع الوارد من زوج

ما هى والمحققون قالوا النفس الانسانية شئ واحد ولها صفاة كثيرة واذا مالت الى العالم الالهى كانت نفساً مطمئنة واذا مالت الى الشهوات والغضب كانت امارة بالسوء وكونها امارة بالسوء يفيد المبالغة والسبب فيه ان النفس من اول حدوثها قد الفت بالمحسوسات والتذت بها وعشقتها فاما شعورها بعالم المجردات وميلها اليها فذلك لايحصل الانادراً فى حق الواحد فالواحد وذلك الواحد انما يحصل له ذلك التجرد والانكشاف طول عمره في الافات النادرة فلما كان الغالب هو انجذابها الى الجسم وكان ميلها الى العالم الاعلى نادراً لا جرم حكم عليها بكونها أمارة بالسوء ومن الناس من زعم ان النفس المطمئنة هى النفس العقلية الناطقة وأما النفس الشهوانية

الخامس من ازواج العصب الدماغى وصاب فضل تصليب لئلا يكون ضعيفاً منفعلا عن قرع الهواء وكيفيته فاذا تأدى الموج الصوتى الى ما هناك ادركه وهذه العصبة فى احوال السمع كالجليدية فى احوال الابصار ولتخدمها أو تقيها او تعينها والصماخ كالثقبة العنبية وخلقت الاذن غضروفية فانها لو خلقت لحمية أو غشائية لم تحفظ شكل التقعير والتفريج الذى فيها ولو خلقت عظيمة لتأذت ولآدت فى صدمة بل غضروفية لها حفظ الشكل لين انعطاف وخلقت الاذن فى الجانبين لان المقدم كان أوفق للبصر فاشغل بالعين وخلقت تحت قصاص الشعر فى الانسان لئلا تكون تحت ستر الشعر وسترا للباس وهذا العضو يعرض له أصناف الامراض وربما كانت أوجاعها قاتلة وكثيرا مايعرض من أمراضها حميات صعبة الخادم الرابع الفم واللسان اللذان بهما يحصل الذوق الفم عضو ضروري فى ايصال الغذاء الى الجوف الاسفل ومشارك في ايصال الهواء الى الجوف الاعلى ونافع وقذف الفضول المجتمعة فى فم المعدة اذا تعذر او عسر دفعها الى أسفل وهو الوعاء الكلى لاعضاء الكلام فى الانسان والتصويت فى سائر الحيوانات المصوتة من النفخ واللسان عضو منه هو من الآت تقليب الممضوغ وتقطيع الصوت واخراج الحروف اليه تميزا الذوق وجلدة سطحه الاسفل متصلة بجلدة المرى وباطن

والعضبية فيهما مغايرتان للنفس الناطقة وتحقيق الحق فى هذا الباب مذكور في الكتب ولم نجدها حتى نذكر ما قالوا ونبين ان الحق احق بالاتباع لكن الحمد لله الذي جعل العقول لا يمكن ختم صحائفها وقال الشيخ الاكبر اعلم ان النفس من حيث ذاتها مهيأة لقبول استعداد ما تخرج به التوفيقات الالهية فمنهم من حصل له استعداد توقيع الولاية خاصة فلم يزد عليها ومنهم من رزق استعداد ما ذكرناه من المقامات كلها او بعضها وسبب ذلك ان النفوس خلقت من معدن واحد كما قال الله تعالى خلقكم من نفس واحدة وقال بعد استعداد الجسد ونفخت فيه من روحى فمن روح واحد صح السر المنفوخ والمنفوخ فيه وهو النفس وقوله في أي صورة ما شاء ركبك يريد بحكم الاستعدادات

المعدة وجلدة النطع مقسومة منصفة بحذاء الدرز السهمى وبينهما مشاركة فى أربطة واتصال وقد عرفت عضله المحركة والمحبسة وأفضل الالسنة فى الاقتدار على جودة الكلام المعتدل فى طوله وعرضه المستدق عند أسلته فتبين لك كيفية خدمة الذوق للقوة العقلية فاعلم ان القوي والافعال يعرف بعضها من بعض اذ كان كل قوة مبدأ فعل ما وكل فعل انما يصدر عن قوة فلذلك جمعناها فى تعليم واحد فاجناس القوى وأجناس الافعال الصادرة عنها عند الاطباء ثلاثة جنس القوى النفسانية وجنس القوى الطبيعية وجنس القوى الحيوانية وكثير من الحكماء وعامة الاطباء وخصوصاً جالينوس يرى ان لكل واحدة من القوي عضواً رئيساً هو معدنها وعنه تصدر أفعالها ويرون ان القوة النفسانية مسكنها ومصدر أفعالها الدماغ وان القوة الطبيعية لها نوعان نوع غايته حفظ الشخص وتدبيره وهو المتصرف فى أمر الغذاء ليغذو البدن ومدة بقائه ونميه الى نهاية نشو ومسكن هذ النوع ومصدر فعله هو الكبد ونوع غايته حفظ النوع وهو المتصرف في أمر التناسل ليفصل من امشاج البدن جوهر المنى ثم يصور باذن خالقه ومسكن هذا النوع ومصدر أفعاله هو اثيان والقوة الحيوانية وهى التى تدبر أمر الروح الذي هو مركب الحس والحركة وتهيئه لقبوله اياها اذا حصل فى الدماغ وتجعله بحيث يعطى

فيكون بحكم الاستعداد في قبول الامر الالهى فلما كان أصل هذه النفوس الجزئية الطهارة من حيث أبيها ولم يظهر لها عين الابوجود الجسد الطبيعى وكانت الطبيعة الثانية ممتزجة فلم يظهر فيها اشراق النور الخاص المجرد عن المواد ولا تلك الظلمة الغاشية التى هى حكم الطبيعة فالطبيعة شبيهة بالمعدن والنفس الكلية مشبهة بالافلاك التى لها العقل وعن حركاتها يكون في العناصر والجسد المسكون في المعدن بمنزلة الجسم الانساني والخاصية التى هى روح ذلك الجسد المعدني بمنزلة النفس الجزئية التى للجسم الانسانى وهو الروح المنفوخ وكما ان الاجساد المعدنية على مراتب العلل طرأت عليهم فى حال التكوين مع كونهم يطلبون درجة الكمال التى لها ظهرت أعيانهم كذلك الانسان خلق للكمال فما صرفه

مايفشو فيه الحيوة ومسكن هذه القوى ومصدر فعلها هو القلب وأما الحكيم الفاضل ارسطوطاليس فيرى ان مبدأ جميع هذه القوى هو القلب الا ان لظهور أفعالها الاولية هذه المبادي المذكورة كما ان مبدأ الحس عند الاطباء هو الدماغ ثم لكل حاسة عضو مفرد منه يظهر فعله ثم اذا فتش عن الواجب وحقق وجد الامر على ماوراء ارسطوطاليس دونهم وتوجد أقاويلهم منتزعة من مقدمات مقنعة غير ضرورية انما يتبعون فيها ظاهر الامور وأما القوي الطبيعية فمنها خادمة ومنها مخدومة والمخدومة جنسان جنس يتصرف فى الغذاء لبقاء الشخص وينقسم الى نوعين الى الغاذية والنامية وجنس يتصرف لبقاء النوع وينقسم الى نوعين الى المولدة والمصورة فاما القوة الغاذية فهى التى تحيل الغذاء الى مشابهة المغتذى ليخلف بدل مايتحلل وأما النامية فهى الزائدة فى اقطار الجسم على التناسب الطبيعى ليبلغ تمام النشئ بما يدخل فيه من الغذاء والغاذية تخدم النامية والغاذية تورد الغذاء تارة مساويا لما يتحلل وتارة انقص وتارة ازيد والنمو لايكون الا بعد ان يكون الوارد ازيد من المتحلل الا انه ليس كل ما كان كذلك كان نموا فان السمن بعد الهزل فى سن الوقوف هو من هذا القبيل وليس هو بنمو وانما النمو ما كان على تناسب طبيعى فى جميع الاقطار ليبلغ به تمام النشئ ثم بعد

عن ذالك الكمال الا
علل وأمراض طرأت
عليهم أما في أصل ذاتهم
واما بامور عرضية
انتهى قال الامام أيضاً
ان الله تعالى بعث جوهر
النفس الناطقة القريبة
الى هذا العالم الجسماني
واعطاه هذه الآلات
الجسمانية والادوات
الجسدانية واعطاه العقل
والتفكر لاجل ان يتوسل
باستعمال هذه الآلات
والادوات الى تحصيل
المعارف الحقيقة الفاضلة
التى يعظم منافعها بعد
الموت فاذا استعمل هذه
الآلات والادوات قوة
القوة العقلية والقوة
الفكرية وترقى تحصيل
اللذات والسعادات
المتعظمة ثم اعلم ان هذا
المقصد قد انعقد لاثبات
ان الانسان فيه استعداد
الخير أكثر وأوفي من
استعداد الشر بناء على
مافية من القوة الروحانية
وكلام الشيخ والامام سقناه
لتأيد ماادعيناه في هذا
المقصد وان كان ماسقناه

من الادلة كافياً في اثبات مطلوبنا الا ان هذين الامامين الهمامين لما كانا من أساطين الامة فيجب نقل كلامهما لان الاقتداء بهما يحق ثم اعلم ان لسان المعرفة ناطق بان كمال السعادة ليس الا في معرفة ذات الله ومعرفة صفاته ومعرفة أفعاله من الملائكة وطبقات الارواح وعالم السموات وبالجملة يجب ان يصير روح الانسان كالمرأة المحاذية لعالم القدس ثم ان هذه المعارف تحصل بها الالتذاذ والابتهاج لما ان العلائق البدنية تعوق عن ظهور تلك السعادات العظيمة واللذات فاذا زال هذا العايق حصلت السعادات العظيمة والحاصل ان كل مادة روحانية يجدها الانسان بعد الموت فانه يقول هذه هي التي كانت حاصلة لي حين كنت في دار الدنيا وذلك اشارة الى الكمالات النفسانية الحاصلة في الاخرة هي التي كانت حاصلة في الدنيا

ذلك لاتنموا البتة وان كان سمن كما انه لايكون قبل الوقوف ذبول وان كان هزل على ان ذلك ابعد وعن الواجب اخرج والغاذية يتم فعلها بافعال جزئية ثلاثة احدها تحصيل جوهر البدن وهو الدم والخلط الذي هو بالقوة من الفعل شبيه بالعضو وقد تخل به كما يقع في علة تسمى اطروفيا وهو عدم الغذاء والثاني الالزاق وهو ان يجعل هذا الحاصل غذاء بالفعل التام اي صائرا جزء عضو وقد يخل به كما في الاستسقاء اللحمي والثالث التشبيه غير وأن يجعل هذا الحاصل عند ماصار جزأ من العضو شبيها به من كل جهة حتى في قوامه ولونه ويخل به كما في البرص والبهق فان البدل والالزاق موجودان فيهما والتشبيه غير موجود وهذا الفعل للقوة المغيرة من الغاذية وهي واحدة في الانسان بالجنس او المبدأ الاول وتختلف بنوع يولد المني في الذكور والاناث ونوع يفصل القوة التي في البدن فيمزجها تمزيجات بحسب عضو عضو فيخص للعصب مزاجا خاصا وللعظم مزاجا خاصا واما الخادمة الصرفة في القوى الطبيعة فهي خوادم القوة الغاذية وهي قوى اربع الخادمة والماسكة والهاضمة والدافعة والجاذبة خلقت لتجذب النافع وتفعل ذلك بليف العضو الذي هي فيه الذاهب على الاستطالة والماسكة خلقت لتمسك النافع ريثما تتصرف فيه القوة المغيرة له الممتازة منه ويفعل ذلك بليف مورب بهما ربما اعانه المستعرض

وتفصيلها مذكور في الكتب المفضلة وأما القوة الحيوانية فيعنون بها القوة التي اذا حصلت في الاعضاء هيئتها لقبول الحس والحركة وأفعال الحيوة ويضيفون اليها حركات الخوف والغضب لما يجدون في ذلك من الانبساط والانقباض العارض للروح المنسوب الى هذه القوة ولنفصل هذه الجملة فنقول انه كما قد يتولد عن كثافة الاخلاط ولطافتها بحسب مزاج ماهو جوهر كثيف هو العضو أو جزء من العضو فقد يتولد من بخارية الاخلاط ولطافتها بحسب مزاج ماهو جوهر لطيف هو الروح وكما ان الكبد عند الاطباء معدن التولد الاول كذلك القلب معدن التولد الثانى وهذا الروح اذا حدث على مزاجه الذي ينبغي ان يكون له استعد لقوة تلك بعد الاعضاء كلها لقبول القوى الاخرى النفسانية وغيرها والقوى النفسانية لاتحدث فى الروح والاعضاء الا بعد حدوث هذه القوة وان تعطل عضو من القوى النفسانية ولم يتعطل بعد من هذه القوى فهو حيّ الا ترى ان العضو الخدر والعضو المفلوج فاقد فى الحال لقوة الحس والحركة لمزاج يمنعه عن قبوله أو سدة عارضة بين الدماغ وبينه فى الاعصاب المنبثة اليه وهو مع ذلك حيّ والعضو الذي يعرض له الموت فاقد الحس والحركة ويعرض له ان يعفن ويفسد فاذن فى العضو المفلوج قوة تحفظ حياته

الا انها فى الدنيا ماأفادت اللذة والبهجة والسرور وفى الاخرة أفادت هذه الاشياء لزوال العلائق فلا بد من ان نذكر لك كلام الامام فى تفسير قوله تعالى زين للناس حب الشهوات انه يدل على أمور ثلاثة أولها انه يشتهى أنواع المشتهيات وثانيها انه يحب شهوته لها وثالثها انه يعتقد ان تلك المحبة حسنة وفضيلة ولما اجتمعت فى هذه الفضيلة الدرجات الثلاثة بلغت الغاية القصوى فى الشدة والقوة ولا يكاد ينحل الا بتوفيق عظيم من الله تعالى ثم انه تعالى أضاف ذلك الى الناس وهو لفظ عام دخل عليه حرف التعريف فيفيد الاستغراق فظاهر اللفظ يقتضى ان هذا المعنى لجميع الناس والفعل أيضاً يدل عليه وهو ان كل ما كان لذيذا ونافعا فهو محبوب ومطلوب لذاته واللذيذ النافع قسمان جسماني وروحاني والقسم الجسماني حاصل

حتى اذا زال العايق فاض اليه قوة الحس والحركة وكان مستعداً لقبولها بسبب صحة القوة الحيوانية فيه وانما المانع هو الذي يمنع عن قبوله بالفعل ولا كذلك العضو الميت وليس هذا المعد هو قوة التغذية وغيره حتى اذا كانت قوة التغذية باقية كان حياً واذا بطلت كان ميتاً فان هذا الكلام بعينه قد يتناول قوة التغذية فربما بطل فعلها في بعض الاعضاء وبقي حياً وربما بقي فعلها والعضو الى الموت ولو كانت القوة المغذية بما هي قوة مغذية تعدد للحس والحركة لكان النبات قد يستعد لقبول الحس والحركة فينبغي ان يكون المعد امراً آخر يتبع مزاجاً خاصاً ويسمى قوة حيوانية وهو أول قوة تحدث في الروح اذا حدث الروح من لطافة الامشاج ثم ان الروح تقبل بها عند الحكيم أرسطوطاليس المبدأ الاول والنفس الاولى التي ينبعث عنها سائر القوى الا ان أفعال تلك القوى لا تصدر عن الروح في أول الامر كما انه أيضاً لا يصدر الاحساس عند الاطباء عن الروح النفساني الذي في الدماغ مالم ينفذ الى الجليد أو الى اللسان أو غير ذلك فاذا حصل قسم من الروح في تجويف الدماغ قبل مزاجا وصلح لان يصدر عنه أفعال القوة الموجودة فيه بدنا وكذلك في الكبد وفي الانثيين وعند الاطباء مالم يستحل الروح عند الدماغ الى مزاج آخر لم يستعد لقبول النفس التي هي مبدأ الحركة والحس وكذلك

لكل في أول الامر وأما القسم الروحاني فلا يكون الا في الانسان الواحد على سبيل الندرة ثم ذلك الانسان انما يحصل له تلك اللذة الروحانية بعد استئناس النفس باللذات الجسمانية فيكون انجذابها الى اللذات الروحانية كالحالة الطارية التي تزول بادنى سبب فلا جرم كان الغالب على الخلق انما هو الميل الشديد الى اللذات الجسمانية وأما الميل الى طلب اللذات الروحانية فذلك لا يحصل الا للشخص النادر ثم حصوله لذلك النادر لا يتفق الا في أوقات نادرة فلهذا السبب عمم الله تعالى الحكم في الكل فقال زين للناس حب الشهوات فاقول ظاهر هذا ينافي ما نقلناه لك عنه في الصحيفة الماضية ان الله بعث جوهر النفس الناطقة القدسية الى الاجسام وأعطاه

في الكبد وان كان الامتزاج الاول قد أفاد قبول القوة الاولى الحيوانية وكذلك في كل عضو كان جنس من الافعال عندهم نفس أخرى وليست النفس واحدة يفيض عنها القوى أو كانت النفس مجموع هذه الجملة فانه وان كان الامتزاج الاول فقد أفاد قبول القوة الاولى الحيوانية روح وقوة هي كماله لكن هذه القوة وحدها لا تكفي عندهم لقبول الروح بها ساير القوى الاخر مالم يحدث فيها مزاج خاص قالوا وهذه القوة مع انها مهيأة للحيوة فهي أيضاً مبدأ حركة الجوهر الروحي اللطيف الى الاعضاء ومبدأ قبضه وبسطه للتنسم والتنفس على ماقيل كانها بالقياس الى الحيوة تقبل انفعالات وبالقياس الى أفعال النفس والنبط تفيد فعلا وهذه القوة تشبه القوى الطبيعية لعدمها الارادة فيما يصدر عنها وتشبه القوى النفسانية لتعين أفعالها لانها تقبض وتبسط معا وتحرك حركتين متضادتين الا ان القدماء اذا قالوا نفس للنفس الارضية عنوا كمال جسم طبيعي آلي وأرادوا مبدأ كل قوة تصدر عنها بعينها حركات وافاعيل متخالفة فتكون هذه القوة على مذهب القدماء قوة نفسانية كما ان القوي الطبيعية التي ذكرناها تسمي عندهم قوة نفسانية واما اذا لم يرد بالنفس هذا المعني بل عني به قوة هي مبدأ ادراك وتحريك تصدر عن ادراك ما وأريد بالطبيعة كل قوة يصدر عنها فعل في جسمها على خلاف هذه العقل والفكر وهذا آلات الجسمانية ليحصل المعارف الحقيقية والاخلاق الفاضلة وأيضاً ذكرنا عنه في كتابنا المسمى كشف الريوب ان الارواح خلقت مستعدة متفاوتة في الاستعداد فمنها حرة ومنها نذلة ومنها زكية ومنها بليدة ونقلنا لك في موضع آخر عنه من كشف الريوب ان الروح خلقت مظلمة فخلق الله العقل يفيض عليها النور فبين هذه الكلمات تناقض ووجه المناقضة كونها مخلوقة مستعدة ذكية ينافي ان تكون مظلمة كما بين كونها شراً تحب الرذائل مناقضة مع قول انها خلقت لتحصيل المعارف والكمالات وكيف التوفيق بين هذه الكلمات أقول مايخطر في بالي وعلى الله الاتكال في توجه هذه الكلمات والكلام قريب التوفيق على ما هو

الصورة لم تكن هذه القوة نفسانية بل كانت طبيعية وأعلى درجة من القوة التي يسميها الاطباء طبيعية وأما ان سمي بالطبيعة مايتصرف في أمر الغذاء وحالته سواء كان لبقاء شخص أو بقاء نوع لم تكن هذه طبيعة وكانت جنساً ثالثاً ولان الغضب والخوف وما أشبههما انفعال لهذه القوة وان كان مبدؤها الحس والوهم كانت منسوبة الى هذه القوى وتحقيق بيان هذه القوى وانها واحدة أو فوق واحدة هو الى العلم الطبيعي الذي هو جزء من الحكمة والقوة النفسانية تشتمل على قوتين قوة مدركة في الظاهر وقوة مدركة في الباطن والقوة المدركة في الظاهر هي الحسية وهي كالجنس لقوى خمس عند قوم وثمان عند قوم واذا أخذت خمسة كانت قوة الابصار وقوة السمع وقوة الشم وقوة الذوق وقوة اللمس وأما اذا أخذت ثمانية لان بعض الحكماء يرون ان اللمس قوة كثيرة بل هو قوى أربع ويخصون كل جنس من الملموسات الاربع بقوة على حدة الا انها مشتركة في العضو الحساس كالذوق واللمس في اللسان والابصار واللمس في العين وتحقيق هذا مسطور في كتب القوم والقوة المدركة في الباطن أعني الحيوانية هي كالجنس لقوى خمس احداها القوة التي تسمي الحس المشترك والخيال وهي عند الاطباء قوة واحدة وعند المحصلين من الحكماء قوتان فالحس المشترك هو الذي يتأدى اليه المحسوسات كلها وينفعل

المرام انه قال النفس بعد استئناسها باللذات الجسمانية فيكون انجذابها الى اللذات الروحانية وهذا لاينافي كونها مبعوثة لتحصيل المعارف الحقيقة والاخلاق الفاضلة لانه في هذا الكلام اعتبر أصل الفطرة وفي ذلك اعتبر بعد التألف فلا تناقض بين الكلامين لانه ما كان ثابتاً في أصل الفطرة يجوز تغييره بعد التألف ومن هذا يتبين لك ان المشغول بالمعاصي أيضاً تطرئ عليه احوال الروحانية فيجذب للحق وذلك عند الدواعي فلنزيد بذلك الكلام تحقيقاً يتضح فاقول قال الله تعالى أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لاترجعون فلو لم يكن الانسان مخلوقاً للكمال والمعارف الالهية لكان خلقه عبثاً وذلك ينافي قوله انما خلقناكم عبثاً لان الشر مضر في نظام العالم لافائدة فيه

عن صورها ويجمع فيه والخيال هو الذي يحفظها بعد الاجتماع ويمسكها بعد الغيبوبة عن الحس والقوة القابلة منهما غير الحافظة وتحقيق الحق في هذا هو أيضاً في كتب القوم وكيف ما كانت ان الاولى قابلة أو حافظة لما يتادى اليها من الصور المحسوسة وأما هذه فانها تتصور على المستودعات في الخيال تصرفاتها من تركيب وتفصيل فتستحضر صوراً على نحو ما تأدى من الحس وصوراً مخالفة لها كانسان يطير وجبل من زمرد وأما الخيال فلا يحضره الا للقبول من الحس ومسكن هذه القوة هو البطن الاوسط من الدماغ وهذه القوة هي آلة لقوة هي بالحقيقة المدركة الباطنة في الحيوان وهي الوهم وهو قوة التي يحكم في الحيوان بان الذئب عدو والولد حبيب وان المتعهد بالعلف صديق لا ينفر عنه على سبيل غير نطقي والعداوة والمحبة غير محسوسين ليس يدركهما الحس من الحيوان فاذن انما يحكم بهما ويدركهما قوة أخرى وان كان ليس بالادراك النطقي الا انه لامحالة ادراك ماغير النطقي وانسان أيضاً قد يستعمل هذه القوى في كثير من الاحكام ويجري في ذلك مجرى الحيوان الغير الناطق وهذه القوة تفارق الخيال لان الخيال يستثبت المحسوسات وهذه تحكم في المحسوسات بمعان غير محسوسة وتفارق التي تسمي مفكرة ومتخيلة بان أفعال تلك لا يتبعها حكم ما وأفعال هذه يتبعها حكم ما وأفعال تلك تركبت في المحسوسات وفعل هذه

فيكون عبثاً فلا بد من ان يكون الانسان في أصل فطرته مخلوقاً لتحصيل الكمالات والمعارف الالهية لئلا يكون خلقه عبثاً والدليل العقلي ان الروح لها صفات تصدرها عند الدواعي مثل الغضب والشهوة وهذه الامور كلها ليست بشر في نفسها فبينا الدليل في ما سبق وبينا لك ان الاكثر من هذه الامور شر لانه مقر وتوجيه المناقضة بين قوله فيما مضى ان الارواح خلقت مستعدة متفاوتة في الاستعداد الى آخره وفي محل آخر انها خلقت مظلمة فخلق العقل يفيض عليها النور انه أراد بالظلمة انها في استعداد المحض فالعقل يدبر ترقيات الاستعداد ولذلك قال فخلق العقل يفيض عليها النور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان الله ينهاكم عن

هو حكم فى المحسوس من معنى خارج عن المحسوس وكما ان الحس في الحيوان حاكم على صور المحسوسات كذلك الوهم فيها حاكم على معانى تلك الصور التي تتأدى الى الوهم ولا تتأدى الى الحس ومن الناس من يتجوز ويسمي هذه القوة تخيلا وله ذلك اذ لامنازعة فى الاسماء بل يجب ان يفهم المعانى والفروق ثم الصور العقلية تمتازعن الخارجية بوجوه الاول أنها غير متمانعة فى الحلول اذ يجوز حلولها معاً فى محل واحد بخلاف الصور الخارجية فان المتشكل بشكل مخصوص مثلا يمتنع أن يتشكل بشكل آخر مع الشكل الاول وكذا المادة المتصورة بالصورة النارية يستحيل ان تتصور معها بصورة أخرى بل الصور العقلية متفاوتة فى الحلول فان النفس اذا كانت خالية عن العلوم كان تصورها لشئ من الحقايق عسراً جداً واذا اتصف ببعض العلوم زاد استعدادها للباقي وسهل انتقاشها به الثانى تحل الكبيرة من الصور العقلية فى محل الصغيرة منها معاً ولذلك تقدر النفس على تخيل السموات والارض والجبال والامور الصغيرة بالمرة معاً بخلاف الصور المادية فان العظيمة منها لاتحل فى محل الصغيرة مجتمعة معها الثالث لاينمحي الضعيف بالقوي يعنى ان الصورة العقلية للكيفية الضعيفة منها تنمحي عن المادة عند حصول الكيفية القوية فيها الرابع الصور العقلية اذا حصلت فى العاقلة لايجب زوالها واذا زالت سهل استرجاعها

الربا ويأخذه منكم وهو حديث صحيح فأدخل نفسه فيما نهانا عنه في الحكم فالاخلاق كلها نعوت الاهية واذا كانت نعوت الاهية فكلها مكارم وكلها فى جبلية الانسان ولذلك خوطب بها فان بعض من لا معرفة له بالحقائق يقول انها فى الانسان تخلق وفي الحق خلق فهذا من قائله جهل بالامور ان لم يطلق ذلك مجازاً ويستدل أيضاً ان الله أوجد العالم على أكمل مايكون من الوجود فانه لابد ان يكون كذلك لاستحالة اضافة الناقص الى كامل الاقتدار فلذلك قال تعالى أعطى كل شئ خلقه وهو الكمال كذا قال صاحب الفتوحات قدس سره وقد أوعدناك فيما سلف تحقيق الآية وهى قوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها بمعنى انه جعلها مستعدة للفجور

من غير حاجة الى تجشم كسب جديد بخلاف الصور الخارجية فانها واجبة الزوال عن المادة العنصرية لاستحالة بقاء قواها أبداً واذا زالت احتج فى استرجاعها الى مثل السبب الاول ومن الفروق بينهما ان الصور الخارجية قد تكون محسوسة بالحواس الظاهرة بخلاف الصور العقلية ومنها ان الصور العقلية كلية بخلاف الخارجية فتبين مما قررنا ان العقول ليست بعالمة بل هى مستعدة فاذاً لابد للعالم فى النشأة الاولى من معلم يدرس العلوم ويبين الاحكام الالهية اعلم انه لابد لجمعية البشر من معلم يعلمهم الاحكام الآلهية والمواد التي يتوقف عليها نظام التعيش والاستراحة وأما لابد لهذه الجمعية من نوع البشر من معلم يعلمهم الاحكام الآلهية لان كل بشر لابد له من قانون وناموس يحافظ به حقوقه لانه مدنى الطبيعة وهو محتاج فلا بد وان يحصل التغالب وشدة الطمع والحرص فيقع بينهم النزاع والجدال فلا بد حينئذ من قانون يحافظ حقوق ذلك النوع من وقوع الخلل وذلك القانون لا يمكن ان يكون من أهل العقول السليمة لانه قد تقرر عندنا سابقاً بدلايل برهانية ان الانسان ليس بعالم ولا مقتدر على فهم الحقايق حتى يحصل العلوم والمعارف الالهية وغيرها بواسطة معلم كيف يمكنه ان يضع قانوناً لاجل محافظة النظام وهذه المقدمات تثبت عدم اقتدار الانسان للعلوم والمعارف فى النشأة الاولى فاذا تحقق وتقرر

والتقوى وهذه الآية لاتدل على ان قوة الروحانية راجحة على قوة الفاجرة والمعنى ان الله جعل النفس مستعدة قابلة لهذين الامرين الا ان الآية أيضاً ناطقة بأن البشر خالي عن الشرور في أصل خلقته لان الله تعالى قال بعد ذلك قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها كذبت ثمود بطغواها فان الله جعل علة الكذب مسبباً من اختيارها لفعل الطغيان وهذا دليل بأن الشرور لا تصدر الا بارتكابه لطريق المعصية فاذا تأملت ماقررناه علمت مانقوله اذا حقا وأيضاً يندفع التناقض بين كلامى الامام فانه لما قال ان الانسان يحب شهوته مراده بعد ظهور العوايق لان الانسان لما خلقت له الحواس وجعلت جواسيسا وهى تستلذ باللذائذ الحسية غلبت جهة صدور الشر على

صدور الخير وذلك لاينافي انها في استعدادها خلقت خيراً محضاً ثم ان الحواس أيضاً من حيث هي هي ما خلقت لجلب الشرور بل خلقت لتحصيل المعارف والكمالات والدليل على ذلك العقل والقرآن أما القرآن فقوله تعالى هو الذي اخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والبصر والافئدة فتبين ان الحواس ما جعلت الاجواسيساً للقوة العقلية حتى تستفيد المعارف والعلوم ثم وقع بعد ذلك من تجسيسات للانسان وبناء امور لم يخلق لها والتكاثر في افراط الامور التي أفراطها سبباً لخراب الهيئة الاجتماعية فالحواس الخمس صارت جواسيساً لتأليف الروح بهذه الامور بعد ما تعاطاها الكثير منهم وذلك لا يدل على ان الانسان خلق خيراً محضاً ثم هو تجاوز في

ان الانسان محتاج في مدنيته الى قانون لايمكن ان يكون صادراً من عقول الانسان بل لابد وان يكون من الحضرة الالهية ومن هذا التحقيق انحلت مسائل المسئلة الاولى ان الموجد للعالم هو الله تعالى لان العالم اذا لم يكن لها معلم لما حصلت العلوم لانا نشاهد ان الانسان لايمكنه ان يحصل العلوم من دون معلم ويشهد على ذلك ان بعض الملوك قد استولت على الارض شرقها وغربها وكانوا يعبدون آلهة متعددة صنعوها بايديهم وكذلك كثير من الملل في القرون السالفة حتى كانت تنذر البنت الباكرة نفسها الى خدمة المعابد واذ رجعت بعد زمان طويل تحرق وتحبس ولا يعطى لها الا الخبز والماء وقنديل وكان شرط التي تخدم في ذلك المعبد ينبغي ان تكون من بيوت الاكابر والملوك وكان حرام عليها التأهل وغير ذلك وكان الكهنة لهم حظا عظيما في ذلك الزمان وأيضاً في الزمان المتقدم كان شرعياً ان يقتل الانسان نفسه بالرياضة وكثير من عبدة ذلك الزمان يظنون ان الرجل اذا أراد لقاء الله تعالى فليرم نفسه من شاهق الجبل وكانوا يحرقو موتاهم بزعمانه بعد هذا الحرق يدخل نعيما أبدياً وغير ذلك من الخرافات فكن على بصيرة ان المعلم هو الروح في الحقيقة للانسان فلو المعلم لبقي العالم في نوع الخرافات الى مالا يعلم حده من الزمان فلا يجوز ان يقال حينئذ ان المادة قديمة والعالم من الانسان وغير ذلك موج

من تموجاته ولايجوز للطبيعيين القول بقدم المادة وطبيعته فنذكر لك أقوال المادين ورد عليهم من أقوالهم بعبارة واضحة فالعلم المادي فهو مايبحث فيه عن النواميس التي تستولى على الكون المادي وهو الفلسفة الطبيعية والمادة اما آلية أو منتظمة وأما غير آلية اما الآلية فهي ما كان لكل جزء من أجزائها وظيفة خاصة به للحيوة والنمو لايقوم جزء آخر مقامه كمادة الحيوان والنبات وخلاف ذلك المادة غير الآلية أو غير المنتظمة كالحجر والهواء فحسب ذلك تقسم الفلاسفة الطبيعة الى قسمين وهما علم المادة الآلية وهو فن الفسيولوجيا وعلم المادة غير الآلية وهو الطبيعيات العمومية والاول على قسمين فسيولوجيا حيوانية وفسيولوجيا نباتية وهما من متعلقات علم الحيوان والنبات ثم ان المادة غير الآلية تنقسم الى قسمين سماوية وأرضية فعلم الطبيعات العمومية ينقسم بحسب ذلك الى قسمين مايبحث عن الاجرام السماوية منها الارض برمتها ويقال له علم الهيئة أو علم الفلك ومايبحث عن الاجسام الارضية ويقال له علم الطبيعيات الارضية ثم ان الطبيعيات الارضية تقسم الى قسمين أيضاً الاول مايبحث عن خصائص المواد العمومية ويقال له الطبيعيات المحضة أو الطبيعيات والثاني مايبحث عن دقائق الاجسام من حيث حلها وتركيبها عن طبائع العناصر المركبة منها تلك الدقائق ويقال له علم الكيمياء أما الاول وهو علم

اختياره ماهو شر وقبيح وجوده في هذه الجمعية قال عبد الكريم الجيلي اعلم ان القبيح في الاشياء انما هو للاعتبار لا لنفس ذلك الشئ فلا يوجد في العالم قبح الا باعتبار فارتفع حكم القبح المطلق من الوجود فلم يبق الا الحسن المطلق الا ترى الى قبح المعاصى انما ظهر باعتبار من يهلك فيها ويتلف وانما هى عند السمندل في غاية المحاسن والسمندل طير لا يكون حياته الا في تلك فما في العالم قبيح فكل ما خلق الله تعالى فهو مليح بالاصالة لانه صور حسنة وما حدث القبيح في الاشياء باعتبارات الا ترى ان الكلمة الحسنة في بعض الاوقات تكون قبيحة ببعض اعتبارات وهى في نفسها حسنة فعلم بهذه المقدمات ان الوجود بكماله صورة حسنه ومظاهر جماله فاقول ان

الطبيعيات فهو موضوع البحث في هذا الكتاب وعد عن الانواع المذكورة التي تسمى علوماً محضة أنواع أخر من العلوم جارية على اثنين أو أكثر منها من ذلك علم الجيولوجيا وهو تاريخ الكتل المعدنية التي منها تركبت الارض ويقال له المواد الآلية الموجودة في تلك الكتل ففي البحث عن هذا العلم يحتاج الى معرفة الكيميا والفسيولوجيا وغيرهما وهذه يقال لها علوم ممتزجة ثم المادة فهي مايدرك بواسطة الحواس الخمس وبعض المواد مايدرك بكل الحواس وآخر مايدرك ببعضها ومن المواد مايدرك بواحدة من الحواس فقط فالهواء مثلا لايشم ولا يرى ولا يذاق ولكنه يلمس ويسمع صوته والملح المحمول بالهواء البحري يشم فقط لانه ذو دقائق صغيرة جداً لا تلمس ولا تنظر منتشرة في الهواء واما العلم المادي فهو ما يبحث فيه عن النواميس التي تستولي على الكون المادى والفلسفة الطبيعية ثم ذهب الماديون الى ان كل مايتصوره العقل لم يحصل به اليقين بل اتفقت الاراء على ذلك وذلك معلوم لدى أرباب العقول وقالوا أيضاً ان النواميس الكبرى من هذا العالم الكون المادي المشاهد لم يزل محجوباً عن العقول ولا زلنا نعلم حقيقته ثم يتجدد في ذلك النواميس علمنا والذي اتفقت عليه العلماء من الماديين وغيرهم ان ماعلمناه نقطة بحر مما لم نعلمه ثم قالوا انا قبل اكتشاف الكهربائية نتصورها

نور الله مثواه وأفاض علينا من بركاته وان كان مؤيداً لما نقول وندعيه من ان الانسان مظهر للخير لا ان كلامه فيه ما فيه وتحقيقه يرد عليه مايرد فالنتكلم معه اولا كلاما علمياً لان قوله فارتفع حكم القبيح المطلق من الوجود فلم يبق الا الحسن المطلق يرد عليه ان ارتفاع حكم القبح المطلق يستلزم بقاء القبح حينئذ كيف يصح التفريع فلم يبق الا الحسن المطلق وأيضاً قوله الا ترى قبح المعاصي انما تظهر باعتبار من يهلك فيها لا يصح لان يكون دليلا الى دعوى ان قبح الشيء انما هو امر اعتباري لان المعاصي قبيحة في نفسها والهلاك مظهر للقبائح لان المعاصي لو لم تكن في نفسها قبيحة لما أدت وكانت مظهراً للقبائح ولا يمنع قبح الامور في نفسها المتطبع

ونتصور أثارها ونصدق بذلك كله لكن لم تكن موضوعة فى عالم التجاريب فلما وضعتها التجاريب في ميدان المشاهدة والعيان حصلت آثار الكهربائية بالفعل مع انها من عالم الطبيعيات ومع ذلك فلا نزال عاجزين عن مشاهدتها بالبصر غاية الامر الاستدلال من الاثر على المؤثر لانا نحس الآثار فنستدل بها على المؤثر ثم قالوا لايمكننا ان نلتزم دائما باننا لا نصدق بوجود شئ حتى ندركه باحدى حواسنا الخمس بل نخرج عنه عند الحاجة فهذه مادة الاثير قد صدقنا بها وأثبتناها ولم يكن ادراكها باحدى حواسنا قطعياً والذي ألجأنا لاثباتها احتياجنا الى معرفة حقيقة النور وباثباتها قلنا ان النور هو حركة هذه المادة الاثيرية السارية فى جميع الكون والاثير عندهم غبار منتشر فى الخلاء مالي خلاله ساكن بذاته مالم تفعل به بعض الاجسام كالكواكب فيهتز ويتموج بفعلها فيه كما يهتز الهواء من تأثير الجسم به للصوت وينقل اهتزازه الى عضو البصر فيؤثر به ويورثه الشعور بالمرئيات وقالوا ان العوامل أو القوى الكيماوية وهي الحرارة والكهربائية والمغنطيسية ماهي الا من آثار الاثير وهو الاصل الذي يجمع المواد الاربع في مادة واحدة وهي النور اقول بعد ماتلونا عليك اقوالهم فاسمع مايلزم عليهم فانهم جعلوا الاثير قديماً ومصدراً لجميع المواد واثبتوا له السريان في

على الاستلذاذ بالامر القبيح والثانى كلام تقول به اهل الحقائق قال في الفتوحات المكية الشيخ الاكبر قدس الله سره العزيز ان المعانى الموجودة لها وجود مستقل مغاير لوجود الانسان وقد قال عبد الكريم الجيلي في كتابه ان كمال المخلوقات بمعان موجودة فى ذواتهم وتلك المعاني مغايرة لذواتهم ثم فسر في مكان آخر قوله تعالى كمن مثله في الظلمات يعنى في ظلمة الطبيعة التى هى عين الجهل وقال فكانت الحبة المخلوقة من الشجرة مثلا نصبه الحق وليست الحبة الا لظلمة الطبيعه وقال فبعزتك لاغوينهم أجمعين لانه يعلم ان الكل تحت حكم الطبيعة وان الاقتضاآت الظلمانية تمنع قال فى موضع آخر فاذا كان الاغلب على الانسان الامور التى تقتضيها صورته

وهى المعبر عنها بالبشرية وبالشهوانية فان روحه تكسب الريوب المعدني الذي هو أصل الصورة ومنشأ كلها حتى كادت ان تخالف عالمها الاصلى لتمكن المقتضيات البشرية فيها فتقيدت بالصورة عن اطلاقها الروحى فصارت في سجن الطبيعة والعادة وذلك في دار الدنيا مثال السجن في دار الآخرة فاقول بعد ماتملو عليك هذه الاقوال ان قوله الحجة هى الظلمة الطبيعة ينافي كون القبائح من الامور الاعتبارية وان الكل تحت الحكمة الطبيعية وان اقتضاآت الظلمانية تمنع أيضاً ينافي قوله ان القبائح من الامور الاعتبارية وانه لاشئ فى نفسه قبيح مطلق بل كل الموجودات حسنة وأيضاً قول الشيخ عبد الكريم الجيلي نور الله مثواه فاذا كان الاغلب على الانسان الامور التى تقتضيها صورته

جميع الكون فاذاً ان السريان يستلزم الحركة وهي لاتقوم الا بالحوادث وكونه فى جميع الكون يستلزم اما قدم الكون أو عدم السريان والاهتزاز وكلاهما باطل اما قدم الكون فلانهم قالوا أيضاً بعدم قدم ماسوى الاثير واما عدم السريان والاهتزاز فلانهم عرفوا الاثيريه وقد اتفقوا على ان الاثير لايمكن ان يرى باحدى الحواس الخمسة بل الذي دعانا لاثباته احتياجنا لمعرفة حقيقة النور ويرد عليهم ان معرفة حقيقة الشئ انما تكون بمعرفة اجزائه فلو كانت معرفة حقيقة النور داعية الى اثبات الاثير فيقتضى ان يكون الاثير جزؤاً من النور وذلك يقتضى حدوث الاثير اليس قلتم باجمعكم ان ماسوي الاثير حادث واذا سلمتم انه جزء من حقيقة النور فيلزمكم القول بحدوث الاثير ويدفع الايراد بان يقال المراد من قولنا ان معرفة حقيقة النور هي التي دعتنا للحكم بوجود الاثير معناه ان الاثير هو السبب الناقل للنور فحينئذ يحق ان نقول لهم ان الحكم بوجود الاثير نشأ من وجود النور وهذا لايلزم ان يكون الاثير قديماً ابداً وانى لاازال افتش كتب الطبيعيات فلم اجد دليلا قائماً على قدم الاثير ولم يمكن ان يجد غيري أيضاً دليلا لاني احكم بذلك بعد الاستقراء التمام مع انهم اثبتوا للاثير لوازم تدل على حدوث الاثير لانهم اثبتوا له الحركة والحركة انتقال

من حيز الى حيز آخر هكذا قالوا فى الطبيعيات ولايمكن القول بقدم الحركة وقد باحث بعض الرجال الذين يدعون انهم وقفوا لتحقيق الحق فقالوا المادة قديمة والصورة حادثة فحق لي ان اقول لهم ان المادة لاتوجد بالفعل مالم تقارنها صورة من الصور فالمادة لاتوجدبدون صورة فكيف يجوز وجود المادة في القدم والصورة معها بعد القول بحدوث الصورة فلابد من القول اما بقدم الصورة أو حدوث المادة والالوجدت مادة بدون صورة وهو غير جائز ورئى المتقدمين من الحكماء والمتأخرين على انه لايمكن وجود مادة بدون صورة بل القائلين بوجود الاتفاق وخلق الكائنات من تأثيرات المادة أيضاً قالوا في كتب الطبيعيات انه لايمكن وجود المادة بدون الصورة ووال من قال بذلك يرمانس ومااليوس وذى مقراط ونذكر لك كلامهم وحججهم وما يرد عليها ان شاء الله تعالى فلمارأى الخصم ان عدم مفارقة المادة للصورة كلام برهن عليه اضطرب الى القول بقدم المادة والصورة والحركة فقال ان الصورة والمادة والحركة قديمة فلما سئلنا عن الدليل على ذلك اجاب بانها رأينا العالم على هذا المنوال فاجبناه بان الرتب على هذا المنوال لاتمنع الحدوث وذلك بديهى فنقول ان الحركة اذا كانت عبارة عن انتقال من حيز الى حيز فلا شك انها من

المعبر عنها بالبشرية مراده ان الانسان من حيث روحه وقوة استعدادها لاتميل الا للعالم الروحاني وميلها للشهوة وغير ذلك انما هو من دواعى الحسن والتألف وقد قررنا لك ان الشهوة من حيث هى شهوة ليست من الافعال التى يجوز اطلاقها وأقول لاشئ في نفسه قبيح بل الشئ للاعتبار لابد وان يأول الى ماقلناه من التحقيق الذي سقنا عليه البراهين وهو كون الشئ قبيحاً انما يكون باعتبار الهيئة الاجتماعية لما بيناه سابقاً من ان الامور التى هى دواعى وسبب لان يصدر من الانسان من الغضب افراطه فى هذه الهيئة فيسير الامر الذي في نفسه خير شراً بناء على ماقررناه من ان هذه الامور تقتضيها الحياة ومحافظة الحقوق فقبحها باعتبار الهيئة الاجتماعية لانه لوتنفرد

انسان وكان في طبعه الغضب أكثر من غيره فلا يتصور ان يصدر منه قبيحاً فاذا تقرر ان مراد الشيخ عبد الكريم الجيلي ماذكرناه لك تبين أيها الاخ البصير بالامور اتحاد كلامنا مع كلامه قدس سره العزيز ولولم نتعذر له بهذا الاعتذار لبقت المنافاة التى ذكرناها لك بين كلامه قال الامام الغزالي رحمة الله عليه العقل المحض مكشوفة الامور له فان المانع عن درك الاشياء كلها التعلق بالمادة والاشتغال بها ونفس الآدمى مشغولة بتدبير المادة أي البدن واذا انقطع شغله بالموت ولم يكن قد تدنس بالشهوات البدنية والصفات الردية المتعدية اليه من الامور الطبيعة انكشفت له حقايق المعقولات كلها وقال في محل آخر والانسان يشتغل بالمعقولات اما ليطلع على

الاعراض سريعة الفناء غير باقية تتغير آن فآن والتغير من علامات الحدوث ثم الحركة اما طبيعية أو ارادية أو قسرية فان كان المراد بان الحركة قديمة جنس الحركة الطبيعة والافراد حادثة فنقول نعم صدقتم اذ نطقتم بحدوث الحركة من حيث لاتعلمون لان الجنس أمر انتزاعى لاوجود له الا بعد وجود الافراد فكيف يكون قديماً اذ لو وجد في الكون جنس للتشخص والتشخص ينافي الجنسية فلا يمكن ان يوجد فى الكون وجود حركة جنسية أي جنس الحركة حتي يحكم بقدمها أو حدوثها وأيضاً الحركة ليس لها وجود بنفسها بل وجودها بغيرها لانا لو فرضنا عدم مادة فى الكون لانتفت الحركة ولولم يكن الحركة من الامور القايمة بالمادة لما انتفت بانتفاء المادة لان كل أمر وجوده بنفسه لاينفي بانتفاء غيره ولما رأينا ان الحركة تنفي بانتفاء المادة حكمنا حكما جازماً بان الحركة من الاعراض والعرض لايجوز ان يكون قديماً وأيضاً ان كل أمر وجوده قايم بغيره كيف يجوز العقل ان يكون هوالموجود لكون الحركة لاتوجد الا فى المقولات كالكيف والاين والكم وغير ذلك والحاصل ان المقولة جنس لها وهي نوع لها والحركة باي تفسير او تعريف فسر او عرف فهي من الاعراض اوان الجوهر لاتعرض له الحركة وذلك لان الطبيعة الجوهرية اذا

فسدت تفسد دفعة واذا حدثت تحدث دفعة فلا يوجد بين قوتها الصرفة وفعلها الصرف كمال متوسط وذلك لان الصورة في الجوهرية لاتقبل الاشتداد والنقص وقد اثبت الطبيعيون ان الجوهر لاحركة فيه لان الطبيعة لاضد لها واذا لم يكن لطبيعته ضد استحال ان ينتقل من طبيعة الى طبيعة أخرى على سبيل النقص والاشتداد حتى تكون الحالة التي هو فيها عند الحركة حالة متوسطة بين طرفين لايجمعان وبينهما غاية البعد وهما الضدان فاذا الجوهر لايقوم به حركة فلنرجع الى أصل كلامنا اذا تبين لك فيما سلف ان الحركة لا وجود لها فى نفسها بل وجودها بوجود المادة والمادة لاشك فى انها جوهر فالحركة لايخلو اما انها قائمة بنفس الجوهر أو بنفس الاعراض الموجودة فى الجوهر فالاول باطل لما ذكرنا والثاني ان الاعراض التي هي قائمة فى تلك المادة هل هي قديمة أو حادثة فان كانت حادثة فقد ثبت الحدوث الى نفس الحركة بطريق الاولى وان كانت قديمة فنقول هل هي نفس الصورة أو غيرها فان كانت غيرها فقد اثبتم قدماء غير المادة والحركة والصورة فبينوها ماهي حتى نبين لكم حدوثها وان كانت نفس الصورة فالصورة حينئذ تكون قابلة للشد والضعف وكل ماهو قابل لذلك فهو متغير والتغير دليل العدم فالصورة حينئذ تكون

مصالحه في العواقب من الدنيا والآخرة واما لتكميل ذاته المظلمة وقال أيضاً ان الاتصال بتلك النفوس مبذول اذ ليس ثم حجاب ولكنا في يقظتنا مشغولون بما نورده الحواس والشهوات علينا فاشتغالنا بهذه الامور الحسية صرفنا عنه واذا سقطعنا في النوم بعض اشتغال الحواس ظهر به استعداد للاتصال فلا يظن ان قوله لتكميل ذاته المظلمة يناقض قوله انها مكشوفة له الامور لانك تعلم ان المراد من قوله لتكميل ذاته المظلمة من حيث اتصال الارواح مع البدن وان المراد من قوله انها مكشوفة له الامور من حيث هو هو فيرجع الكلام الى ماقلناه وحققناه من ان الارواح من حيث هي هي خلقت شفافة عالمة بالامور اذا وردت عليها وانها خير محض لكن في كلام أبي حامد الغزالي رضى الله عنه مباينة بحسب

معدومة وهي تنافي كون الشئ قديماً فاذا الحركة والصورة حادثان وأيضاً اذا قلنا ان الحركة قايمة بالمادة تكون المادة والحركة كلاهما حادثة لما ذكرناه من ان الحركة لا تكون فى أمر الا وان يكون ذلك الامر قابل للشدة والنقصان وكل ماهذا شأنه يكون حادثاً فاذا المادة والحركة كليهما حادثان وهذه الادلة التي سقناها فى اثبات ان الحركة الطبيعية حادثة تدل على حدوث مطلق الحركة ثم اذا كانت الحركة الطبيعية حادثة فبالطريق الاولى تكون الحركة الارادية والقسرية حادثة وهذه قضيته وان كانت فى نفسها بينة الا انه نزيد ذلك بياناً فيما بعد ليأخذ الكلام حقه ثم قولكم ان الصورة قديمة لايخلو من ان يكون مرادكم ان الصورة الجنسية أو النوعية أو الشخصية فان كان المراد الصورة الجنسية فليس لها وجود في الكون حتي يحكم بقدمها أو حدوثها بناء على ماهو المتفق عليه من رئى الحكماء المتقدمين والمتأخرين من ان وجوده بوجود افراده ثم اختلفوا فقالوا انه لا وجود له ولو بتضمن وجود افراده وفى الحقيقة هذا كلام مطابق لنفس الامر لاينكره الا رجل جاهل بالعلوم وأيضاً ان الافراد هي انواع أو اشخاص حصلت بانضمام فصول أو تشخص فالحكم بحدوث الافراد ان كان المراد منه حدوث الفرد مطلقاً فيلزمكم القول بحدوث الجنس لان الماهية

الظاهر لما حققناه من ان مصدر الغضب والشهوة وغير ذلك هى الروح لاغير ويظن من كلامه رحمه الله ان الشهوة والغضب وغير ذلك ليس مصدرها الروح بل أمور مستقلة موجودة بنفسها ودفع هذا الظن يكون بقولنا المراد من قوله ولم يكن قد تدنست بالشهوة انها بعد اتصالها بالبدن تألفت بافراط الشهوة والغضب وغير ذلك والدليل قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين المقصد الثانى في اثبات ان الانسان مختار في أفعاله أقول انه بينا لك فيما سبق بان الانسان يتحرك بقوة روحه وهى متصرفة مستعدة لدرك الحقائق الموجودات في الكائنات وان الشهوة والغضب وغير ذلك من الامور التى كثيرها هو سبب لصدور القبايح وبينا لك فيما سبق ان جعل هذه الامور قبيح

الفردية مركبة من الجنس والفصل والمشخص فيلزمكم القول بان الماهية مركبة من حادث وقديم فلا يخلو اما ان يكون هذا القديم لازماً لهذا الحادث أولا فان كان لازماً فحينئذ يلزم حدوث القديم ولا للزم الانفكاك وقد فرضنا انه لازم وان لم يكن لازماً فلا أقل من ان يكون القديم محلا للحوادث ومحل الحادث حادث وسنبين لك ذلك انشاء الله تعالى ولم أجد في كتاب من كتبكم دليلا يوجب ان يكون المميز للشيء حادثاً ونفس الماهية ليست بحادثة بل لم أسمع وأرى الا دعوى غير مدللة ثم ان الامور المميزة ان كانت فصولا لاشك انها تكون جزاء من الماهية مقومة لها فالجنس لايخلو اما ان يكون موجوداً قبل الامر المقوم له أولا فان لم يكن موجوداً فليس بقديم بداهة أو كان موجوداً بوجود مثل هذا الوجود فحينئذ لاحاجة الى مقوم ويلزم أيضاً وجود الجنس بدون فصل وذلك غير جائز باتفاق ارآى العقلاء أولم يكن موجوداً بوجود ذهني مثل هذا الوجود فحينئذ لاشك ان ذلك الوجود هو وجود ذهني وانه من المتفق على ان وجوده وجود انتزاعي يكون من ذي صورة فاذا لايجوز الحكم بان الصورة النوعية أو الجنسية قديمة مطلقاً ثم ان الوجود الذهني لايمكن ان يكون قديماً لان قدمه يقدم افراد الانسان وذلك محال بداهة ولا يلتبس عليك ان قلت ان افراد الانسان قديمة بعد ماقلت بقدم باعتبار الهيأة الاجتماعية ومعلوم ان هذه ليست داخلة ومقومة للانسان من حيث انه انسان بل هي امور خارجة من ماهية الانسان انما حدثت بعد وجود الانسان وانه انما يصدر منه الكثير من الشهوة والغضب وغير ذلك لان دواعي الاحتياج من الامور الحسية تدعوه لهتك دماء أبناء جنسه وذلك لا يكون الا من الامور الحسية ومن المعلوم لديك ان الذي اودع هذه القوة هو الله وهي ليست سببا للشرور فالشرور انما حصلت من التآلف والاعتبار في تجاوز حقوق ابناء جنسه لان اختيار طريق التجاوز سبباً للمدح والذم ولنزيدك تحقيقاً بان الارواح لما خلقت مستعدة لمعرفة الامور وكانت الحواس وقوة الاحتياج التي في الانسان هي دواعي للشرور والتجاوز على حقوق الغير وخلق العقل النوراني الذي هو

الحركة والصورة والمادة فلا بد ان تقول انها موجودة بوجود نفسها أي هي واجبة الوجود والعياذ بالله من ذلك فحينئذ يحق لنا ان نقول ان الموجود بالذات الواجب الوجود صار موجوداً بالغير وممكنا بالذات لانه اذا تقرر ان وجود الجنس خارجاً لايكون الا بضم المميز والفصل فهل لك شك بانقلاب الماهية وجعل واجب الوجود ممكن الوجود ونحن متكلفون باثبات ان الامر الذي وجب وجوده لايمكن ان ينقلب ويكون ممكناً وجوده فالمادة والصورة والحركة قد تبين لكم انه كل واحد ليس له وجود في الخارج بنفسه ولا في الذهن الا بانضمام الفصل وواجب الوجود ما كان وجوده من ذاته ونحن نرى ان المادة والصورة والحركة لايوجدوا في الخارج الا بوجود الفصول وذلك مما اتفقت عليه الاراء حتى الماديين لانهم لاينكرون ان وجود الجنس وجوداً خارجياً او ذهنياً بوجود افراده

الا ان قلة التحقق الذي دعاهم الى هذا الخبط والخلط والقول بدون علم ثم أقول لقد تقرر لديكم ان الاثير هو عبارة عن غاز منتشر مالي خلاه أثرت به بعض الكواكب وجعلتم هذا الاثير هو المكون للامور الكائنات فان هذا القول مع انه مما ينبغي ان يستهزء به قد تلقته جماعة من الذي أضلهم الله على علم بالقبول وان نظرت بعين التحقيق وجدته كلام لاطائل تحته لايليق ان يسمع فضلا عن ان يقبل

من الامور الخيرية والداعي للاوزار الروحانية الذي يرجح الافعال الحسنة على الامور السيئة المانع لدواعي الحس من صدور الافعال المهامة لنظام الجمعية التي هي شرور وقبائح يتصور ما يترتب عليه من العذاب والعقاب فتبين لك ان العقل والروح هي حافظة لنظام النوع البشري ودواعي الشهوة مخلة بالهيأة الاجتماعية لكن العقل من اصل جوهره الميل الى الخير وعدم المجاوزة على الحقوق والدليل على ذلك قوله تعالى وجعلنا له نورا يمشي به بين الناس والادلة العقلية كثيرة وترجيح الامور القبيحة على الامور الخيرية انما تكون بالشرور والقبائح والافعال السيئة ويستدل على ان الترجيح بالنصوص بالعقل والنقل أما العقل فانا نشاهد كثيرا من القبائل والطوائف واهل المدينة يتحركون بما

فالواجب علينا ان نبين بالبرهان خطأ هذا الكلام فاقول وبالله التوفيق ان الاثير الذي على زعمكم هو سبب وجود الكائنات لايخلو اما ان يكون واجباً وجوده أو ممكناً ولا يجوز ان يكون واجباً وجود لانه مركب من أجزاء وقد تقرر ان المركب محتاج الى أجزاءه والامر المحتاج في وجوده الى أجزاء لايجوز ان يكون واجباً بناء على ماحققوه من ان الوجوب ينافي الاحتياج وانكار انه مركب من أجزاء لايمكن ان يسمع بعد قولكم انه غاز منتشر مالي خلاله كما لايخفي ثم انتشار الاجزاء لاتكون الا بالهواء كماهو الرأي السديد المتفق عليه فيلزمكم القول بقدم الهواء وانه واجب وجوده لانه لايجوز ان يكون أثراً من آثار القديم ويعضد هذا القول اسنادكم التموج الى نفس الاثير وهذا كله باطل بديهة ثم قولكم ان الكائنات حصلت من تموج الاثير لايخلو ان هذا التموج اما ان يكون علة تامة لوجود الكائنات أولا فان كان علة فنقول هذا التموج هل حصل مع الاثير أو بعده فان قلتم انه حصل مع الاثير لابد من القول بقدم العالم أيضاً وانه باطل لما نبينه وأما انه حصل بعد فهل هو عرض لازم أو مفارق فان كان لازماً فلايجوز ان يوجد بعد وجود الاثير بل معه لامتناع الانفكاك فيعود الكلام بقدم العالم الذي هو محال أو عرض مفارق فيلزمكم القول بانعدام الكائنات لجواز انفكاك التموج عن الاثير الذي بسببه صار الاثير موجداً

عليه الغالب من الانسان مثلا اذا نشئ في بلد انسان وكان من طبيعة اهل تلك المدينة التصدق في الشهر مرة فلا بد وان يفعل كذلك او كان مشرب اهل تلك المدينة شرب الخمر والزنا وغير ذلك فهو ايضا يكون متطبعاً بتلك الطبيعة وهذه قضية بديهية لا ينكرها الا جاهل والمنقول قوله تعالى وكونوا مع الصادقين لان سبب الامر بان تكون مع الصادقين وسامعين الاقوال وعاملين بالاوامر ان الانسان يأخذ ماتعود عليه ويعمل بما ائتلف عليه من الامور والصادقين لايعملون الا الخير المحض فالذي يتألف بهم ويمتثل اوامرهم يخلص من فعل الشر ويكون محباً للخير وقوله تعالى يوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلا قال في

وعلة تامة على زعمكم ويلزم أيضاً ان الاثير فى فاعليته محتاج وذلك ينافى كون الشئ واجباً وجوده وان دفعت هذا الاعتراض بان التموج نفس الاثير واحتياج الشئ الى ذاته لايستلزم كون الشئ ممكناً والا لكان الخالق أيضاً كذلك تعالى عن ذلك علواً كبيراً قلنا ان التموج لايجوز ان يكون نفس الاثير لان التموج من الاعراض الغير الفارق الذات فيلزم ان يكون الاثير أيضاً من الاعراض الغير القادرة الذات ومن المعلوم لديكم انه لا يجوز وقد قررتم قضية عليها جميع أرباب العقول وهي انا لو رأينا آثار اوصنعة من الصنائع نستدل بها على فاعلها فان كان الاثر او الصنعة مصنوعة في حسن الانتظام نستدل بحسب اتقانها وقوتها على قوة عقل فاعلها كما نشاهد في الآثار العتيقة ثم قدرتم أيضا انه لااتفاق في العالم وكلما نشاهد من الوقايع فى العالم والحوادث ولا بد وان يكون له محدث فان العامة يعتقدون ان مافي العالم من الاتفاق اكثر من ان يخفى لعدم علمهم ووقوفهم على أسباب الامور والحكيم يعتقد ان الحوادث الجارية فى الكون القليل منه اتفاقي وذلك لعدم وقوفه على أسباب الامور كلها والخالق جل جلاله لا يرى قضيته اتفاقية فى الكون لوقوفه على اسبابها وحاصل الكلام انه فى نفس الامر لم يكن توجد قضية اتفاقية بعد ماسمعت ما تلوناه عليك فسمع مايلزمهم انكم تقولون ان العالم هو تموج من

عوارف المعارف وانه لم يضله الاصحابه لانه هو الذي عدله عن طريق الحق ثم قال اياك اياك من ان تصاحب احدا يعلمك السيئات ويهديك لطريق تعاقب فيه قال الشيخ ان افعال العباد كلها واقعة بقدرة الله تعالى مخلوقة له وقال القاضى كونها طاعة ومعصية بقدرة العبد وقال امام الحرمين وأبو الحسين والحكماء انها وقعة بقدرة الله تعالى في العبد وقال الاستاذ المؤثر في الفعل مجموع قدرة الله تعالى وقدرة العبد وقال جمهور المعتزلة العبد يوجد فعله باختياره ومنع بوجوه الاول ان الترك ان امتنع عليه حال الفعل كان مجبورا لا مختارا وان لم يمتنع احتياج فعله الى مرجح موجب لا يكون من العبد دفعاً للتسلسل ويلزم الجبر والثاني انه لو اوجد فعله باختياره كان عالماً بتفاصيله فيحيط

تموجات الاثير فهل هذا التموج اتفاقي او انه حصل بواسطة سبب من الاسباب نعم انه حصل بواسطة تأثير بعض الاجسام فاذا حصل التأثير تموج فحصلت منه هذا العالم أقول قد تقرر عندكم وعند جميع الحكماء انه لابد ان يكون للمؤثر فيه قابلية واستعداد لان يكون الشيء الفلاني مثلا فحينئذ وجود العالم لايجوز ان يحصل بالتموج وان العناصر حصل منه مادة الحديد مثلا فالعناصر التي تركب منها الحديد لايجوز ان يتركب منه غير مادة والعناصر التي يتركب منها الذهب لايجوز ان يتركب منه غيره وقس عليه الباقي ولا شك ان هذا ترتيب في غاية الاتقان والانتظام وهو دليل على ان فاعله في غاية القدرة والتدبير والعلم والعقل التم قلتم بان قوة نظام الاثر وحسنه دليل على قوة قدرة الفاعل وعقله كيف يمكنكم ان تقولوا ان هذا العالم الذي هو في أحسن النظام تموج اثير لاعقل له ولا شعور ولا ملام اذا جوزتم ذلك بعد ما اعتقدتم ان الانسان الذي اشرف العالم أصله من القردة معتمدين على دليل اوهن من بيت العنكبوت وذلك انا نرى القردة تشاكل الانسان في بعض الافعال والاحوال وتخالفه في بعض آخر وقد تقرر عند اهل النشو والنماء تشارك الاصل الفرع في بعض الصفات ومخالفه في الآخر قال أهل النشو والنماء وغيرهم ان الكون والكشفيات تدعونا نحكم حكما قطعيا بان النوعية تقتضي

بالاسكان المخللة للحركة البطيئة وعرف اجبارها فعلم ان في المرجح فعل العبد هو تألفه باحد طرق الحسنات والسيئات فان الانسان اذا تألف بامر ظهرت دواعي ترجح أحد الطرفين على الآخر قال الشيخ الاكبر في الفتوحات المكية ان الشيطان من عالم السفلي فلا يأتي الى الانسان الامن المنازل التي تناسبه وهي اليمين والشمال والخلف والامام قال الله تعالى ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ويستعين على الانسان بالطبع فانه المساعد له فيما يدعوه اليه من اتباع الشهوة فامر الانسان ان يقاتله من هذه الجهات وان يخص هذه الجهات بما أمره الشرع ان يخصها به حتى لا يجد الشيطان الى الدخول اليه منها سبيلا فان جاءك من بين يدك وطردته لاحت لك

من العلوم علوم النور
منة من الله عليك وجزاء
حيث آثرت جناب الله
على هواك وعلوم النور
على قسمين علوم كشف
وعلوم برهان يصحح
فكر فيحصل لك من
طريق البرهان ماترد به
الشبه المصلحة القادمة
في وجود الحق وتوحيده
يظهر من كلام حضرة
الشيخ انه في أصل
خلقته كان مستعد للشرور
والقبائح حيث قال ان
الشيطان من عالم السفلى
فلا يأتي الى الانسان
الامن المنازل التي تناسبه
وهي اليمين والشمال
والخلف وهذا الكلام
يشير الى ان هذه الجهات
خلقت في الانسان عند
محرك يحرك هذا العالم
يظهر منه في هذه الجهات
الشرور والقبائح وقد
سبق تحقيقنا بان الانسان
ليس له استعداد للشرور
والقبائح بل الشرور
والقبائح انما تحصل بعد
وجود العالم وتكونه
وكلام الشيخ الاكبر

اتحادا مافي الصورة فالانسان اذا تزوج باحد أنواعه فالفرع
الحاصل لابد وان يحصل على هيئة ماهم عليه ولا يمكن
حصول التخالف من كل وجه فاقول نعم ذلك مسلم لكن
ماالذي دعاكم بان تحكموا بان أصل الانسان القردة سواء
الاتفاق في بعض الافعال ومن عجب كيف حكمتم بهذا
الكلام الذي لايلزم منه المدعي ولا يثبت به المراد واعرضتم
عن قضية نقيضي مدعاكم بعدماجعلتموها من اصول علمكم
وهي ان تخالف الهيئات يقتضي مخالفة النوع فهلا رأيتم
شدة مخالفة الانسان للقردة ولو سلمنا ان اصل الانسان هي القردة
فيمضي الدهور والعصور حصل نشوء ونماء فصار انسانا
لكن انتم ادعيتم ان الواقع في العالم من الحوادث انما يحصل
باعتبار السبب والاتفاق في نفس الامر مفقود فلا بد ان
نقول اذ حق لنا الحق فما السبب في انقلاب القردة انسانا
اولا وعدم محافظة المادة الهيئة وقد حكمتم حكما جازما
مطابقاً للواقع بان المادة هي التي تلصق دقائقها بقوة تحفظ
هيئتها على حالها مالم تغيرها قوة اخرى تعرف نقلها فما الذي
غير هيئة القردة ثم ان الدليل الذي دعاكم للحكم بان اصله
القردة يقتضي ان تجعلون اصل الانسان ماهو اشبه والقردة
ليست اشبه الحيوانات بالانسان ثم انكم قررتم في النشو
والنماء اربعة نواميس الاول ناموس الوراثة اي ان الفرع
يرث صفات الاصل الثاني ناموس التباين اي ان كل فرع

مع ارثه لصفات كانت فى اصله لابد ان يباينه فى صفات اخرى نعم نسلم ذلك الا ان الانسان خالف القردة فى اصل الجواهر والصفات ذكر الاطباء ان الاعصاب قسما منها دماغية ومنها نخاعية اما الدماغية فانها سبعة ثم اتعبوا انفسهم فى معرفة الاحكام الناشئة من كل واحد من تلك الارواح السبعة ثم مما لا شك فيه ان كل من تلك الارواح السبعة ينقسم الى شعب كثيرة وكل واحدة من تلك الشعب ايضاً الى شعب دقيقة ادق من الشعر ولكل واحد منها ممر الى الاعضاء ولو ان واحد اختل اما بسبب الكمية او بسبب الكيفية او بسبب الوضع لاختلت مصالح البنية ثم ان تلك الشعب الدقيقة تكون كثيرة العدد جدا ولكل واحد منها حكمة مخصوصة ثم ان الحكماء والاطباء لم يجدوا ما فى دماغ الانسان فى سائر الحيوانات وهذا الاختلاف بالصفات وبالاجزاء التركيبية فلا اشتراك حينئذ بين الحيوان والانسان وليس لكم ان تقولوا انه نماء فحصل الترقي من الادنى الى الاعلى لانا نقول ان النشو لا يغير اصل الجوهر وتبدل حقيقته كما فى الانسان ثم ان اقوى دليل يسوقونه على ان نشو الانواع من اصل واحد هو انه نشاهد الاعضاء الاثيرية فى بعض الحيوانات كاثار رجل مثلا غير كاملة فقالوا لو كان كل نوع مخلوقا مستقلا كما هو مذهب الخلق لما كان لهذه الاثار فائدة نعم انكم

يدل على انها مستعدة وكلامه ايضاً يدل على ان الروح يصدر منها الشرور وهى من عالم السفلى بحيث قال ان الشيطان من عالم السفلى فلا يأتي الا من مواضع تناسبه وهى اليمين والشمال ومعلوم ان اليمين هى جهة تكون الروح فيها وقد ذكر الصوفية والحكماء ان الارواح من عالم العلوى وحضرة الشيخ الاكبر ايضاً على ذلك وتوجيه كلامه قدس سره ان الروح بعد تكونها في البدن وامتزاجها معه يجوز ان يصدر منها القبائح وان كانت من حيث هى هى لا يصدر منها الا الطيبات فمراد حضرة الشيخ انها يصدر منها القبائح بعد تكونها وتلازمها في البدن لا قبله ويستدل على ذلك بكلامه قدس سره ان الوجود خير محض والعدم شر وهذا يستلزم كون الروح ايضاً خير محض ورأى حضرة

لازال تذكرون فى كتبكم ان كشف الحقائق والوقوف على فوائدها ماانتموا الاوايل وما بينها بيانا يحق عنده الوقوف بل هو فى نقصان اتم ونحن ايضاً وان شمرنا ساعدنا حق التشمر فلا بد وان تخفى علينا موادا كثيرة تركناها لاخواننا وحقايق كنا نعلم لو مر علينا زمان طويل لحصلنا بها علما مديداً ووقفنا حق الوقوف فبعد ماتقولون هذه الاقوال كيف تحكمون من مشاهد بعض الاعضاء الاثيرية وعدم الاطلاع على فائدتها الحكم بالنشوء فالذي دعاكم وصار علة للحكم مشاهدة الاعضاء الاثيرة أم وجودها بغير فائدة والاول باطل لما تقرر عندكم ان العالم حصل من الاثير والثاني لايلزم منه عدم وقوفكم عدم الفائدة فى نفس الامر ولو فرضنا عدم الفائدة هل يلزم منه الحكم بالنشوء والنماء بنيوالنا وجه اللزوم وحاشاكم من البيان واعلم ان الاطباء والحكماء لم يقفوا على معرفة الدماغ وشعبه وأى فائدة بهذه الشعب وماقالوا الا قولا غير سديد ويظنون بذلك ظناً فهل يلزم من عدم وقوفهم على الفائدة انعدامها فى نفس الامر الا والى الآن لم نقف على تشخيص القوة المدركة وبيانها حق البيان وهي التى دعتنا ان نحكم بهذه الاحكام وقد أجرى تشريح الانسان ملاين من الرجال فلم يجدوا به غير العصاب واللحم ومعلوم ان اللحم والعصاب لاتدرك شيئاً

الشيخ ان العلم يستلزم العمل ومن قال انه يوجد عالم ولا عمل فذلك غلط واستدل الشيخ بقوله تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة ذلك مبلغهم من العلم فاعلمنا انهم عملوا بما عملوا ولكن ما أريد بالعلم الاماحصل بمشاهدة العلوم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن فهم عنه ان الله اذا أراد امضاء قضائه وقدرته سلب من ذوي العقول عقولهم حتى اذا أمضى فيهم قضائه وقدرته ردها عليهم ليغيروا وليس سوى ذهاب العلم منهم والاعتبار عمل اوجبه العلم فهذا عين ما ذهبنا عليه في حق قوم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا فعملوا بما علموا وهم عن الآخرة هم غافلون فلم يعملوا لها فانه أغفلهم عنها فنسوا آخرتهم فتركوا العمل لها ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وألقى

ولا التركيب لانا لو شرحنا انساناً ثم ركبناه كما هو في السابق أيضاً لم يحصل له القوة الروحانية والادراكية فما لكم لا تحكمون بان القوة الروحانية والادراكية أمر استودعه الله في نوع الانسان مثلا وأنتم تحصلون الحكم الجازم من الخرافات فكيف تحكمون بما لا تعلمون وتدعون أنفسكم حكماء وقد رد بعض الناس مذهب النشؤ والنماء بان الدلايل التي سقتموها كلها ظنية لا يعتمد عليها في الاعتقاد عند اتباع محمد عليه السلام ولما كشفتم الحيونات والنباتات وجدتم أشياء قد اعترفتم بعدم الاطلاع على الفائدة وقد قلنا انه لا يلزم من عدم علمكم بالفايدة فقدان الفايدة في نفس الامر ثم فلنرجع الى أصل بحثنا أقول قد تبين لك مما مهدنا وسردنا من المقدمات ان الانسان كان في النشئة الاولى ليس بعالم بالامور بل مستعداً اليها بعد ما تكاثروا وتناسلوا وكان كل فرد منه مدني طبعه محتاج لاعلام ما في ضميره من المقاصد والمصالح وكان الاحتياج يدعوه لحب الغلبة وتكاثر في الاموال فلا بد من وقوع النزاع ولا يرفع النزاع الا قانون ولا يمكن ان ينظم هذا القانون أحد من البشر لخلوهم عن العلوم والمعارف بناء على ما قررنا ان الانسان ليس بعالم الا بعد التعليم فاذا لم يكن في النشئة الاولى قانون يحافظ حقوق هذه الجمعية لا بد وان يقع بينهم الاختلال الشديد الموجب لمحو هذا النوع ولم يقع بينهم اختلال لذلك فلا بد

السمع وهو شهيد والحاصل رأى حضرة الشيخ ان العلم يستلزم العمل فاذا رأيت من يدعي الايمان ويذكر فلا يقع له نفع بما ذكر علمت انه في الحال ليس بعالم بمن آمن فليس بمؤمن أصلا فان شهادة الله حق وهو صادق وقد علمنا ان المؤمن ينتفع بالذكر وشهدنا ان هذا لم ينتفع بالذكرى فلا بد وان يزيل منه الايمان تصديقاً لله ولا معنى للنفع الا وجود العمل منه بما علم ولا نرى احدا يتوقف بالعمل فيما يزعم انه عالم به الا وفي نفسه احتمال ومن قام به في شئ احتمال فليس بعالم به ولا بمؤمن بمن أخبره بذلك ايماناً حسب العمل مع انك لو سألته لقال لك ما منك في أن ما جاء به هذا الشخص حق يعني الرسول عليه السلام وأنا به مؤمن فهذا قوله ليس بصحيح الا في وقت دعواه ورأى

من وجود قانون وليس القانون الا صيغ من يعلم كيفية المحافظة وما ذلك الارب واحد لاشريك له والقانون لابد له من مبلغ عالم بحسن التبليغ وواقف على العلوم والاحكام الالهية وما ذلك الا رسول فالآن تبين لك بطلان قدم المادة وان الاثير هو موجب للعالم ومن عجب كيف تجاسروا على هذا القول وقد اتفقوا على ان صنيع العاقل غير صنيع المجنون أو لم ينظروا الى حسن اتقان هذا العالم وقوة نظام وعجايب صنيع تبهر العقول بل كيف انها صدرت كامواج بحر تلاطمت من الاثير ثم ياأهل النشؤ والنماء قد فتشنا الكتب كلها فلم نجد لكم قولا في النباتات فى ان شجرة بقلة الحمقاء تكون شجرة لوز او جوز فانكم قلتم هنالك وان كان ترقي الادنى الى الاعلى الا انه لابد من المناسبة بين الاصل والفرع فما لكم تجاسرتم على الانسان وقلتم ان أصله القردة ولا مناسبة بينهما فان فى جوهر الانسان استعداد العلوم وليس في جوهر القردة ذلك واذا تبين انه لابد من رسول والا لوقع الهرج والمرج فلا بد ان نبين لك أصل العقل وكيف ترقى وان بيناه سابقاً قال الحكماء النفس تنقسم الى ماتكون كاملة والى مالاتكون وهي مختلفة أيضاً بحسب الشدة والضعف فمبدئها كما يكون للطفل من قوة الكتابة ووسطها كما يكون للمستعد للتعلم ومنتهاها كما يكون للقادر على الكتابة الذي لايكتب وله ان يكتب

المعتزلة على ذلك أيضاً وأهل السنة والجماعة وأبو حامد الغزالي من الصوفية على خلاف ذلك وانى اقول ان العلم لايستلزم العمل كما في قوله تعالى وأضله الله على علم في حق من اتخذ الهه هواه وقوله تعالى وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان أهل النار قد علموا صدق الله في انفاذ وعيده وقالوا ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل فلاشك انهم فى هذا الحال حصل العلم الذوقى والله تعالى يقول ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فتبين ان العلم يحصل ولا يحصل العمل وأول هذه الآيات تأويلا بحيث يستلزم العلم العمل ثم اعلم ان الفرق بين مذهب المعتزلة ورأى الشيخ فأن رأيهم ان العمل جزء من

فقوة النفس المناسبة للمرتبة الاولى يسمى عقلا هيولائياً تشبيها اياها حينئذ بالهيولاى الاولى الخالية في نفسها عن جميع الصور المستعدة لقبولها وهي حاصلة لجميع أشخاص النوع في مبادي فطرتهم وقوتها مناسبة للمرتبة المتوسطة يسمي عقلا بالملكة وهي مايكون عند حصول المعقولات الثانية التي هي العلوم الالية بحسب الاستعداد لتحصل المعقولات الثانية التي هي العلوم المكتسبة ومراتب الناس تختلف في تحصيلها فمنهم من يحصل الشوف بنفسه اليها ببعثها على حركة فكرية شاقة فى طلب تلك المعقولات وهو من أصحاب الفكرة ومنهم من يظفر بها من غير حركة اما مع شوق أولا وهو من أصحاب الحدس ويتكثر مراتب الضفين وصاحب المرتبة الاخيرة ذو قوة قدسية وأما قوتها المناسبة للمرتبة الاخيرة فتسمي عقلا بالفعل وهي ماتكون عند الاقتدار على استحضار المعقولات الثابتة بالفعل من شاء بعد الاكتساب بالفكر والحدث وهذه قوة للنفس وحضور تلك المعقولات بالفعل كمال لها وهو المسمي بالعقل المستفاد لانها مستفادة من عقل فعل في نفوس الناس يخرجها من درجة العقل الهيولائي الى درجة العقل المستفاد فان كل مايخرج من قوة الى فعل فانما يخرجها غيرها وقياس عقول الناس فى استفادة المعقولات الى العقل الفعال قياس أبصار الحيوانات فى مشاهدة هذه الالوان

الايمان وهو يقول ان الانسان لا يقال له عالم حتى يقال له عامل الا ان المعتزلة والشيخ من جهة اطلاق الكفر والايمان على شخص واحد لا يمكن الفرق بينهما لكن تحقيق الشيخ لهذه المسألة من جهة أخرى غير دليل المعتزلة قال الشيخ في مكان آخر ان العلم هو السعادة ولكن فانه ما أدركه أهل الكشف وهو انه اذا أراد الله شقاوة العبد ازال عنه العلم فانه لم يكن العلم له ذاتياً بل اكتسبه وما كان مكتسباً فجائز زواله ويكسوه حلة الجهل فتبين لك ان حضرته ليس مراده سلب العلم المطلق عند سلب العمل بل مراده ان العلم الذي بمرتبة المحسوسات مثل ان يرى الرجل الذي حمل الصخرة الفلانية اخذ بيده وضربه باسواط عظيمة أو ان الآفة الفلانية دخلت في المغارة الفلانية

الى الشمس قال الشيخ علي ابن سينا في تفسير قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء أعلم ان المشكاة شبيهة بالعقل الهيولائي لكونها مظلمة في ذاتها قابلة للنور لاعلى التساوي لاختلاف السطوح والثقب فيها والزجاجة بالعقل بالملكة لانها شفافة في نفسها قابلة للنور اتم قبول والشجرة الزيتونة بالفكر لكونها مستعدة لان تصير قابلة للنور بذاتها لكن بعد حركة كثيرة القب والزيت بالحدس لكونه أقرب الى ذلك من الزيتونة والذي يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار بالقوة القدسية لانها تكاد تعقل بالفعل ولولم يكن شيء يخرجها من القوة الى العقل ونور على نور بالعقل المستفاد فان الصورة المعقولة نور والنفس القابلة لها نور آخر والمصباح بالعقل بالعقل لانه نير بذاته من غير احتياج الى نور يكتسبه والنار بالعقل الفعال لان المصابيح تشتعل منها واثبتوا كلا من هذه المراتب براهين مفيدة لليقين ولو ذكرناها طال الكلام او فات المرام فان احببت الوقوف راجع الكتب الكلامية من المقاصد والمواقف وغير ذلك أقول وبالله التوفيق انا بعد ما فتشنا الرجال رأينا النوع

فذلك لاشك ان علمه يستلزم العمل لانه متى علم ان الافاعي العظيمة دخلت في هذه المغارة لا يمكنه الدخول فيها أبدا فاذاً نحن وهو على مرتبة ورأى سواى ثم أقول وبالله التوفيق ان كثيراً من المسلمين يعلمون ان الله واحد لا شريك له وان النبوة حق وان ما جاءت به الانبياء كله حق مع انه تصدر منهم افعال خلاف ماهو مرضي الله تعالى فكيف يجوز ان يقال لهم انهم ليسوا بمؤمنين تحقيق الجواب في هذا الباب ان للرجل حالتين احداهما غالبة والاخرى مغلوبة ومن المعلوم ان الحكم يكون للغالب فالانسان ينفق لما يشتهيه أشد النفقات ولو كان عالماً علماً يقيناً بانه لو انفق ماله حصل عقيبه الفقر التام الا ان القوة الغالبة تدعوه الى ان ينفق ماله فكذلك حال الايمان فان الانسان المؤمن وان كان يفعل

البشري باعتبار قوة عقله وترقيات فكره الذي يحصل بالرياضات انه يترقى الى القوة العملية أولا ثم تصفو نفسه فينال الحكمة النظرية وباعتبار الافكار العقلية الروحانية يصل الى الحكمة النظرية أولا ثم ينزل منها الى الحكمة العملية وتحقيق القول في هذا الباب ان جوهر النفس الناطقة خلقت قابلة للمعارف الكلية والانوار العقلية الا انه قد ثبت عندنا بحسب البراهين العقلية وبحسب المكاشفات العلومية ان جواهر الارواح البشرية مختلفة بالماهيات فمنها ذكية وبليدة ومنها حرة ونذلة ومنها شريفة وخسيسة ومنها عظيمة الميل الى عالم الروحانيات وعظيمة الرغبة في الجسمانيات فهذه اقسام كثيرة فكل واحد من هذه المقامات قابل للاشد والاضعف والاكمل والانقص فاذا اتفق ان يكون جوهر النفس الناطقة جوهراً مشرفاً شديد الاستعداد لقبول الاضواء العقلية والارواح الالهية فهذه النفس في حال الصغر لا يظهر منها هذه الآثار لان النفس الناطقة انما تقوى على أفعالها بواسطة الآلات الجسمانية وهذه الآلات في حال الصغر تكون الرطوبات مستولية عليها فاذا كبر الانسان واستولت الحرارة الغريزية على البدن نضجت تلك الرطوبات وقلت واعتدلت فصارت تلك الالات البدنية صالحة لان تستعملها النفس الانسانية فاذا كانت النفس في أصل جوهرها شريفة فعند كمالات

المعاصي لكن ذلك لا ينافي كونه مؤمناً لان الغالب عليه من عالم الشهوة يدعوه الى ذلك فاذا العلم لا يستلزم العمل والجواب الثاني ان الانسان يحصل له من تلقاء نفسه علما مقرونا بالمحبة فهذه العلوم مرجحة على العلوم الالهيه الحاصلة اليه بطريق الاخبار ولو كانت بالبراهين فتبين لك سبب الشقاوة المقصد الثالث في البحث عن البشر وهو على ثلاثة أصناف كذا قاله الحكماء وعلى ذلك انطوى رأيهم ورأيي انه على خمسة أصناف صنف عجزوا بالطبع عن الوصول الى الادركات الروحانية فيقطع بالحركة الى الجهة السفلى نحو المدركات الحسية والخيالية وتركيب المعاني من الحافظة والواهمة على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية

والتصديقية التى للفكر وكلها خيال منحصر نطاقه اذ هو من جهة مبدئه ينتهى الى الانسان ولايتجاوزها وان فسد فسد مابعدها وهذا هو في القلب نطاق الادراك البشري الحسماني واليه ينتهى مدارك العلماء فيه ترسخ أقدامهم وصنف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والادراك لايفتقر الى الآلات البدنية بما جعل فيه من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق ادراكه عن الاوليات التى هى نطاق الادراك الاول البشرى ويسرع فى قضاء المشاهدات الباطنية وهى وجدان كلها لانطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها وهذه مدارك العلماء الاولياء أهل العلوم اللدنية والمعارف الربانية وهى الحاصلة بعد الموت لاهل السعادة فى البرزخ وصنف مفطور على الانسلاخ من البشرية

الآلات البدنية تكمل المعارف وتقوى أنوارها وتعظم لمعان الاضواء فيها ومما حققناه لك تبين ان النفوس في مبدءها مستعدة قابلة للعلوم الا ان الاستعداد في أصل جوهرها متفاوت وسبب تفاوتها والله اعلم بحقيقة الحال محافظة لجمعية النوع البشري لانه لو كانت على استعداد واحد لاستغنى كل عن الآخر أشد استغناء فيختل النظام فالحكمة ان تكون متفاوتة فتبين لك بيانا واضحا انحلال مسئلتين كانت خافية على الفحول من العلماء ان النبوة كسبية وذلك مذهب الحكماء ومذهب جمهور المتكلمين انها ليست بكسبية والثاني ثبوت العذاب والعقاب قبل بعثة الرسول وذلك مذهب المعتزلة وجه انحلال هذه المسئلة مرتب على مقدمتين الاولى ان الانسان ليس بعالم بل مستعد للعلوم مالم يأته معلم يكون كالبهيمة والفرق بينهما حينئذ ان الانسان مستعد وهى غير مستعدة لدرك العلوم والمعارف فالانسان واقف قبل التعلم في ميدان الحيرة في ضروريات أموره فكيف في المسائل الشرعية التي هى من دقائق الامور فان ثبت ذلك ثبت ان لو لم يبعث للعالم رسول لما عذبهم لعدم وقوف العقل ومن هذا التقرير أيضاً تبين انه لايمكن حمل الرسول في قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا على العقل اذ العقل لايجوز ان يكون رسولا في النشئة الاولى لعدم وقوفه على شئ من الاشياء فلنحرر المسئلة حق التحرير لانها

مسئلة يستفاد منها الوبل والطل فاقول ان المعتزلة قد اثبتوا العقاب والعذاب قبل بعثة الرسل فان ارادوا ان الله لو لم يبعث رسولا في العالم أيضاً عذب الانسان يوم القيامة منعنا ذلك بسندان العقل ليس له وقوف حين كونه هيولائياً على شئ من الاشياء حتى لا يعرف ان الواحد نصف الاثنين مالم يتعلم الواحد ماهو من معلم أو من مخالطة أبناء نوعه وذلك لا اظنه ينكره أحد الا القاصرون فاذا كان لا يعلم فكيف يؤاخذ على مالم يتمكن على معرفته وقد قلتم ايها المعتزلة ان التكليف بما ليس في الوسع محال لا يصدر من حكيم أليس التكليف للجاهل تكلفاً بمحال فكيف يعذب الله انساناً على أمر لم يعلم حلاله من حرامه ولم يوجد له رسولا يبين له الحلال من الحرام فذلك محال وان ارادوا انه بعد مابعث الله الرسل مبشرين ومنذرين وحصلت زمن الفترة فالله يعذب اهل ذلك الزمان فلا يندفع بما سلف من التحقيق لان لهم حينئذ أن يقولوا أهل الفترة كانت لهم معلومات حصلوها من آبائهم وأجدادهم فليسواهم على الفطرة فحينئذ يلزمهم تخصيص دعواهم ومذهبهم الاطلاق بان من مات من أهل الفترة فهو معذب ولا يسوغ لهم ان يقولوا ان مجرد العقل كافي بل مجرد عقول أهل الفترة كافية ويلزمنا ان نجيب عنهم بغير ماسبق فاقول ان وجود الكلي على المذهب المنصور المختار ذهني واما بالخارج فلا

جملة جسمانيتها وروحانيتها الى الملائكة من الافق الأعلى ليصير في لمحة من اللمحات ملكا بالفعل ويحصل له شهود الملاء الاعلى في أفقهم وسماع كلامهم النفساني والخطاب الالهي في تلك المحبة وهؤلاء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك لمحبة وهي حالة لوحي فطرة فطرهم الله عليها وجبلة صورهم فيها ونزههم عن موانع البدن وعوائقه مادامو ملابسين لها بالبشرية بما ركب في غرائزهم من القصد والاستقامة التي يحازون بها تلك الوجهة وركز في طباعهم رغبة في العبادة تكشف بتلك الوجهة وتسيغ نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الافق بتلك النوع من الانسلاخ متى شاؤا بتلك الفطرة التي فطروا عليها لا باكتساب ولاصنا

وجود له ولو بوجود افراده والتحقيق المتفق عليه ان الكلي من حيث انه كلي لا وجود له في الخارج قطعيا بل هو موجود ذهني فاذا تقرر لك هذا فاسمع ما يتلى عليك وهو ان الانسان بعد ما حصل المعلومات لا شك يعلم ان الظلم قبيح والعدل مليح وان وجود الاول خادم للنظام والثاني حافظ له وان الكمال في نفسه حسن وان النقصان قبيح فلا شك الاشتغال بما يخل بالنظام يعذب عليه الملك العلام الا ان وجود افراد اعتبارها قبيحاً لا يكون الا من قبل حكيم عالم بتحديد الامور المحافظة للحقوق فاذا لابد من شارع يبين افراد الظلم ويحدده لان الانسان اذا سرق منه قليل من المال لعله يحرص على قتل السارق مظنة ان هذا الفعل عدل لانه يتقطع المجاسرة من السرقة مع ان هذا ظلم في الشريعة المحمدية أزادها الله شرفاً على شرف وأيضاً ان رجلا لو قطع أحد أعضاء آحاد الناس أو قتله وكان ذلك من كبار البلدة أو من علمائهم لعل الحاكم ان يعفو عنه بناء على ان في وجود هذا القاتل خيراً كثيراً وذلك المقتول لا خير فيه ومعلوم ان هذا في الشريعة المطهرة ظلم والعقل لا يظنه ظلما وحاصل الكلام اني وقفت على فقرات ذكرها المؤرخون في السياسيات في الزمان السالف وهي موضوعة لمحافظة الحقوق من هيئة مجتمعة مع ان الشريعة تعدها ظلما وعندهم عدلا فان شئت الوقوف فراجع التواريخ تجد

فلذا توجهوا وانسلخوا عن بشريتهم وتلقوا في ذلك آلاة الاعلى ما يتلقونه عرجوا به على المدارك البشرية منزلا في قواها لحكمة التبليغ للعباد فتارة يسمع دوياً كانه رمز من الكلام يأخذ منه وتارة يتمثل له الملك الذي يأتي اليه رجلا فيكلمه ويعي ما يقوله والتلقي من الملك والرجوع الى المدارك البشرية وفهمه والدوي حالة الانبياء غير المسلمين والتمثيل حالة المرسلين ولذلك كانت أكمل من الاولى وهذا معنى الحديث الذي فسر فيه النبي صلى الله عليه وسلم الوحي لما سأله الحرث بن هشام وقال كيف يأتيك الوحي فقال أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال والكهانة فهي أيضاً من خواص النفس الانسانية وذلك قد تقوم لنا في جميع

أمورا كثيرة لا يمكننا ذكرها في هذا الكتاب مخافة الاطناب فاذا الانسان وان كان يعلم قبح مطلق الظلم وحسن العدل الا انه لا يمكنه تحديد أفراده اذ افراده عسرة التحديد جدا فلا بد من رسول يبين افراد المظالم فلذلك ورد في القرآن المجيد النهي عن افراد المظالم الانف بالانف والعين بالعين والجروح قصاص وكما في قوله فمن اعتدى عليكم فعتدوا عليه بمثل معتدى عليكم وذلك كثير لا يخفى عدده فتبين لك ان الحق مع أهل السنة والجماعة حيث قالوا ان قبل بعثة الرسل لا يعذب ولا يعاقب ومن مات من أهل الفترة قبل بعثة الرسول لا يعذب وانه لا حق مع المعتزلة سواء انهم اطلقوا دعواهم وجوزوا العذاب قبل البعث مطلقا أو خصصوها باهل الفترة هذا ما تفرت به وهو تحقيق بالقبول حقيق والله ولي التوفيق ثم ذكر المؤرخون نبذة من اخبار البلدان وعوايدهم فاذا عادت أهل الشام غير أهل المدينة وعادت أهل المدينة غير أهل مصر وكل من هذه البلدان يجد عادته حسنة وعادة غيره قبيحة ولقد شاهدنا ان حسن الشئ وقبيحه اعتباري فالامر الذي هو حسن عندي قبيح عندك الا ان بعض الامور والمواد من قبيل حفظ الامانة والعدل والصدق والنهى عن الفحشاء والمنكر حسنها مسلم عند السواد الاعظم من العالم وقال الامام في تفسيره لما نزلت آية ان الله يأمر بالعدل والاحسان

ما مر ان للنفس الانسانية استعداداً للانسلاخ من البشرية الى الروحانية التي فوقها وانه يحصل من المحبة للبشر في صنف الانبياء الا ان هذه الحالة لها ميل عظيم للشرور فصدور القبيح أكثر من ضده وزعم بعض الناس ان هذه الكهانة انقطعت منذ زمان النبي بناء على ما حصل من رجم الشيطان بالشهب بين يدي البعثة وان ذلك كان لمنعهم من خبر السماء كما وقع في القرآن والكهانة انما يتعرفون أخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ ولا يقوم من ذلك دليل لان علوم الكهانة كما تكون من السماء تكون من نفوسهم أيضاً كما قررناه سابقاً من ان النفوس تكون في عالم التجريد وتنجذب من تلقاءها وقد زعم بعض الحكماء انها انما توجد بين يدي النبوة

وتنقطع وهذا مع وجود كل نبي لان وجود النبوة عندهم لا بد له من وضع فلكي يقتضه فاذا تم تمت النبوة ونقص ذلك الوضع تنقيض وجود طبيعة من ذلك النوع الذي يقتضيه ناقصة وهو معنى الكاهن فاذا تم ذلك الوضع تم وجود النبي بكماله وانقطعت الاوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شيء بعد وهذا بناء على ان بعض الوضع الفلكي يقتضي بعض اثره وهو غير مسلم فلعل الوضع انما يقتضي ذلك الاثر بهيئته الخاصة ولو نقص بعض أجزائها فلا يقتضي شيئاً الا انه يقتضي ذلك الاثر ناقصاً كما لو قالوه ثم ان هؤلاء الكهان اذا غامروا زمن النبوة فانهم عارفون في صدق النبي الا انه عنوة الكبرياء والطمع في تصديقهم واتباع الناس أحب اليهم من اظهار الايمان بالله لانه لاشك

وايتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر وبلغ الخبر الى ابي طالب قام على ساقيه فقال يامعشر قريش ان محمدا صلى الله عليه وسلم جاء بتهذيب الاخلاق ومكارمها فهذه الامور حسنة في نفسها وحسنها مسلم عند كل ذي عقل سليم وطبع مستقيم الا ان العقل لا يعرف حسن هذه الامور الا بعد التعليم والوقوف لان الهيئة الاجتماعية من النوع البشر يختل بفعل أضداد هذه الامور وينتظم بوجودها فتبين لك الآن ان العقول ليس كافية بل لا بد للعالم من شارع وأيضاً تبين انه لا يجوز بقاء قول المعتزلة على اطلاقه وهو ان العقل يدرك حسن الشيء وقبحه بل لا بد من تحقيقه بانه يدرك بعد وجود معلم وغير ذلك من القيود السالفة فاذا خصصنا قول المعتزلة فالعقل يدرك حسن الشيء وقبحه لكن لا مطلق الشيء لما بينا لك أقوال المؤرخين من ان حسن الشيء وقبحه امر اعتباري فالذي حسن عندك قبيح عندي الا هذه المواد التي سبق ذكرها فان حسنها مسلم عند جميع أرباب العقول من الناس ثم ان هذه الامور مسلمة على كل وجه واما افرادها غير معلومة على وجه جاءت بها الشريعه المحمدية ويستدل على ذلك بانه وجدنا في الكتب السالفة الموضعة للسياسة ومحافظة حقوق البشر وهي مخالفة أشد المحافظة لما جاء في الشريعة فاذا تبين لك ان هذه الامور الكلية وان كانت معينة في نفسها حسنة الا ان

افرادها لايمكن الوقوف عليها على الوجه الذي بينه الشرع الانور فاعلم ان العقل لايدرك حسن الشئ وقبحه على وجه جاء به الشرع سواء كان بعد التعلم أو قبله وقد أوعدناك فيما سلف والوعد لابد له من وفاء فالنشرع به ونقول ان النبوة ليست كسبية ونستدل على ذلك بان الارواح خلقت متفاوتة بالاستعداد وذكرنا عليه بعض الدلائل فارواح الانبياء هي مخلوقة على نمط من الاستعداد حيثما يشتد اعتدال المزاج يمكنها اخذ معاني الالهية من اللوح المحفوظ أو من المبادي العالية وذكرنا هذ المبحث مفصلا فى رسالتها المسماة بفتوح الرحمان لاثبات الجذب والعرفان فاذا كانت الارواح متفاوتة بحسب استعدادها فكيف يمكن الغبي ان يصل الى مايصل اليه الذكي نعم الا ان مراد الحكماء ان الارواح التي خلقها الله تعالى مستعدة لان تكون رسلا لايمكنها الوصولى الى مرتبة النبوة الا بعد الكسب فيكذب دعوائهم الاخبار الواردة عن الرسل السالفة صلى الله عليهم مع انهم لم يجتهدوا بالعلوم بل جرت الحكمة على لسانهم وهم أولاد صغار والادلة المعقولة السالف ذكرها وهي ان العالم فى النشئة الاولى لابد له من معلم عالم فارجع اليها وانظرها بعين التحقيق والانصاف فهلا تجدها كافية وافية فصل انه من المعلوم لديكم انه لايجوز ان يوجد عرض بدون محل فكيف تجعلون الاثير موجوداً

يعرفون الاعجاز والسحر والانبياء تصدر منهم المعجزات لالسحر فيحصل لمن يفرق بين الامرين الايمان بالمعجزات فيؤمنون بالنبي صلوات الله عليه وسلامه ثم اذا غلبت اتباع النبي الصدق فى نبوته انقطع آمال الذين كانوا في طمع ان يكونوا أنبياء فيصدقون بالنبوة ويظهرون ذلك الصدق لكن قد ذكرنا في كتابنا المسمى بروضة السنية في اثبات اقوال الصوفية ان الروح هل خلقت متساوية في استعدادها ام لا ثم بعد تعلقها بالبدن تفاوتت الاستعداد ام لا فاقول الآن وان كان أشبعنا الكلام في روضة السنية ان ارواح الانبياء من أصل فطرتها لها استعداد متفاوت قبل تعلقها بالبدن لان أرواحهم في أصل فطرتها خالية عن الدنس والا لصدر منهم الافعال القبيحة التى

بنفسه مع انكم تقولون ان الاثير نفس التموج فكلامكم يناقض نفسه فاي شق تختارون فالامر عليكم فى غاية الوخامة فكيف تقولون ان الاثير صدرت هذه الكائنات من تموجاته فصدورها على طريق الاتفاق أو على الترتيب والنظام فان كان على طريق الاتفاق فالقدماء الاقدمون اختلفوا فى أمر البخت والاتفاق فقرقة انكرت ان يكون للبخت والاتفاق مدخل في العلل بل انكرت ان يكون لهما معنى فى الوجود وقال طائفة أخرى ان أمر البخت عظيم وتشيعوا فرقا فقال قائل منهم ان البخت سبب الهي مستور عن ان يدركه العقول ولا مناقشة لنا معه لانه ثبت وجود الآه فى العالم وفرقة قدمت البخت من وجه على الاسباب الطبيعية فجعلت كون العالم بالبخت وهذا هو ذيمقراطيس وشيعته فانهم يرون ان مبادي الكل اجرام صغار لا يتجزى لصلابتها ولعدم انحلالها وانها غير متناهية بالعدد ومثبوتة في خلاء غير متناهي القدر وان جوهرها في طباعها متشاكل وباشكالها مختلف وانها دائمة الحركة في الخلاء فيتفق ان يتصادم منها جملة فيجتمع على هيئة فيكون منها عالم وان في الوجود عالم مثل هذا العالم غير متناهية بالعدد مرتبة في خلاء غير متناهي ومع ذلك فيرى ان الامور الجزئية من الحيوانات والنباتات كائنة لا بحسب الاتفاق قال الحكماء لابد من انتهاء الحركة الى محرك غير متحرك لاستحالة توالي

تخالف الانسانية فضلا عن النبوة قال حضرة الشيخ الاكبر انه تحصل الصفوة والولاية باول قدم وتمسك بالشريعة اقول تبين من قول حضرة الشيخ ان الارواح متفاوتة في أصل فطرتها فحين ما تمسك الانسان بالشريعة أفاض الله عليه البركة بناء على ان فطرته مستعدة استعداد اكثر من غيره ونستدل على تفاوت الارواح بقوله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب فهذه الآية الشريفة تدل على ان الارواح أيضاً متفاوتة لان السماع انما يكون بالصماخ الحاصل بتموج اجزاء دقائق الجسم سواء كان بالهواء أو غيره واتباع الاحسن لايكون الا بقوة العقل والروح المقدسة التى في مبدء فطرتها سالمة عن الشرور والقبائح

الاجسام متحركة محركة بعضها لبعض الى مالا نهاية وذلك لان كل غير متناه يمكن ان يفرض في داخله حد ويفرض أبعد منه في بعض الجهات حد آخر فاذا توهمنا بعدا يصل بين الحدين يجتاز الى غير النهاية لم يخل اما ان يكون ما يبتدي عن الحد الثاني لو اطبق في الوهم على ما يبتدي من الحد الاول لحاذاه وساواه فلم يفصل عنه فليس بانقص ولا أزيد منه وكل ماهو مساو لما بعد عن الحد الثاني فهو أنقص مما هو مساو لما بعد عن الحد الاول فيكون ما هو مساو انقص وهذا خلف وان فضل فهو متناه والفضل متناه فالجملة متناهية فاذا لايمكن ان يفرض بعد غير متناه في خلاء أو ملأ وكذلك يبين حال ترتيب الاعداد التي لها ترتيب في الطبع بل الامور التي لا نهاية لها هي في العدم لها قوة وجود وكل مايحصل في الوجود يكون متناهيا ولو كان غير متناه مالأ خلاء لكان لايمكن ان تكون حركة مستديرة فانا اخرجنا من حركة خطا الى المحيط بحيث لو أخرج في جهته قاطع خطا مفروضاً في البعد غير المتناهي على نقطة فانه اذا دار زالت تلك النقطة عن محاذاة المقاطعة الى المباينة اذا صارت في جهة أخرى فيصير بعد ان كان المركز مسامة بها شيئاً من ذلك الخط غير مسامته لشيء منه ثم يعود مسامتا فلابد من أول نقطة صار مسامتاً قبل اول مسامتها او بعد آخر مسامتها هذا

فدلت هذه الآية الشريفة على تفاوت الارواح وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات يستدل بهذا الحديث على ان الارواح في أصل خلقتها مجردة تطلع على ملكوت السموات الا ان بعد تكونها ووجودها في البدن حصل لها من دسائس الشيطان مايمنع من ذلك وقد ذكر العلماء ان الملائكة كونها مجردة ليست بأشرف من الانسان لانه عالم غير مجرد والعالم الغير المجرد أشرف من العالم المجرد لانه كالمرأة لاتحصل الانطباع التام الا بعد محافظة الجسم الكثيف فالانسان لما خالطته القوة الروحانية مع الجسمانية لم يحصل الانطباع على وجه الاتم ومن هذا تبين للانسان الكامل ان الارواح بعد وجودها في البدن

خلف لكن الحركات المستديرة ظاهرة الوجود فالابعاد الغير المتناهية ممتنعة الوجود وان كانت الابعاد محدودة فالجهات محدودة فالعالم متناه فليس للعالم خارج خلي فاذا لم يكن له خارج لم يكن له شئ من خارج والباري عزوجل عال عن المكان وعن ان يكون في داخل او خارج وكل جهة فهي نهاية وغاية ويستحيل ان تذهب الجهة في غير النهاية اذ لا بعد غير متناه ولو لم تكن اليها اشارة لما وجد واذا كان اليها اشارة فهي حد ليست وراء ذلك فلو كان كلما أمعنت الى الجهة لم تحصل جهة لم تكن موجودة لشئ فالعلو والسفل وما اشبه ذلك محدودة الاطراف ولا محالة ان حده خلأ أو ملأ وستعلم انه لا خلاء فهو اذا بملأ فما يحد الجهة قبل الجهة ولو كانت الجهات تحد باجسام كثيرة لكان السئول ثابتاً في اختلاف احوالها بل يجب ان تكون الجهات متحددة بجسم واحد تكون اليه غاية قرب وغاية بعد محدودين فاذا الاجسام التي تحتاج الى جهات متحددة تحتاج الى تقدم وجود هذا الجسم لها وان يكون اختلاف جهاتها بالقرب منه والبعد منه ليس في جانب دون جانب منه اذ لا تختلف جوانبه بالطبع فيجب اذا ان تكون حاله في اثبات الجهة حال مركز أو محيط لكن المركز محدداً لقرب ولا يحدد البعد لان المركز الواحد يصلح ان يكون مركزاً لدوائر مختلفة الابعاد فيجب ان تكون على سبيل

تحصل استعداداً ليست له قبل وظاهر الحديث خلاف ذلك فأقول في التوجيه ان الحديث ليس فيه اشعار ان الارواح قبل وجودها في البدن كان لها استعداد وقوة في النظر الى ملكوت السموات بل الحديث يشعر بان الروح بعد دخولها في البدن حصلت لها هذه القوة الاستعدادية حيث قال لولا ان تحوم الشياطين حول قلوب بني آدم فذكر القلب ولفظة بني آدم لا شك بانها نص في ان الروح بعد تكونها ووجودها حصل لها هذا الاستعداد والقوة ومن هذا تبين ان الروح بعد وجودها في البدن يحصل ما لا يحصل له قبله وقول الحكماء وبعض المفسرين بان الروح هي بخار يتكون من البدن حينئذ لا شك في القول بان كلما يتكون لها فهي من البدن باذن الله وجعله ثم اعلم ان النفس على

المحيط فان المحيط الواحد كما يحدد القرب منه ذلك يحدد البعد منه وهو المركز الواحد المعين فثبت انه لايمكن وجود بعد غير متناه فقول ذيمقراطيس ان مبادى العالم اجرام صغار غير متناهية فاسد وقوله انها غير متناهية بالعدد أيضاً فاسد وأيضاً ان اعتقادكم بما قال ذيمقراطيس من ان مبادى العالم اجسام صغار لاتتجزى غير متناهية تبين بطلانه لكم بما قررناه من الدليل ان لايمكن وجود أمر غير متناه ثم تتكلم الحكماء فى وجود أمر لايتجزى وأبطلوه قال ابن سيناء ان الاوايل كانوا يرون ان الاجسام متقررة الوجود من أجزاء لها لايتجزى وان من اجتماعها يحدث الجسم ولم يزل هذا الرأى فيهم مدة وكان مقبولا ثم جعل يضمحل قليلا قليلا على طول الرؤية واطلاع المتأخرة على ماقصر من المتقدم حتى انفسخ بالجملة آخره وانفسخ أيضاً ما كان يتشعب من الآراء وصح ان الاجزاء التي لاتتجزى لايمكن ولو بوجه من الوجوه ان تكون مبادى لوجود الاجسام واستقر عليه رأى الجملة كالاجماع ثم اعلم ان الاسباب الموجبة للقول بقدم العالم هي الاطلاع على أجزاء المادة وخواصها لان الماديين حصل لهم القول بقدم المادة وكون الاثير هو المبدأ لايجاد العالم والعياذ بالله من هذا القول وان فن الكيمياء وكتب الطبيعية وفن الجوليجيا يبحث عن المادة وخواصها

قسمين نفس حيوانية ونفس ناطقة فقول الحكماء ان النفس بخار مرادهم بها النفس الحيوانية التى هى سبب حياة الانسان والنفس الناطقة هى التى خلقت على هيئة لايمكن اطلاع البشر عليها بل هى مجهولة لايعلمها الا الله وهى التى تكون سبباً لادراك الامور وهذه النفس الناطقة متفاوتة في أصل فطرتها التى بها يستفاد العلوم والترقيات الالهية ولا كلام في تفاوتها في أصل خلقها والقائلون بان للانسان روحاً حيوانية ونفسا ناطقة الحكماء وكثير من الصوفية والمتكلمين ذهبوا الى ذلك ثم أقول ان حظ العقل فيه ان الانسان اذا فارق الدنيا فاما ان يكون قد أرضى نفسه وهذبها ودعا الى معرفة الله وطاعته ومحبته أو مافعل ذلك بل تركها متوغلة في اللذات

وتأثيراتها فالان القول بالمادة وقدمها قالوا اخترعه داروين وليس كذلك لان ذيمقراطيس وغيره من المتقدمين قالوا به ولما كان سبب قولهم عدم اطلاعهم على العلوم العقلية وكثرة اشتغالهم بخواص المادة قالوا ماقالوا فوقعوا فى مهالك عظيمة فحق لنا ان نبين ان الاشتغال فى هذه الفنون لايوجب القول بان وجود العالم انما حصل بالاتفاق من الاثير ولا يوجب القول بالنشو والنماء اعلم ان الاجسام البسيطة حاصلة الوجود من جوهر لاوجود له بذاته ولا لذاته حلية ولا صفة وانها قابلة لكل حلية وصفة جسمية وانما جوهريتها لانها ليست فى محل وهي اخس الجواهر وأحقرها وانها انما تقوم موجودة بالفعل بما يحصل فيها من الصفات الاولية لها فالصفة الاولية التي لولاها أو ضدها لم تكن الهيولي موجودة وهي تسمي صورة وليست الهيولي تلتبس بالصورة الاولية بذاتها ولا الصورة تستقر فى الهيولي لذاتها بل بصفة صانع ليس يمكن ان تكون ذاته أو تكفيه من هيولي وصورة ولا شئ يقوم مقام الهيولي والصورة ولا هو بوجه من الوجوه حجم أو مقدار ولا يمكن ان يلحقه حركة أو سكون ولا يجوز ان يكون فى ذاته بالقوة على حال يخرج ثم يخرج بالفعل بل هو صريح ثبات على وحدة واحدة لايتكسر ولا يتغير ولا يجانس شيئاً من الهيولائيات بالانحصار فى أين

الجسمانية مقبلة على الاحوال الوهمية والخيالية فان كان الاول فتلك النفس تفارق مع مذكتة البهجة والحضرة الالهية والسعادة الصمدية وان كان الثاني فتلك النفس تفارق مع الاسف والحزن والبلاء الشديد بسبب الميل الى عالم الجسم وهذا هو المراد بقوله واذا النفوس زوجت وشيطان النفس الكافرة هى الملكات الباطلة والجواذب الفاسدة وهو المراد من قول عطا ان كل كافر مع شيطانه يكون مقرونا بالاصفاد والقول الثاني في نفس قوله مقرنين في الاصفاد وهو قرن الكفار بعضهم ببعض والمراد تلك النفوس الشقية والارواح الكدرة الظلمانية لكونها متجانسة متشاكلة ينضم بعضها الى بعض وينادي ظلمة كل واحدة منها الى الآخر وانجذاب كل واحدة منها الى الآخر

أو مدة أو جهة وذاته ذات قادرة على غير المتناهيات من المقدورات فلذلك تعالى ان يكون جسما أو متحركا فهذا القدر من الله تعالى سمح به الى الهيولى للطبيعيين وايضاً عرفوهم من امره انه تعالى وضع كل امر طبيعي لغرض وان وجود العالم واجزائه على اكمل ما يمكن انه لاعيب فيه ولا معطل ولا شيء كائن من تلقاء نفسه وعرفوهم من تدهره انه تعالى جعل اختلاف حركات السماويات اسباباً للاختلاف الكائن في هذا العالم والاتفاق الذي فيه من جهة ان الحركة المستديرة علة لثبات الكون والفساد لهذا ثم لم يطلعوهم بعد هذا على شيء من الامور الالهية لان هذا القدر كان يكفيهم فى البناء على مبادى صناعتهم وبعد ذلك نزلوا من امر اليه واطلاعهم على اصول منه الى تحقيق حال الهيولى والصورة على سبيل الوضع والتقليد فقالوا لهم ان الهيولي أول مايتطبع بالقوة المعطية للمقادير الجسمية وعنوا بالاولية الذاتية لا الزمانية فان الهيولي لا تسبق الصورة بالزمان ولا الصورة الهيولي أيضاً بل هما مبدعان معاً عن اوليته ومبدعها يتقدم الكل بالذات لانه كان معه فيما لم يزل زمان لان الزمان يحدث مع حدوث الحركة وقد ذكرنا لك فيما سبق ان الجسم البسيط لا وجود له بذاته لانه مركب من جوهر لا وجود له بذاته ويعنون بالبسيط ماوجوده لايخل بالوهم ولا

في تلك الظلمات والخسارات هى المراد بقوله مقرنين في الاصفاد والقول الثالث قال أبوزيد قرنت أيديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاغلال وحط العقل ان الملكات الحاصلة في جوهر النفس انما تحصل بتكرر الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء فان كانت تلك الملكات ظلمانية كدرة صارت فى المثال كان أبدانها وأرجلها قرنت وغلت بزمامها وقوله تعالى سرابيلهم من قطران حط العقل من هذان جوهر الروح جوهر مشرف لامع من عالم القدس وغيبة الجلال وهذا في البدن جار مجرى السروال والقميص وكل مايحصل للنفس من الآلام والغموم فانما يحصل بسبب هذا البدن لذع وحرقة في جوهر النفس بقوة الشهوة والحرص والغضب انما يتسارع الى جوهر الروح بسبب تكون الكثافة والكدورة

بالعقل الى اجسام متشابهة الطبايع والانواع مثل الماء والارض المحضة وغير ذلك هذا رأى القدماء من الحكماء واما رأى المتأخرين الماديين فهم يزعمون ان الجسم البسيط مركب من اجزاء سواء كانت متشبهة أو متخالفة والهيولي اما ان تكون من الاجسام البسيطة أو المركبة فان كانت من الاجسام البسيطة فلا شك انها لها وجود بنفسها لما بينا ان الاجسام البسيطة مركبة من جوهر ليس له وجود بذاته فاذا الهيولي أيضاً ليست موجودة بذاتها وأيضاً ان الهيولي ليست تلتبس بالصورة بذاتها لما بينا لك ان الهيولي ان كانت من الاجسام البسيطة فهي متشابهة الاجزاء فلم يوجد فيها مرجح لتعين الصورة فلا بد وان يكون المعين للصورة أمر خارج عن ماهية الهيولي فلا يكون تلبس الهيولي للصورة امر ذاتي لكونها محتاجة فى تلبس الصورة الى استعداد قبول هذه الصورة وذلك الاستعداد لابد ان يكون من تحريك اجزاء الجسم المتشابهة الاجزاء على نمط يمكن به تحصل هذا الاستعداد وذلك لا يكون الا من صنع صانع حكيم يدبر الامور كيف ما تقتضيه الحكمة والا ان كان وجود الصورة بدون داعي وكون ذات الجسم مقتضياً لذات الصورة وهذا كلام لا يمكن ان يسمع لان ذات الشئ لا يقتضى أمراً خارجاً عنه ثم اقول ان الهيولي لا يمكن ان تكون موجودة بذاتها لانها مركبة من جواهر

والظلمة وهو الذي يخفى لمعان الروح وضوئه وهو سبب لحصول النتن والعقوبة فى أشبه هذا الجسد بسرابيل اعلم ان موضوع المعرفة والنكرة والعلم والجهل هو القلب وموضع الفكر والوهم والخيال هو الرأس واثر هذه الاحوال يظهر في الوجه فلهذا السبب خص الله هذين العضوين لظهور آثار العقاب فيها فقال فى القلب نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة وقال فى الوجه ويغشى وجوههم النار ثم ان الاخلاق الظلمانية هى المبادي لحصول الآلام الروحانية وحصول تلك في النفس على قدر صدور الاعمال منهم في الحياة الدنيا فان الملكات النفسانية انما تحصل في جوهر النفس بسبب الافعال المتكررة وعلى هذا التقدير فتلك الآلام تتفاوت بحسب تلك الافعال في كثرتها وقلتها وشدتها وضعفها فتبين

ليس وجودها من ذاتها والدليل على هذه الدعوى انه قد تقرر عند ارباب العقول ان الوجود الذاتي هو الذي لا يكون محتاجاً في وجوده الى غيره وقد ذكرنا لك ان الجسم اما ان يكون مركباً أو بسيطاً فان كان مركباً فهو محتاج الى اجزاء واحتياج الشيء في ذاته ينافي كونه موجوداً بوجود ذاته وان كان بسيطاً فهو أيضاً محتاج الى اجزاء لانا بينا لك ان الجسم البسيط له اجزاء منشأبة في الوجود عند المتقدمين وعند المتأخرين هو اعم من ان تكون اجزاه متشابهة في الوجود ام لا فعلى المذهبين ان الجسم او الجوهر الذي تتركب منه الهيولي فهو محتاج في وجوده الى اجزاء فلا يجوز ان يكون وجوده ذاتياً ولا يجاب عنه بان الاحتياج الى الى الغير ينافي الوجود الذاتي واجزاء الشيء ليست غيره فاذا ان الجسم البسيط يجوز ان يقال له انه موجود ذاتي لما حققنا ان اجزاء الشيء غير الشيء ولا سيما قبل تركيبه منه ولو كان أجزاء الشيء عين الشيء لوجد الشيء متعدد ولكان الشيء موجوداً قبل وجوده وذلك محال بداهة فترجع الكلام على الاثير ونقول ان الاثير هل هو مركب أم لا فان كان مركباً فيلزم ان يكون وجوده من غيره وبغيره وذلك لا يجوز ان يكون قديماً فضلا من ان يكون موجداً للكائنات وان كان بسيطاً أيضاً يلزم احتياجه للغير لما بينا لك ان الجسم وان كان بسيطاً فهو أيضاً مركب من أجزاء

لك ايها الانسان الطالب للحق الذي هو بالاتباع احق ان الانسان في أصل فطرته منزه عن الشر بل ان الارواح خير محض وان هذه الكدورات وصدور أفعال القبائح تكون من طبيعة الانسان بعد غلبت الشهوة واللذائذ النفسانية فان الانسان يرجح اللذائذ الحسية لانها تحصل على وجه السرعة والحقائق الالهية لا يمكن للروح الاطلاع عليها بعد وجودها في البدن الا ان يرتاض الانسان ويشق على نفسه ويترك اللذائذ الحسية التي حصل لها بدون مشقة لا يختاره الا اهل العقول السليمة الواقفين على حقائق الامور الالهية لان هؤلاء القوم لا يمكنهم ترجيح اللذائذ الحاظرة وان كانت سريعة الحصول قليلة التعب على الحقائق واللذائذ الباقية التي لا يمكن فنائها وان كان حصولها بالرياضات

متشابهة الوجود فهو أيضاً محتاج الى غيره وقد بينا لك انه لايجوز ان يكون وجود الشئ عين أجزاه لوجود كون الشئ موجوداً بوجود متعددة هو محال ورأى الحكماء من المتقدمين والمتأخرين ورأى الماديين على انه لايمكن ان يوجد جسم مركب من أجزاء لاتتجزئ بل كل جسم فرض وكل جزء فهو عندهم مركب من أجزاء تتجزئ فاذا كل جسم أو جزء فانه مركب وكل مركب فهو حادث فما قولكم بقدم الاثير وكونه موجداً للكائنات الاقول من لا يعرف المعقول والمنقول واضله الله فيبقى حائراً أين يتوجه فيقول مالا يعلم ثم ان الهيولي لو كانت موجودة بذاتها لما تغيرت لان الهيولى بنفسها لاتقدير لها ولا كم واذا كانت كذلك لم يفرض لها مقدار معين تكتسبه دون ما هو أصغر منه أو أكبر منه بل يتبع ذلك حال القوة التي ينالها أولا ويتوسطها تيكم فربما كانت حرارة فتغطه مقداراً ثالثاً وقالوا ان المادة التي خلقت لقبول الحرارة والبرودة فانها اذا احترت لبست حجما أو مقداراً أكبر واذا بردت ليست ذلك أصغر لا لان شيئاً انفصل عن المتصغر بالتكاسف أو شيئاً انضم الى المتكبر بالتحلل بل لان المادة بعينها قبلت تارة مقداراً أكبر وتارة مقدار أصغر وهذا النوع من التحلل والتكاثف غير الكائن بالانفشاش والانتقاش والانعصار والانحصار اللذين

والمشقات وقال الشاعر

على قدر الكد تكتسب المعالي

يغوص البحر من طلب اللآلي

فان أهل الحقائق وان شقت عليهم تحصيل اللذائذ الروحانية والوصول الى المقام الالهى الا ان وقوفهم وعلمهم اليقين يدعوهم الى ارتكاب هذه المشقة لان من يطلب الحسناء لم يغله المهر وهذا تفسير قوله تعالى وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة للذين يتقون أفلا يعقلون فاللعب واللهو لا يكون للغافلين عن مقام الالوهية ولذة اللقاء مشتغلين باللذة الحاضرة التى بعد الانفصال حصول الندم فذلك لا يكون الا للجاهل الغافل

المقصد الرابع

في اثبات الفرق بين أهل النظر وأهل الكشف اعلم ان المعلومات من حيث هى معلومات

يتعلقان بتقارب والدليل على ان الهيولى في نفسها ليس لها مقدار ولا كم انا وجدنا الهيولى يعرض لها المقدار والكم بعد وجود الحرارة والبرودة وغير ذلك وبواسطة هذه العوارض يحصل الصغر والكبر ولو كانت الهيولى بذاتها تقبل الصغر والكبر لما كانت عند وجود الحرارة والبرودة تقبل التغير وايضاً مذهب من قال ان الهيولي تحصل الصغر والكبر بواسطة التكاثف الى المتصغر وانضم الى المتكبر بالتحلل فعلى هذا المذهب أيضاً يتبين ان الهيولي ليست فى نفسها تقبل الزيادة والنقصان لان الحاصل للهيولي قبل ورود الحرارة أو البرودة ان كان النقصان فلا يمكن ان يتغير الى الزيادة لان مابالذات لا يتغير وان كان الزيادة فلا يجوز ان يحصل له بالتكاثف التغير الى النقصان لما بيناه لك أو كان أمراً بسيطاً مستعداً لهذين الحالتين وبعد وجود الحرارة أو البرودة مثلا حصل الصغر أو الكبر فذلك لا كلام فيه وانما الكلام فى كون الهيولي أو الاثير واجباً بذاته لان كل أمر احتاج وجوده لغيره لايجوز ان يطلق عليه ان وجوده من ذاته لان الوجود الذاتي ينافي ذلك فان قيل ان وجوده الاستعدادي من ذاته أى كونه مستعداً للصغر والكبر هو وجوده من ذاته وكونه كبيراً أو صغيراً هذا الوجود الذي احتاج الى الحرارة والبرودة قلت كون الهيولي أصغر أو أكبر عين الوجود الاستعدادي أو غيره فان كان

لاشك في كونها مختلفات لانه لو كانت صور المعلومات متحدة لما تكثرة العلوم بل كانت العلوم واحدة وأهل النظر على ذلك أيضاً الا ان كلامهم في اتحادها مع العلوم فقال طائفة انها عين المعلوم وقال الآخرون انها ليست عين المعلوم بل هى متحدة من جهة ومتغايرة من جهة أخرى ثم ان المعلومات لكل واحدة جهة فالمعلومات تحصل بالبصر والسمع والشم واللمس والطعم والعقل والذوق والخيال والحس المشترك والحافظة فان لكل معلوم محل يدرك فالسمع يدرك بعض الامور والبصر يدرك بعض الامور لكن تزعم جماعة من الحكماء فى الحس واستدلوا بكثير من الادلة وطعن فيها جماعة أخرى الا ان المنكرين للحس غلطوا وخبطوا وادراك المعقولات على قسمين

عينه يلزم ان ماوجوده بالذات صار وجوده بالغير وذلك محال بالبداهة أو غيره فنقول هل هو محتاج الى هذا الوجود الذي هو غيره أم لافان كان محتاجا فيلزم ان يكون ماوجوده بالذات محتاجا الى ماوجوده بالغير وذلك أيضاً باطل لان احتياجه الى طريان الصغر والكبر لايخلو اما ان تكون الهيولي قبل هاتين الصفتين تامة أو غير تامة فان كانت تامة يلزم يتمم التام وذلك أيضاً محال وان كانت غير تامة وتدعي التمام بهذه الصفات فيلزم ان يكون الهيولي والاثير بعض وجوده بذاته وبعضه بالغير وذلك محال فان قيل ان الاثير محتاج الى الصغر والكبر الا ان احتياجه اليهما ليس فى الوجود بل استعداده اقتفى ذلك كالانسان فانه فى وجوده ليس بمحتاج للضاحك بل هو أمر يحتاج فى وجوده الى الناطق وبمقتضى الناطقية يحصل للانسان هذه الضاحكية وغير ذلك فحال الهيولي والاثير أيضاً كذلك فانه أمر موجود بنفسه ثم حصل بعد ذلك الوجود الذاتي الصغر والكبر قلت ان هذا قياس مع الفارق لان الناطقية التى هي سبب لوجود الانسان اقتضت هذه الاعراض كالضاحكية وغير ذلك وان المادة والهيولي ما اقتضت وجود الصغر والكبر بل هي كانت مستعدة اليهما وان الذي اقتضى هذين الامرين الحرارة والبرودة وهما أمران خارجان عن ذات الهيولا او المادة أو الاثير ثم ان هذا الاصغر والكبر لايمكن

قسم ضروري مركوز في نفس الانسان وقسم نظري يفتقر الى الحواس لان النظريات لا يجزم بها ولا تكون مفيدة لليقين حتى ترجع الى الامور الضرورية ومن المعلوم ان ماهو حاصل بدون هذه الحواس الخمسة لا يحصل الا بواسطة الهام من الله لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب بيده بين كتفى فوجدت برد أنامله بين ثدي فعلمت علم الاولين والآخرين فهذا العلم يشمل علم المعقول والمنقول مما يدركه المخلوق ورسول الله صلى الله عليه وسلم حصل بهذا العلم الذي لايمكن تحصيله غيره ونستدل على ان اللدنيات لا تحصل بالحواس بقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما يفيد ان تلك العلوم حصلت عنده من عند الله من غير واسطة والصوفية سموا العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم

وجود المادة بدونهما فاذا احتاج ما بالذات الى ما بالغير وذلك محال واعلم ان الماديين يفرقون بين الصورة والعرض اذ الصورة ما كان من محمولات الهيولى مقومة لها فلا بد للهيولي منها أو من ضدها ان كان لها ضد والاعراض فهي المحمولات التي حصلت في الهيولي بعد ان تقوم جوهراً جسمانيا بالفعل فلو ارتفع ولم يخلفه ضده لم تحتج الهيولي اليه والى ضده في القوام وذلك كالالوان والروائح وقد يكون منها ما هو لازم غير مفارق الا انه ليس لما وجدت أولا وبالذات فتقومت الهيولي بل لما تقومت الهيولي لزمت بالذات وقالوا للطبيعيين ان هذه بعضها يحدث في الهيولي حدوثا أوليا وبعضها بعد التركب وتكون مضادة من وجه للصورة التي كانت في حال البساطة وانما يحدث في الهيولي أوليا فى حال البساطة فان مقيد وجود الشيء الذي ليس بجسم ولا هيولائي اما بلا واسطة واما بواسطة جواهر روحانية ليست أيضاً جسمانية وهذه المعانى لا توجد لها مماثلة مع المبدع الاول فان قولنا ليس بجسم فى الحقيقة فانه كما ان قولنا ليس بجسم وهو فى جسم لا يوجب المماثلة مماثلة بين السواد والبياض بل بين السواد والحركة كذلك قولنا ليس بجسم ولا فى جسم لا يوجب المماثلة بين المبدع الاول القيوم الواجب الوجود الحق المتعال عن ان يكون جوهرا أو جسما أو عرضاً وبين الجواهر الروحانية ثم ان الطبيعيين

اللدنية والشيخ ابو حامد رحمه الله له رسالة في اثبات العلوم اللدنية الا انها لم أجدها وأقول تحقيق الحق انا لو أدركنا حقائق فاما ان نحكم بوجودها وعليها اولا والاول نسميه بالتصديق والثانى بالتصور ولهذا ان العلماء العاملين انما يكونان حاصلين بالكسب والنظر والتأمل والتفكر وذلك العلم حاصل بالاستدلال ولم يكن حاصله فعل الاستدلال في جوهر النفس الزكية الانسانية وأما انها فى أصل الفطرة وفي جوهر النفس قد حصلا بدون نظر واستدلال بل قد حصلا بالرياضات والمجاهدات ولهذا العلم يسمى العلم اللدنية فنقول ان جوهر النفس الناطقة مختلفة بالماهية فقد تكون النفس مشرفة نورانية الهية علوية قليلة التعلق بالبدن وجواذبها والنوازع البدنية الجسمانية فلا جرم كانت ابتداء

في درجتهم لاحت لهم أصول أخرى فلزم لهم ان يكون كل جسم بسيط يختص باين يخصه غير مشارك وقد وقع الاتفاق من اهل العقول ان الذى يخصه الاين فهو حادث والا للزم قدم الاين وهو محال وقد قرر الحكماء ان المواد للاجسام العالية صنفان صنف يختص بالتهيؤ لقبول صورة واحدة لاضد لها فيكون حدوثها على سبيل الفساد الى شئ آخر والى هذا يرجع قول الحكيم ان السماء غير مكونة من شئ ولا فاسدة الى شئ لانها لاضد لها لكن العامة من المتفلسفة صرفوا هذا القول الى غير معناه فامعنوا فى الالحاد والقول بقدم العالم فهذا صنف وخصوه باسم الاثير والصنف الثانى صنف متهيئ لقبول الصورة المتضادة فيكون تارة هذا بالفعل وذلك بالقوة وتارة بالعكس وسموه العنصر فجعلوا الاجسام أثيرة وعنصرية والزموا بعد هذا تابعيهم من الطبيعيين ان يعتقدوا ان كل جسم فيه قوة هي مبدأ حركة له بالذات وان يعتقدوا ان الصانع هو الحق فتبين لك أيها الاخ المريد للحق ان الاوائل وان قالوا بقدم الاثير الا انهم سلموا وجود الصانع وقال الحكماء المحققين لمجرد قولهم العالم قديم انهم ملحدون لايعرفون الحق أبداً وقد قرر الحكماء انه لايمكن ان يكون مقدارا غير مشاه لاملأ ولا خلأ وان الكل مشاه وان نهايته هناك الجسم الذي بالقياس اليه تتحد جهات حركات الاجسام المستقيمة

شديد الاستعداد لقبول التخيلات القدسيه والانوار الالهية فلا جرم فاضت عليها من عالم الغيب تلك الانوار على سبيل الكمال والتمام وهذا هو المراد بالعلوم اللدنية وهو المراد من قوله تعالى وآتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وأما النفس التى ما بلغت في صفاء جوهره المشرق العنصر فهذه هى النفس الناقصة البليدة التى لا يمكنها تحصيل العلوم والمعارف الا بواسطة البشرية ثم حال العارفين على قسمين قسم يكمل بالرياضات والمجاهدات بحيث تضعف عندهم قوة المخيلة والواهمة فتظهر أنوار القوة العقلية وقسم يحصلون ذلك بدون هذه الرياضة كما هو شأن الانبياء والرسل ثم ان صاحب الفراسة اذا نظر في شخص فعلم ما يخطر له في باطنه أو ما فعل فان الناس أقسام فالله تعالى جعل قوة

الحركة وبالجملة قد تشعب من هذا الاصول ثمانية مقدمة دقيقة يتوصل بها الى تحقيق الكلام فى أركان الاولى للعالم الجسمانى التى بعضها أركان عالم العنصر أعنى الارض والهواء والماء والنار وبعضها أركان العالم الاثير اعنى الافلاك والكواكب فوق منها ان عددها العدد التام ونظامها النظام الافضل والتدبير فيها تدبير واحد او انه لا تفاوت فيها ولا فطور وظهر للحكماء الطبيعيين فى الاجسام البسيطة والمركبة غير الحيوانية تسعة آلاف دليل على قدير حكيم وقد ذكروا فى كتب الحكمة دلائل كثيرة على وجود الصانع وحكم فى الحيوان والانسان يشتمل على كثير من ذلك كتاب منافع الاعضا لجالينوس ومما قررنا لك تبين ان الاجسام كلها سواء كانت أثيرية أو غير أثيرية فلا بد من ان يوجد فيها حركة ومن المعلوم لديك ان الحركة بماهيتها حادثة فان الحركة باي معنى كان سوى كانت بمعنى الانتقال من حال الى اخرى أم لا فلا بد وان يكون مسبوقا بالعدم لانها لابد وان تنتقل من حال الى حال والانتقال يستدعى ان يكون مسبوقاً بحصول الحال المنتقل عنها وهذا سبق زماني فاذا لم يجامع السابق المسبوق والمسبوق بالغير سبقاً زمانياً مسبوقاً بالعدم وهو معنى الحدوث واعترض عليه بانه ان أردتم ان ماهية الحركة حادثة فهو ممنوع وان أردتم ان جزئيات الحركة حادثة فمسلم ولا يجدى نفعاً واجيب

بعضهم فى النظر وبعضهم في الشم وبعضهم في السمع وغير ذلك وللرجال في الالهام مراتب لقوله تعالى قل ادعو الله أو ادعو الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى قال الصوفية في تفسير هذه الآية فان الانسان يحصل له تجلى الذات فتكون معارفه الاهية وقد يحصل له تجلى الرحمة فتكون معارفه رحمانية كما ان الانسان اذا نظر يقال له ذى نظر قوى فالهام أيضاً ينقسم الى قسمين قال صاحب الفتوحات اعلم أيها الاخ أهل الله آخذون من الكشف واما العلوم الحاصلة بالفكر وما قررته العقلاء فهى ليست بعلوم فالعلم المعول عليه الذي يقذفه الله في قلب العالم فهو نور الهى يختص به من يشاء من عباده من ملك ورسول ونبي وولي ومؤمن ومن لا كشف له لا علم له ولهذا أجاز

بان ماهية الحركة حادثة لوجهين أحدها ان ماهية الحركة مركبة من أمر مقتضى ومن أمر يتحصل لان الحركة لابد وان تنقسم الى أجزاء لايجوز اجتماعها فى الوجود والامر المتحصل مسبوق بالامر المقتضى وظاهر ان مسبوقية الجزء تقتضى مسبوقية الكل والثاني برهان التطبق وتقريره ان تفرض من جزء معين ههنا كدورة معينة مثلا الى مالا بداية له جملة واحدة وتفرض أيضاً من جزء قبلها بمقدار متناه كعشر دورات مثلا جملة أخرى ثم نطبق الجملتين ونسيق الكلام حتى يلزم الحدوث والجواب الذي عندي انكم سألتم ان الحركة الشخصية حادثة ومعلوم ان وجود الماهية وتحققها انما هو فى ضمن الافراد فحدوث الافراد يستلزم حدوث الماهية واستدلوا على حدوث الحركة بانه يجب تالفها من أجزاء بعضها سابقة وبعضها مسبوقة ولنفرضها دورات فلو كانت حركة أزلية كانت تلك الدورات غير متناهية فلو أخذنا من دورة معينة مالا بداية له جملة فنقول تلك الدورة التي هي الجزء الاخير فى هذه السلسلة التي لايتناهى موصوفة بالمسبوقة وليس موصوفاً بالسابقية وكل واحد من أجزائها الاخر موصوف بالمسبوقية والسابقية معا اذ لو وجدنا فيها سابق غير موصوف بالمسبوقية لانقطعت السلسلة فكل سابق مسبوق من غير عكس كلى كالجزء الاخير المذكور فيكون عدد المسبوقية أزيد من عدد

الرسول بالتعريف الالهى بما يحيله العقول فنضطر الى التأويل في بعضها لتقلبه ونضطر الى التسليم والعجز في أمور لاتقبل التأويل أصلا وغايته ان نقول له وجه لايعلمه الا الله ولاتبلغه عقولنا وهذا كله قاييس للنفس لاعلم حتى لاترد شيئاً مما جاءت به النبوة هذا المؤمن العاقل وأما غير المؤمن فلا يقبل شيئاً من ذلك وقد وردت اخبار كثيرة مما يحيلها العقول منها أفاد العلم الظنى ومنها علم اليقين وعين اليقين كما في قوله تعالى ربي أرني كيف تحيي الموتي قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ذكر أهل التحقيق في تفسير هذه الآية ان حضرت سيدنا ابراهيم سأل ربه عن عين اليقين وان كان حاصلا له علم اليقين واني أيضاً استخرجته من قوله تعالى وكذلك نوري ابراهيم ملكوت

السابقية بواحد وانه محال لانهما متضايفان حقيقيان بحسب تكافؤهما فى الوجود وتساويهما فى العدد فاذا تقرر لديك ان الحركة بما هيتها حادثة ولا يخلو وجود جسم عن حركة وسكون لان كل جسم ذي وضع ومن المعلوم ان محل الحوادث حادثة فاذا تبين ان الجسم والاثير حادث فضلا عن ان يكون مصادر الكائنات ثم نقول فى اثبات حدوث الاثير انه لا يجوز ان يكون فى الخلا حركة ولا سكون فالخلاء ليس بمكان اما انه لا حركة فيه فلان كل حركة اما قسرية واما طبيعية ونقول انه لا يجوز فيه حركة طبيعية وذلك لانها اما ان تكون مستديرة واما ان تكون مستقيمة ولا يجوز ان تكون فى الخلاء حركة مستديرة وذلك لان الخلاء من شأنه انه لا يقف ولا يفنى الا ان يكون ورائه جسم غير متناه فذلك الجسم يمنعه ان يمتد الى غير النهاية وهذه دعوى اثبتوها فى كتب الطبيعة بدلايل يقينية لا يمكن ان يقع فيها شبهة فاذا تقرر ما عليه الطبيعيون فلا بد وان نذكر لك مالا بد من ذكره فنقول انه اذا كان كل جسم لا بد فيه من حركة لانه ذو وضع وكل ذي وضع لا بد وان يكون اما متحركا أو ساكناً والحركة والسكون لا توجد الا فى مكان بناء على ما برهن عليه فى كتب الطبيعية فحينئذ القول بقدم الحركة يستلزم القول بقدم المكان ولا قائل بذلك أو القول بوجود الحركة فى الخلاء وذلك أيضاً باطل فظرف الشيء اذا

السموات والارض فيكون من الموقنين فان ظاهر الآية كما هو صريح بين في معنى انا نعلم ابراهيم طريق الاستدلال والكسب كذلك هو بين في معنى انا نطلع ابراهيم على الدقايق الغيبية ليتمكن الايمان في قلبه قال الله تعالى لنريه من آياتنا اه قال المفسرون كذهابه من الليل مسيرة شهر ومشاهدت بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم في هذه الآية أيضاً على تفسيرها بهذا الوجه دليل على ان الله أطلع نبيه على المغيبات حيث أمر أرواح الانبياء ان تمثل له ثم اعلم ان المغيبات كلها من الامور النسبية واذا نظرت بعين الانصاف علمت من هذين الآيتين انه فرق بين علم اليقين وعين اليقين لان النبي كان مؤمناً بان الله مقتدر على ان يسيره مسيرة الف عام بيوم

كان حادثاً فلا بد من حدوث مظروفه لان وجود الحركة موقوف على وجود المكان واذا كانت الحركة والسكون قديماً لزم اما قدم المكان والا لوجد الموقوف بدون الموقوف عليه ولا قائل بذلك وكون المكان غير حادث أيضاً باطل اما وجودهما بدونه وذلك أيضا باطل فثبت حدوث الحركة والسكون ببرهان سهل الحصول تذكرنا اليه وان لم يكن من القوم منقول وحدوث الحركة والسكون يستلزم حدوث الجسم لانا لم نجد جسما في الكون ولا مادة الا وفيها اما الحركة أو السكون وانه لا يمكن وجود حركة بدون جسم ولا وجود جسم بدون حركة واذا كانت الحركة حادثة فلا بد وان يكون الجسم أيضاً حادثا والا للزم اما انفكاك الجسم عن الحركة أو الحركة عنه واما ان الجسم لا يوجد بدون حركة بناء على ان كل جسم مركب من مادة وصورة وتركيب شيء من آخر يحتاج الى الحركة وذلك مسلم وأما ان الحركة لا توجد بدون جسم لانها من الاعراض ومن المتفق عليه انه لا يوجد عرض بدون جوهر أي لا يوجد بوجود مستقل فى الخارج فاذا حدوث الجسم أو الحركة يستلزم حدوث الآخر وان كون جميع المادة حادث قد برهنوا عليه الا انا ذكرنا لك براهين سهلة الحصول قطعية الدلالة وفقنا اليها من جانب الملك العلام أقول بعد ما تبين لك مذهب الحكماء وبطلان القول بقدم العالم وان القائلين

واحد وان ارواح الانبياء ومقاماتهم ايضاً قابلة اذا امر الله ان يطلع عليها الا انه جعل له علم اليقين علم عين اليقين حتى يطلع له صلى الله عليه وسلم اشد الاطلاع وهذه قضية لا يمكن انكارها بعد ما صرحت الادلة بالفرق بين علم اليقين وعين اليقين والا لما كان معنا لقوله تعالى لنريه من آياتنا لانه عالم بقدرة الله تعالى والرؤية لا تزيده علما فلا فائدة فيها حينئذ لكن انبهكم بامر يستنبط من الآية الشريفة انه صلى الله عليه وسلم جعل علوماً بواسطة الاختيار والعلوم الحاصلة بواسطة الاخبار علم يقين والعلوم الحاصلة بالنظر والرؤيا فهي عين يقين لان الانسان بعد ما رأى خلق السموات والارض واعتقد ان هذا خلق الله فلم يرى بعد ذلك قدرة اكبر من هذه القدرة الا انه

بقدمهم ماأقلهم عددا فلا بد من ان نذكر لك قول القدماء الاقدمين فقد كانوا اختلفوا في أمر البخت والاتفاق ففرقة أنكرت ان يكون للبخت والاتفاق مدخل في العلل بل أنكرت ان يكون لها معنى في الوجود البتة وقالت انه من المحال ان نجد للاشياء أسبابا موجبة ونشاهدها فنعدل عنها ونعز لها عن ان يكون عللا ونزيد لها عللا مجهولة من البخت والاتفاق فانه قد اشتهر من الناس ان رجلا ذهب الى دكانه مثلا فوجد في الطريق كنزا فلم نر هناك سبباً غير البخت فيقولون ذلك من البخت وليس كذلك لان الرجل الخارج من دكانه وان لم يكن القصد في خروجه الى دكانه اخذ الكنز الا انه ذي بصر قوي فرأى ذلك الكنز واوجب بانه يجوز ان يكون لفعل واحد غايات شتى بل أكثر الافعال كذلك لكن يعرض ان يجعل المستعمل لذلك الفعل احدى تلك الغايات فتتعطل الاخرى بوضعه لا في نفس الامر وهو في نفس الامر غاية يصلح ان ينصبها غاية ويرفض الاخرى ثم ان أهل الملل يعبرون بالنصيب والحكماء بالبخت كذا حققوا هذا المكان وتوضيح هذا الكلام انه كل شئ حصل في الكون فهو ليس اتفاقيا بل لابد له من سبب والاسباب تختلف فان الخارج من دكانه الواقع على كنز لايخلو من سبب ثم أقول ان السبب أما الابصار أو انه زلق فوقع بالكنز أو زلق فكسرت رجله

في هذا البيان اشارة للفرق بين هذين العلمين وان النبي وان علم ونيقن الا ان يقينه ليس من باب الاخبار فقط بل هو حاصل من جهة النظر والابصار وان الامور الحاصلة بالكشف اجل وارجح من العلوم الحاصلة بطريق الاخبار وان كان متواتراً وكلام حضرة الشيخ في الفتوحات ان غير علم الكشف ليس بعلم مراده بذلك انه علم بنفسه الا انه ليس بعلم يقف عنده الحد بحيث يكون غيره في حكم العدم فان العلوم الفكرية لازالت مردودة مالم تنتهي الى العلم المحسوس وعلم الكشف هو العلم المحسوس الا ان الامر النظري لنا فهو محسوس لهم ولا تكون في شك بعد مطالعة كتب النظر في أكثر مستندهم في النظريات والنتائج التي يحصلونها الى امر بديهي

الى غير ذلك ثم أيها الاخ اللبيب تفطن لما أقول حق التفطن فان الخارج من بيته الى أمر من الامور وظفر بكنز مثلا باي سبب كان فلابد وان تقول لم يكن هذا السبب حاصلا لغيره فحصوله له دون غيره ترجيح بدون مرجح فلا بد من مرجح وما ذلك المرجح الا انه خلق وقدر له في الازل انه يجد هذا الكنز وكلما فرض له من الاسباب لابد من ان يعود الى ماقلنا والا لزم التسلسل وهو باطل ومن هذا تبين ان الامور راجعة الى وجود صانع هو الاله وأيضاً يستدل على اثبات الاله بقول الحكماء في الاجرام السماوية قالوا ان الاجرام الكروية كانت في ابتدائها سائلة كما قلنا ومتى كانت كذلك كانت متحركة واحتج من قدح في كروية الارض بامرين أحدهما ان الارض لو كانت كرة لكان مركزها منطبقا على مركز العالم ولو كان كذلك لكان الماء محيطا بها من كل الجوانب لان طبيعة الماء تقتضي طلب المركز فيلزم كون الماء محيطا بكل الارض والثاني مانشاهد في الارض من التلال والجبال العظيمة والاغوار المقعرة جدا أجابوا عن الاول بان العناية الالهية قسمت الكرة الارضية الى أرض يابسة والى مياه انقساما مختلفا فالارض اليابسة نحو الثلث وجعل بها أحواض لحفظ الماء والباقي مياه ونصف الكرة الشمالي يشتمل وحده على أربعة أخماس الارض والنصف الجنوبي ليس فيه من الارض الا خمس واحد ثم ان سطح الارض

ولا بديهي اقوى عندهم من العلم الذي حاصل من الحس بل لازالوا في هرج ومرج حتى يرجعون الى امر الحسوس اذهناك ينقطع التنازع ويتم المدعى فاذا تبين لك مراد الشيخ ان غير علم اهل الكشف ليس بعلم ثم اعلم ان القرآن المجيد يبين لنا طرق العلم حيث قال الله تعالى هو الله الذي اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والبصر فالله تعالى يبين ان طرق العلم هو السمع والبصر مع ان العلوم تحصل بغير ذلك لان العلم الحاصل بواسطة هذين الامرين علم غير قابل للغلط بل هو امر يحصل على وجه الكمال بحيث لايقبل الزيادة والنقصان بعد ان تكونا سالمين ولا نظن ان هذا الكلام من الشيخ مخترع بل هو كلام عليه اهل العقول وما قررناه لك

منه ماهو مستوي سهل ومنه ماهو نقع أو منخفض وعن الثاني ان هذه التضاريس لاتخرج الارض عن كونها كرة قالوا لو اتخذنا كرة من خشب قطرها ذراع مثلا ثم أثبتنا فيها شيئاً بمنزلة جاورسات أو شعيرات وقدرنا فيها كامثالها فانها لاتخرجها عن الكرويه ونسبة الجبال الى الارض دون نسبة تلك الحبات الى الكرة الصغيرة فان المحقق اننا اذا دنونا من سن جبل نرى أولا شاهقه ثم وسطه ثم قاعدته واذا بعدت عنا سفينة نراها كانها غارت أجزاؤها السفلى فى البحر فاذا خفيت عن الاعين رأينا رأس قلعها فلو كانت صورة مسطحة لكان أسفل السفينة الذي هو اكثف من القلع لايغيب عنا من بعد فحينئذ خفاؤه عنا انما هو بسبب تحديث كروي وكل هذه الامور متحدة الوقوع سواء سلكنا جهة الشرق أو الغرب أو جهة الجنوب أو الشمال فينتج من ذلك ان الارض متنحية من سائر النواحي فهي كرويه الاول ان اجرام الافلاك لاشك انها مركبة من الاجزاء التي لاتتجزي ومتى كان الامر كذلك كانت لامحالة محتاجة الى الخالق والمقدر أما بيان المقام الاول فهو ان اجرام الافلاك لاشك انها قابلة للقسمة الوهمية وقد دللنا فى الكتب العقلية على ان كل ما كان قابلا للقسمة الوهمية فانه يكون فى نفسه مركبا من الاجزاء والابعاض فثبت بما ذكرنا ان أجرام الافلاك مركب من الاجزاء التي لاتتجزئ واذا ثبت

شاهد بما نقول وبعد مابينا لك مراد الشيخ بما ذكر فلا بد ان نبين لك مايمكن استخراجه من هذه المسئلة والادلة المذكورة فان هذه الادلة صريحة بان الايمان يزيد ولا تدل على انها تنقص ولم ارى دليل بين ان الايمان فيه نقصان ولكن ليس في الادلة نص على الزيادة بل يجوز ان يراد بها الدلالة على ان الايمان فيه قوة والقوة انما هى باعتبار الثمرة فاذا قول الحنفية ان الايمان لايزيد ولا ينقص ولكن تحصل له القوة باعتبار الثمرة وذلك كلام لاينافي قول الشافعية بان الايمان يزيد وينقص لان الخلاف لفظى اذا امعنت النظر وكنت من اهل التحقيق وان معنى القوة والزيادة والنقصان باعتبار العقل والروح لان الروح كلما كان لها زيادة اتصال بعالم التقديس حصل

هنا وجب افتقارها الى خالق ومدبر وذلك لانها لما تركبت فقد وقع بعض تلك الاجزاء في داخل ذلك الجرم وبعضها حصل على سطحها وتلك الاجزاء متساوية في الطبع والماهية وأجزاء أخر أمختلفة الطبع والماهية وقعت داخل الجرم وعلى سطحه واذا ثبت هذا فنقول حصول بعضها في الداخل وبعضها في الخارج أمر ممكن الحصول جائز الثبوت يجوز ان ينقلب الظاهر باطناً والباطن ظاهراً واذا كان الامر كذلك وجب افتقار هذه الاجزاء حال تركيبها الى مدبر وقاهر يخصص بعضها بالداخل وبعضها بالخارج فدل هذا على ان الافلاك مفتقرة في تركيبها واشكالها وصفاتها الى مدبر قديم الوجه الثاني في الاستدلال بصفات الافلاك على وجود الآله القادر ان تقول حركات هذه الافلاك لها بداية ومتى كان الامر كذلك افتقرت هذه الافلاك في حركاتها الى محرك ومدبر اما المقام الاول فالدليل على صحته ان الحركة عبارة عن التغيير من حال الى حال وهذه الماهية تقتضي المسبوقية بالحالة المنتقل عنها والازل ينافي المسبوقية بالغير فكان الجمع بين الحركة وبين الازل محال فثبت ان حركة الافلاك حادثة أولا واذا ثبت هذا وجب ان يقال هذه الاجرام الفلكية كانت معدومة في الازل وان كانت موجودة لكنها كانت واقفة وساكنة وما كانت متحركة وعلى التقديرين

زيادة معرفة وكمال بالله

اعلم ايها الاخ ان الروح خلقت قبل البدن بدليل قوله تعالى لقد خلقكم ثم صوركم معناه انه خلق ارواحكم وبعد الخلق صور ابدانكم بقوالبها لان ثم وضعت للتراخي وقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فجعلنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر يدل على ان الروح بعد البدن لانه ذكر المفسرون على ان المراد من قوله تعالى ثم انشئناه خلقاً آخر الروح وثم وضعت للتراخي فتبين لك حينئذ انه لايجوز لك الحكم بان الروح قبل البدن او بعده قال الامام الرازي معنى ثم انشأناه خلقاً انه بدلنا خلقه من جعله ذي بصر وعقل وسمع وغير ذلك فاذا

فلحركاتها أول وبداية وأما المقام الثاني وهو انه لما كان الامر كذلك واجب افتقارها الى مدبر قاهر فالدليل عليه ان أبتدأ هذه الاجرام بالحركة فى ذلك الوقت المعين دون ماقبله ودون مابعده لابد وان يكون للتخصيص مخصص وترجيح مرجح وذلك المرجح يمتنع ان يكون موجباً بالذات والا لحصلت تلك الحركة قبل ذلك الوقت لاجل ان موجب تلك الحركة كان حاصلا قبل ذلك الوقت ولما بطل هذا ثبت ان ذلك المرجح قادر مختار وهو المطلوب المسئلة الثانية ان الارض تظهر جزأ فجزأ الى الشمس وظهور الضوء لتلك الاجزاء بواسطة انكساره فى الهواء لو قلنا انه حصل بقدرة الله تعالى ابتداء من حيث انه تعالى اجرى اعادته بخلق الضوء فى الهواء عند طلوع الشمس فلا كلام وان قلنا الشمس توجب حصول الضوء فى الجرم المقابل له كان اختصاص الشمس بهذه الخاصية دون سائر الاجسام مع كون الاجسام باسرها متماثلة يدل على وجود الصانع سبحانه وتعالى فان قيل لم لا يجوز ان يقال المحرك لاجرام السموات والارض ملك عظيم الجثة والقوة وله خلفاء وحينئذ لا يكون اختلاف الليل والنهار دليلا على الصانع قلنا أما على قولنا فلما دل الدليل على ان قدرة العبد غير صالحة للايجاد فقد زال السئوال واما على قول المعتزلة فنفى أبو هاشم هذا الاحتمال بالسمع مع ان حصول المطلوب ظاهر فصل

حصل التوفيق بين الايتين والدليل على ان مراده ما ذكرنا من التأويل قوله ان توحيد الله تعالى انما حصل بالعقل فهذا دليل قوي على ان مراده ما قلناه من التأويل وأيضاً نستدل على ان الارواح قبل الابدان بقول حضرة الشيخ الاكبر حيث قال ان سيدنا عيسى عليه السلام كان يستمد من روح حضرت الرسالة وان الخضر عليه السلام أيضاً كان يستمد من حضرة الرسالة ولذلك صار ولى نبى لان الولاية لاتضاف الى النبي أي لايقال لاحد ولى نبي الا بعد ان تمثل له الحقايق ويكون آخذ منها فان حضرة سيدنا الخضر تمثل له شريعة محمد عليه السلام فاخذ منها وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم علماء أمتى كانبياء بنى اسرائيل لكن التمثيل ينقسم الى قسمين

الاول على انه ينكشف له الحقائق والاخرى بالاستدلال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نبياً وآدم بين الماء والطين فهذا الحديث أيضاً دليل قوي على ان روحه الشريفة قبل بدنه الشريف مخلوقة قال أهل الكشف بان روحه الشريفة قبل بدنه ثم انها اخبرته صلوات الله عليه بالنبوة واعطى حكمها ومن هذا الحديث الشريف يستنبط ما يوافق قول الصوفية وقول العلماء أهل العقول فنقول وبالله التوفيق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان نبياً قبل آدم لزم ان لا يوجد نبياً بعده لانه وقع الاتفاق على انه لا نبي بعد رسولنا كيف يجوز ان يقال ان رسول الله جعل نبياً قبل كل الانبياء فالجواب انه لما كانت روحه الشريفة تمثل انه عليه السلام قبل وجود آدم كانت نبوته أيضاً الا ان النبوة

في نقض حجج من أخطأ في باب الاتفاق والبخت ونقض مذاهبهم واذ قد بينا ماهيت الاتفاق ووجوده فجري بنا ان نشير الى نقض حجج المذاهب الفاسدة في باب الاتفاق فنقول أما المذهب المبطل للاتفاق أصلا المحتج بان كل شئ يوجد له سبب معلوم ولا نضطر الى اختلاف سبب لم يكن للاتفاق وجود بل كان السبب الموجود للشئ الذي لا يوجبه على الدوام أو الاكثر هو السبب الاتفاقي نفسه من حيث هو كذلك واما قوله انه قد يكون لشئ واحد غايات كثيرة معا فان المغالطة فيه لاشتراك الاسم في الغاية فان الغاية يقال لما ينتهي اليه الشئ كيف كان ويقال لما يقصد بالفعل والمقصد بالحركة الطبيعية محدود والمقصود بالارادة أيضاً محدود ونحن نعني بالغاية ههنا الذاتية هذا وقوله انه ليس يجب ان يصير الغاية غير غاية بالجعل حتى اذا جعل الظفر بالغريم غاية صار الامر غير بختي وان جعل الحصول الى الدكان غاية صار الامر بختياً فان الجواب عنه ان قوله ان الجعل لا يغير الحال في هذا الباب هو غير مسلم الا يرى ان الجعل يجعل الامر في احدهما أكثيراً وفي الاخر أقليا فان الشاعر بمقام الغريم الخارج اليه ليظفر به من حيث هو كذلك فانه في أكثر الامر يظفر به وغير الشاعر الخارج الى الدكان من حيث هو كذلك فانه ليس في أكثر الامر يظفر بغريمه فان كان الجعل المختلف يختلف له حكم

الامر فى أكثريته وغير أكثريته فكذلك يختلف له حكم الامر فى انه اتفاقي أو غير اتفاقي وأما ذيمقراطيس الذي يجعل تكون العالم بالاتفاق ويرى ان الكائنات يكون بالطبيعة فمما يكشف فساد رأيه هو ان نبين له ماهية الاتفاق وانه غاية عرضية لامر طبيعي أو ارادي أوقسري والقسري ينتهي الى طبيعة وارادة فانه سيظهر انه لايستمر قسر على قسر الى غير النهاية فيكون الطبيعة والارادة فى ذاتهما أقدم من الاتفاق فيكون السبب الاول للعالم طبيعة أو ارادة على ان الاجرام التى يقول بها ويريها صلبة ويراها متفقة الجواهر مختلفة بالاشكال ويراها متحركة بذاتها فى الخلاء اذا اجتمعت وتماست ولا قوة عنده ولا صورة الا الشكل فقط فان اجتماعها ومقتضى أشكالها لايلصق بعضها ببعض بل يجوز لها الانفصال واستمرار حركتها التى لها بذاتها فيجب لذاتها ان يتحرك فينفصل ولا يبقى لها اتصال فلو كان كذلك لما وجدت السماء مستمرة الوجود على هيئة واحدة في ارصاد متتابعة بين طرفي زمان طويل ولوكان يقول ان فى هذه الاجرام قوى مختلفة في جواهر يتفق لهاان يتصادم ويضغط مابينها ويقف الضعيف منها بين الضاغطين ويتكافى ميل الطاغطين بحسب القوتين فيبقي كذلك لكان ربما أوهم انه يقول شيئاً الى ان يتبين ان هذا لايكون ولا يتفق وسنشير

كانت مشغولة بعالم التقديس والخدمة الآلهية فهذه الحالة ليست حالة التبليغ بل حالة مطالعة وأخذ الفيوض من جانب الحق فلا بأس بأن يوجد في ذلك الوقت رسول غير رسولنا صلى الله عليه وسلم فبعد مانهم معناه وكمال الآلاهى تمت صورته لانه من المعلوم لدى كل ذى قلب سليم ان للرسول ان يشتغل بالتبليغ للاحكام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وله حالة اخرى كما تدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لى وقت مع الله لايسعنى فيه ملك مقرب ولانبى مرسل فهذا الحديث يستدل به أيضاً ان للرسول صلى الله عليه وسلم حالة غير حالة التبليغ وكذلك قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين

الله افواجاً فسبح

اعلم ان هذه الآية تدل على ان النبي بعد اكمال الدين وتبليغ الاحكام لابد وان يشتغل بحمد الله اشتغالا تاماً وان كان التبليغ للامة المحمدية ايضاً هو اشتغال بمحامد الله الا ان المأمور به بعد دخول الناس بالدين التجريد المحض عن كل عالم والتوجه الى الله كتوجه الروح حين كانت وايضاً يقال في توجيه الحديث انه بعد ما ثبت ان الارواح مخلوقة قبل الابدان واستعدادها متفاوتة بحسب الخلقة فروح رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت رسولا لارواح الانبياء تأخذ من نوره وتقتدى بفعله فهم وان كانوا أنبياء ورسلا الا انهم اولياء هذه الامة المحمدية ولذلك عيسى عليه السلام يظهر في آخر الزمان ويتشرع بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم افواجاً فسبح

اليه بعد والعجب انه يجعل الامر الدايم الذي لايقع فيه خروج عن نظام واحد ولا أمر حادث كائن بخت أواتفاق فيه اتفاقياً ويجعل الامور الجزئيه لغاية وفيها مالا يرى الاتفاق واما ابتدقلس ومن جرى مجراه فانهم جعلوا الجزئيات تكون بالاتفاق بل خلطوا الاتفاق بالضرورة فجعلوا حصول للمادة بالاتفاق وتصورها بصورتها بالضرورة لا لغاية مثلا قالوا ان الثنايا لم يتحد للقطع بل اتفق ان حصلت هناك مادة لايقبل الا هذه الصورة فاستحدت بالضرورة وكذلك الاضراس عريضة لا للطحن وقد أخلدوا فى هذا الباب الى حجج واهية وقالوا كيف يكون الطبيعة البتة فان هذه الاحوال ليست تقصد ولكن يتفق ان يكون المادة بحالة يتبعها هذه الاحوال فكذلك الحكم في سائر الامور الطبيعية التى اتفقت ان كانت على وجه يتضمن المصلحة فلم ينسب الى الاتفاق والى ضرورة المادة بل ظن انها انما يصدر عن فاعل يفعل لاجل شئ ولو كان كذلك لما كان أبدا دائماً لايختلف وهذا كالمطر الذي يعلم انه يقيناً كائن لضرورة المادة لان الشمس اذا بخرت فخلص البخار الى الجو البارد وبرد فصار ماء ثقيلا فينزل ضرورة فاتفق ان يقع فى مصالح فظن ان الامطار مقصودة فى الطبيعة لتلك المصالح قالوا ولم يلتفت الى افسادها للبيادر وقالوا وقد عرض هذ الباب أمر اخر وهو النظام الموجود

فى تكون الامور الطبيعية وسلوكها الى مايوجبه الضرورة التى فى المواد وليس ذلك مما يجب ان يغربه فانه وان سلم ان المنشور والتكون نظاماً فان المرجوع والسلوك الى الفساد نظاماً ليس دون ذلك وهو نظام الذبول من أوله الى آخره بعكس من نظام النشوء فكان يجب أيضاً ان يظن ان الذبول لاجل شئ هو الموت وليس كذلك ثم ان كانت الطبيعة تفعل لاجل شئ فالسؤال ثابت فى ذلك الشئ نفسه فانه لم فعل فى الطبيعة على ماهو عليه ويستمر المطالبة الى غير النهاية قالوا وكيف يكون الطبيعة فاعلة لاجل شئ والطبيعة الواحدة يختلف أحوالها لاختلاف المواد كالحرارة تحل شيئاً كالمشع وتعقد شيئاً كالبيض والملح ومن العجائب ان يكون الحرارة تفعل الاحراق لاجل شئ بل انما يلزمها ذلك بالضرورة لان المادة بحال يجب لها فيها عند مماسة الحار الاحتراق وكذلك حكم ساير القوى الطبيعة والذى يجب علينا ان نقوله فى هذا الباب ونعتقده هو انه لا كثير مناقشة الآن فى ان للاتفاق مدخلا فى تكون الامور الطبيعية وذلك بالقياس الى أفرادها فانه ليس حصول هذه المدرة عند هذا الجزء من الارض ولا حصول هذه الحبة من البرة فى هذه البقعة من الارض ولا حصول هذه النطفة فى هذا الرحم امراً دائماً ولا أكثريا بل لتسامح انه وماجرى مجراه اتفاقي ولنعمق النظر فى مثل

عليه وسلم فانه تنقاد له وتتبع لاحكامه فهو نبي للانصارى وولي في هذه الامة المحمدية الا انه هو أفضل جميع أولياء هذه الامة المرحومة لذلك ورد في الخبر انه يتمنى اثنى عشر نبياً ان يحشر في زمرة الامة المحمدية ومنح لي على هذين الجوابين مايحق ان يقال انه لو كانت الارواح في عالم الازل متبعة لروح محمد صلى الله عليه وسلم لما تقدمت عليه في الرسالة ولما أتت بما يوجب النسخ وما يخالف الشرع المحمدية قال الشيخ فى الفتوحات المكية ان الرسل سفراء خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم فمن كلامه قدس سره يبان انه لاينافي تقديم المتبوع على التابع في التبليغ وان تبليغهم للاحكام بما ينافي شريعة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم

تكون السنبلة عن البرة باستمداد المادة من الارض والجنين عن النطفة باستمداد المادة من الرحم بعد ذلك الاتفاق فنجده ليس باتفاقي بل أمرا توجبه الطبيعة وتستدعيه قوة وكذلك ليساعد وأيضاً على قولهم ان المادة التى للثنايا لا يقبل الا هذه الصورة لكنا نعلم انها لم يحصل لهذه المادة هذه الصورة لانها لا تقبل الا هذه الصورة بل حصلت هذه المادة لهذه الصورة لانها لا تقبل الا هذه الصورة فانه ليس البيت انما فيه الحجر وطفا الخشب لان الحجر أثقل والخشب أخف بل هناك صنعة صانع لم يصلح الا ان يكون نسب موادا ما يفعله هذه النسبة فجاء بها على هذه النسبة والتأمل الصادق يظهر صدق ما قلنا وان البقعة الواحدة اذا سقط فيها حبة برا نبتت سنبلة برة أو حبة شعير أنبتت سنبلة شعير ويستحيل ان يقال ان الاجزاء الارضية والمائية يتحرك بذاتها وينفذ فى جواهر البرة وتربيه فانه سيظهر ان تحركها عن مواضعها ليس لذاتها والحركات التى لذاتها معلومة فيجب ان يكون تحركها انما هو لجذب أجزاء يصلح لتكون البرة وأخري يصلح لتكون الشعير أو يكون الصالح لتكون البرة صالحاً لتكون الشعير فان كان الصالح لهما أجزاء واحدة فقد سقطت الضرورة المنسوبة الى المادة ورجع الامر الى ان الصورة طارية على المادة من مصدر يخصها بتلك الصورة ويحركها الى تلك

ذلك بما هو المقتضى للعقول وقوة الاستعداد اذ لكل زمان استعداد والدليل على ذلك انه من المعلوم لديكم انه يأخذ كل أحد من حضرة الملك العلام الاحكام الشرعية والتبليغات الالهية مع انه وقع لهم في ذلك خلاف في التبليغات اذ لو لم يكن ذلك مبنياً على حكمه لما وقع الاختلاف ولم تصل عقولنا الا بان نقول ان الحكمة هو قوة استعدادهم ومقتضى الزمان لانه من المعلوم ان للزمان والوقت دخل فى الترقيات الالهية وقبول استعداد الانسان فالله تعالى أرسل هؤلاء الرسل سفراء في تبليغ الاحكام فتبين ان تقدم الرسل لا ينافي ما قلناه الثانى ان روح نبينا صلى الله عليه وسلم لو كانت في عالم الازل مرسلة فلا فائدة فيها حينئذ ولكانت مألوفة باخذ الفيوضات

الصورة وانه دائما أوفى أكثر الامر يفعل ذلك وقد بان ان ما كان كذلك فهو فعل يصدر عن ذات الامر متوجها اليه أما دائم فلا يعاق أو أكثري فيعاق وهذا هو مرادنا بالغاية في الامور الطبيعية وان كانت الاجزاء مختلفة فلمناسبة مابين القوة التى فى البرة وبين تلك المادة مايجذب تلك المادة بعينها وتحركها الى خير مخصوص فى الدوام أو الاكثر فهناك تكسبها صورة مافيكون أيضاً القوة التى فى البرة تحرك بذاتها هذه المادة الى تلك الصورة من الجوهر والكيف والشكل والاين ولا يكون ذلك الضرورة المادة وان كان لابد من ان يكون تلك المادة على تلك الصفة ليتقل الى تلك الصورة فلنضع ان طباع المادة صالحة لهذه الصورة أو غير قابلة لغيرها مثلا فلا بد من ان يكون انتقالها الى حيث تكتسب هذه الصورة بعد مالم يكن لها ليس لضرورة فيها بل عن سبب آخر يحركها اليها فيحصل لها ماهى صالحة لقبوله أو لا يصلح لقبول غيره فيستبين من هذا كله ان تحريكات الطبيعية الموادهي على سبيل قصد طبيعى منها الى حد محدود وان ذلك مستمر على الدوام أو على الاكثر وذلك ماتعينه بلفظ الغاية ثم من الظاهر ان الغايات الصادرة عن الطبيعة فى حال مايكون الطبيعة غير معارضة ولا معوقة كلها خيرات وكمالات وانها اذا تأدت الى غاية ضارة كان ذلك التأدي ليس عنها

الرحمانية فلم يحصل لها حينئذ اضطراب عند نزول الوحى والدهشة أقول ان الارواح لما كانت في البدن وفي الفضاء وعالم الله كانت مجردة غير متوحشة فلما دخلت في البدن ضاق عليها الفضاء بعد ما كان في اتساع فتوحشت كل التوحش فامر اللطيف بان تكون متأنسة بعد وجودها في الاجسام فتألفت بذلك واشتد تأنسها فالارواح التى أخذت نصيباً من الشهوة واللذائذ الحسية اذا جاءها من عالم التجريد فيض وفتح اضطربت وانزعجت والذي لم تجد من عالم اللذة والحس لذة بل في عالم التقديس مشغولة اذا جاءها من ذلك العالم فتح تذكرت فاضطربت على فراق حبيبها ورسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يضطرب الا هذا الاضطراب حيث يتذكر لذة الاشتغال بالذات المحمدية اذ هى أشد

دائما ولا أكثريا بل في حال تنفقد النفس منافيها سبباً عارضاً فيقال ماذا أصاب هذا الفصيل حتى ذوا وماذا أصاب هذه المرأة حتي أسقطت واذا كان كذلك فالطبيعة يتحرك لاجل الخيريه وليس هذا في نشوالحيوان والنبات فقط بل وفي حركات الاجرام لها البسيطة وافق لها التي يصدر عنها بالطبع فانها تنحو نحو غايات يتوجه اليها دائما مالم يعق توجهاً الى نظام محدود ولا يخرج عنه الا بسبب معارض وكذلك الالهامات التي للانفس الحيوانية البانية والناسجة والمزخرة فانها تشبه الامور الطبيعية وهي لغايات وان كانت الامور تجري اتفاقا فلم لاينبت البرة شعيرة ولم لايتولد شجرة مركبة من تين وزيتون كما يتولد عندهم بالاتفاق غزال ولم لاتتكرر هذه النوادر بل يبقي الانواع محفوظة على الاكثر ومما يدل على ان الامور الطبيعية لغاية انا اذا أحسسنا بمعارض أو قصور من الطبيعة بالصناعة كما يفعله الطبيب معتقد انه اذا زال العارض المعارض أو اشتدت القوة توجهت الطبيعة الى الصحة والخير وليس اذا عدمت الطبيعة الرويه وجب من ذلك ان يحكم بان الفعل الصادر عنها غير متوجه الى غايه فان الرويه ليست لتجعل الفعل ذا غايه بل لتعين الفعل الذي يختار من بين سائر أفعال جائز اختيارها لكل واحد منها غايه يخصه فالرويه لاجل تخصيص الفعل لاجعله ذا غايه ولو كانت النفس مسلمة عن النوازع المختلفة

لذة من الاشتغال بالاوامر

المقصد الخامس في الرؤيا

أعلم ان الرؤيا فهى من العلوم الشرعية والتعبير لها فقد كان موجوداً في السلف كما هو في الخلف والوقوف في الرءيا على الحوادث الكونية فهو موجود فى نوع البشر على الاطلاق وان سيدنا يوسف عليه السلام قد وهب له من الحكمة الوقوف على معرفة تعبير الرؤيا كما يشهد القرآن المجيد وانه أيضا شاهد عدل على ان الرؤيا والوقوف على الحوادث الكونية ثابتة لنوع البشر لقوله تعالى ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني أراني أعصر خمرا وقال الآخر انى أراني أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين قال لا يأتيكما طعام ترزقانه اه فيستدل بهذه الآية ان الروح عند النوم تقف على الحوادث الكونية باذن

والمعارضات المتضنة لكان يصدر عنها فعل متشابه على نهج واحد من غير رويه وان شئت ان تستظهر في هذا الباب فتأمل حال الصناعة فان الصناعة لاشك في انها الغايه والصناعة اذا صارت ملكه لم يحتج في استعمالها الى الغايه وصارت بحيث اذا حضرت الرويه تعذرت وتبلد الماهر فيها على النفاد فيما يزاد له كمن يكتب أو يضرب بالعود فانه اذا أخذ يروي في اختيار حرف حرف أو نغمة نغمة وأراد ان يقف على عدده تبلد وتعطل وانما يستمر على نهج واحد فيما يفعله بلا رويه في كل واحد واحد مما يستمر فيه وان كان ابتداء ذلك الفعل وقصده انما وقع بالرويه وأما المبني على ذلك الاول والابتداء فلا يروي فيه وكذلك حال اعتصام الذات بما يعصمه ومبادرة اليد الى حك العضو المستحك من غير فكرة ولا رويه ولا استحضار لصورة مايفعله في الخيال وأوضح من هذه القوة النفسانية اذا حركت عضواً ظاهراً تختار تحريكه فليس تحريكه بالذات وبلا واسطة بل انما تحرك بالحقيقة الفصل والوتر فيتبعه تحريك ذلك العضو والنفس لاتشعر بتحريكها العضلة مع ان ذلك الفعل اختياري وأول واما حديث التشويهات وما جرى مجريها فان بعضها هو نقص وقبح وقصور عن المجرى الطبيعي وبعضها زيادة وما كان نقصاً وقبحاً فهو عدم فعل العصبان المادة ونحن لم نضمن ان الطبيعة يمكنها ان تحرك كل مادة

الله وليس مخصوصا بالمؤمنين وذلك ان الروح وهو الحار اللطيف المبعث من تجويف القلب اللحمي ينتشر في الشريانات ومع الدم في سائر البدن وبه تكمل افعال القوى الحيوانية واحساسها فاذا أدركه بكثرة التصرف في الاحساس بالحواس الخمس وتصريف القوى القاهرة وغشى سطح البدن ما يغشاه من برد الليل انخنس الروح من سائر أقطار البدن الى مركزه القلبي فينجم بذلك المعاودة فعله فتعطلت الحواس الظاهرة كلها وذلك معنى النوم وهذه الروح هي مطية للروح العاقلة من الانسان والروح العاقلة مدركة لجميع ما في عالم الامر بذاته أو حقيقته وذاته عين الادراك وانما يمنع من تعقله للمدارك البقية ما هو فيه من حجاب وتجرد عنه الاشتغال بالبدن وقوة حواسه فلو

قد خلا من هذا الحجاب وتجرد عنه لرجع الى حقيقته وهو عين الادراك فيعقل كل مدرك فاذا تجرد عن بعضها خفت شواغله فلا بد له من الادراك لمحة من عالمه بقدر ما يجرد له وهو في هذه الحالة قد خفت شواغله الحس الظاهر كلها وهي الشاغل الاعظم فاستعد لقبوله ما هناك من المدارك اللائقة من عالمه واذا أدرك ما يدرك من عوالمه رجع الى بدنه اذ هو ما دام في بدنه جسماني لا يمكنه التصرف الا بالمدارك الجسماني والمدارك الجسمانية للعالم انما هي الدماغية والمتصرف منها وهو الخيال فانه ينتزع من الصور المحسوسة صوراً خيالية ثم يدفعها الى الحافظة تحفظها له الى وقت الحاجة اليها عند النظر والاستدلال وكذلك تجرد النفس منها صوراً اخرى نفسانية

الى الغاية ولا ضمنا ان لاعدام أفعالها غايات بل انما ضمنا ان أفعالها في المواد الطبيعية التي لها هي الغايات وهذا لا يزاحم ذلك والموت والذبول هو لقصور الطبيعة البدنية عن الزام المادة صورتها وحفظها اياها عليها بادخال بدل ما يتحلل ونظام الذبول ليس أيضاً غير متساو الى غاية البتة فان لنظام الذبول سبباً غير الطبيعة الموكلة بالبدن وذلك السبب هو الحرارة وسبب هو الطبيعة ولكن بالعرض ولكل واحد منهما غاية فالحرارة غايتها تحليل الرطوبة واحالتها فتسوق المادة اليه على النظام وذلك غاية والطبيعة التي في البدن غايتها حفظ البدن ما أمكن بامداد بعد امداد لكن كل مدد يأتي فان الاستمداد منه أخيراً يقع أقل من الاستمداد منه بدياً لعلل نذكرها في العلوم الجزئية فيكون ذلك الامداد بالعرض سبباً لنظام الذبول فان الذبول من حيث هو ذو نظام ومتوجه الى غاية فهو فعل الطبيعة وان لم يكن فعل طبيعة البدن ونحن لم نضمن ان كل حال للامور الطبيعية يجب ان يكون غاية للطبيعة التي فيها بل قلنا ان كل طبيعة تفعل فعلها فانما تفعله لغاية لها واما فعل غيرها فقد لا يكون لغاية لها والموت والتحليل والذبول وكل ذلك وان لم يكن غاية نافعة بالقياس الى بدن زيد فهي غاية واجبة في نظام الكل وقد أومينا الى ذلك فيما سلف وعلمك بحال النفس سينبهك على غاية في الموت واجبة وغايات على

غاية فى الموت واجبة وغايات فى تناسب الضعف واجبة وأما الزيادات فهي أيضاً كائنة لغاية فان المادة اذا فضلت حركت الطبيعة فضلها الى الصورة التى يستحقها بالاستعداد الذى فيها ولا تعطلها فيكون فعل الطبيعة فيها لغاية وان كان المستدعى الى تلك الغاية اتفاق سبب غير طبيعي وأما أمر المطر وما قيل فيه فليس ينبغي ان نسلم ماقيل فيه بل نقول ان قرب الشمس وبعدها وحدوث السخونة لقربها والبرودة لبعدها على مانعلمه بعد سبب ذى نظام لامور كثيرة من الغايات الجزئية فى الطبيعة ووقوع الشمس مقربة فى حركاتها المائلة سبب يصدر عن ذاته التبخير المقيد الى حيث يبرد فيهبط للضرورة وليس يكفى فى ذلك ضرورة المادة بل هذا الفعل الآلهي المستعمل للمادة الى ان ينتهي الى ضرورتها فيلزمها الغاية فان كل غاية أو جل الغايات يلزم ضرورة فى مادة ولكن العلة المحركة تزداد المادة وتجعلها بحيث يتصل بالضرورة بالصورة التى فيها ان كانت لما هو الغاية المقصودة تأمل ذلك فى الصناعات كلها ونقول لهم أيضاً وليس اذا كان للحركة غاية وللفعل غاية وجب ان يكون لكل غاية غاية وان يقف المسئلة عن لم فان الغاية فى الحقيقة يكون مقصودة لما انها وسائر الاشياء يقصد لها وما يقصد لاجل ان يسأل عنه باللم المقتضى للجواب بالغاية وأما مايقصد لذاته فانه لايليق به السؤال عن انه لم

عقلية فيترقى التجريد من المحسوس الى المعقول والخيال واسطة بينهما ولذلك اذا أدركت النفس من عالمها ما تدركه ألفت الى الخيال فيصوره بالصورة المناسبة له ويدفعه الى الحس المشترك فيراه النائم كانه محسوس فينزل المدرك من الروح العقلي للحس والخيال ايضاً واسطة هذه حقيقة الرؤيا ومن هذا التقرير يظهر لك الفرق بين الرؤيا الصالحة واضغاث الاحلام الكاذبة فانها كلها صور في الخيال حالة النوم لكن ان كانت تلك الصور منزلة من الروح العقلي المدرك فهو رؤيا وان كانت مأخوذة من الصور التى في الحافظة التى كان الخيال اودعها اياها منذ اليقظة فهى أضغاث أحلام وأما معنى التعبير فان الروح اذا ادركت مدركا ودفعته الى الخيال فيصوره بصورة تناسب ذلك المعنى فان الروح

قصد ولهذا لايقال لم طلبت الصحة ولم طلبت الجزئيه اولم هربت عن المرض ولم نفرت عن الشر ولو كانت الحركة والاحالة تقتضى الغاية لانها موجودة أو لانها غاية لكان يجب ان يكون لكل غاية غاية لكنها تقتضى ذلك من حيث هناك زوال تجدد صادر عن سبب طبيعي أو ارادي وليس يجب ان يتعجب من ان الحرارة تفعل لاحراق شى بل ان الحرارة تفعل لتحرق وتفنى المحرق وتحيله الى مشاكلتها أو مشاكلة الجوهر الذي هى فيه وانما يكون الاتفاق والغاية العرضية فى مثل ان تحرق ثوب فقير وذلك ليس لها غاية ذاتية فانها ليست لاجل انه ثوب فقير ولا فى هذه النار القوة المحرقة لاجل هذا الشان بل لكي تحيل ماتماسه الى جوهرها ولكي تحل ما يكون بحال وتعقد مايكون بحال وقد اتفق الآن ان ماسها هذا الثوب فلفعل النار فى الطبيعة غاية وان لم يكن مصادفتها هذا المستعمل الا بالعرض ووجود المنفعل الغاية بالغرض لا يمنع وجود الغايه بالذات بل الغاية بالذات مقدمة على الغاية بالعرض فبين من هذا كله ان المادة لاجل الصورة وانها يتوخى لتحصل فتحصل فيها الصورة وليست الصورة لاجل المادة وان كان لابد من المادة حتى يوجد فيها الصورة لغاية ومن تأمل منافع أعضاء الحيوان واجزاء النبات لم يبق له الشك فى ان الامور الطبيعية لغاية وستشم من ذلك شيئاً فى آخر

تدرك السلطان العظيم فتصوره بصورة البحر والمعطى لهذه الصور انما هو الخيال لاغير او يدرك العداوة فيصوره بصورة الحية فالخيال مصور والروح مدرك وفي الحديث الصحيح ان الرؤيا ثلاثة رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان فالتى من الله هى التى لا تحتاج الى تعبير والتى من الملك محتاجة الى التعبير والتى تكون من الشيطان فهى اضغاث أحلام وقد ذكر بعض الحكماء ان حقيقة الرؤيا مطالعة النفس الناطقة في ذاتها الروحانية لمحة من صور الواقعات فانها عند ما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل كما هو شأن الذوات الروحانية كلها وتصير روحانية بان تتجرد عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية وقد يقع لمحة بسبب النوم كما نذكر فنقتبس

كلامنا ومع هذا فلا ينكر ان الامور الطبيعية أمور ضرورية بعضها يحتاج اليها للغاية وبعضها يلزم الغاية لان النطفة جسم متشابه الاجزاء بحسب الحس والمشاهدة الا ان من الاطباء من يقول انه مختلف الاجزاء فى الحقيقة وذلك لانه انما يتولد من فضله الهضم الرابع ان المعداء يحصل له فى المعدة هضم اول وفى الكبد هضم ثاني وفى العروق هضم ثالث وعند حصولها الى جواهر الاعضاء هضم رابع ففي هذا الوقت وصل بعض اجزاء الغذاء الى العظم وظهر فيه أشد من الطبيعة العظيمه وكذا القول فى اللحم والعصب والعروق وعندها ثم عند استيلاء الحرارة على البدن عند هيجان الشهوة يحصل ذوبان من جملة الاعضاء وذلك هو النطفة وعلى هذا التقدير يكون النطفة جسما مختلف الاجزاء والطابع اذا عرفت هذا فيقول النطفة فى نفسها اما ان يكون جسما متشابه الاجزاء فى الطبيعه والماهية أو مختلف الاجزاء فيها فان كان الحق هو الاول لم يجز ان يكون المقتضى لتولد الهذن منها هو الطبيعة الحاصلة في جوهر النطفة ودم الطمث لان الطبيعة تأثيرها بالذات والايجاب لا بالتدبير والاختيار والقوة الطبيعية اذا علمت في مادة متشابهة الاجزاء وجب ان يكون فعله هو الكثرة وعلى هذا الحرف عولوا في قولها لبسائط يجب ان يكون اشكالهما الطبيعة هي الكرة فلو كان المقتضى لتولد البدن الحيوانى من النطفة

بها علم ما نتشوقه من الامور المستقلة ونعود به الى مداركها فان كان ذلك الاقتباس ضعيفاً وغير جلي بالمحاكاة والمثال والخيال لتخلطه فيحتاج من اجل هذه المحاكاة التعبير وقد يكون الاقتباس قويا يستغنى فيه عن المحاكاة فلا يحتاج الى التعبير لخلوصه عن المثال والخيال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزؤ من ستة وأربعين جزءاً من النبوة وقد ورد في الحديث ايضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق من المبشرات شئ الا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح وأول ما بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا فكان لا يرى رؤيا الا وجاءت مثل فلق الصباح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انتقل من صلاة يقول لاصحابه هل رأى احد منكم الليلة رؤيا يسألهم

عن ذلك ليستبشروا بما وقع من ذلك مما فيه ظهور الدين واعزازه وعن أبي بكر رضى الله عنه الرؤيا مدرك مدارك الغيب والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تمت

رسالة الانصاف في رفع الاعتساف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فهذه رسالة حررتها للانصاف في رفع الاعتساف راجياً من الله القبول

ذهبت الامامية الى ان الصحابة ارتدت بعد وفات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا سبعة اوستة واستدلوا على ذلك بادلة منها انهم خالفوا النص وهو قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا

هو الطبيعة لوجب ان يكون شكلها الكثرة وحيث لم يكن الامر كذلك علمنا ان المقتضى لحدوث الابدان الحيوانية ليس هو الطبيعة بل فاعل مختار يخلق بالحكمة والتدبير والاختيار اما القسم الثانى وهو ان يقال بان النطفة جسم مركب من اجزاء مختلفة في الطبيعة والماهية فنقول على تقدير ان يكون الامر كذلك فانه يجب ان يكون تولد البدن منها بتدبير فاعل مختار حكيم وبيانه من وجوه الاول ان النطفة رطوبة سريعة الاستحالة واذا كان كذلك كانت الاجزاء الموجودة فيها لايحفظ الوضع والنسبة فالجزء الذي هو مادة الدماغ يمكن حصوله في الاسفل والجزء الذي هو مادة القلب قد يحصل في الفرق واذا كان الامر كذلك وجب ان يكون اعضاء الحيوان على هذا الترتيب المعين أمراً دائما ولا اكثريا وحيث كان الامر كذلك علمنا ان حدوث هذه الاعضاء على هذا الترتيب الخاص ليس الا بتدبير الفاعل المختار الحكيم والوجه الثاني ان النطفة بتقدير انها جسم مركب من اجسام مختلفة الطبايع الا انه يجب ان ينتهي تحليل تركبها الى اجزاء يكون كل واحد منها في نفسه جسما بسيطا ولو كان المدبر لها قوة طبيعية لكان كل واحد من تلك البسائط يجب ان يكون شكله هو الكرة فكان يلزم ان يكون الحيوان على شكل كرات مضموم بعضها الى بعض وحيث لم يكن الامر كذلك علمنا ان

مدبر ابدان الحيوانات ليس هو الطبايع ولا تأييدات الانجم والافلاك لان تلك التاييدات متشابهة فعلمنا ان مدبر ابدان الحيوانات فاعل مختار حكيم فهو المطلوب فهذا هو الاستدلال على وجود الصانع قوله فاذا هو خصيم مبين وفيه مسألتان المسألة الاولى في بيان وجه الاستدلال وتقريره ان النفوس الانسانية في أول الفطرة أقل منهما وزكاء فطنته من نفوس سائر الحيوانات الا ترى ان ولد الدجاجة كما خرج من قشر البيضة مميز بين الصديق والعدو فهرب من الهرة ويلتجيء الى الام ويميز بين الغذاء الذي يوافقه والغذاء الذي لا يوافقه واما ولد الانسان فانه حال انفصاله عن بطن الام لا يميز البتة بين العدو والصديق ولا بين الضار والنافع فظهر ان الانسان بعد كبره تقوى عقله ويعظم فهمه ويصير بحيث تقوى على مساحة المساوات والارض وتقوى على معرفة ذات الله تعالى وصفاته وعلى معرفة اصناف المخلوقات من الارواح والاجسام والفلكيات والعنصريات وتقوى على ايراد الشبهات القوية في دين الله والخصومات الشديدة فى كل المطالب فانتقال نفس الانسان من تلك البلادة المفرطة الى هذه الذكاوة المفرطة لا بد وان يكون لتدبير آله مختار حكيم ينقل الارواح من نقصانها الى كمالاتها والى معارفها بحسب الحكمة والاختيار فهذا هو المراد من قوله سبحانه وتعالى فاذا هو خصيم مبين واذا

الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون وانما اجتمعت الاوصاف في علي وبيان ذلك انها نزلت باتفاق المفسرين في حق علي ان ابى طالب حين أعطى السائل خاتمه وهو راكع في صلاته وكلمة انما للحصر بشهاده النقل والاستعمال والولي كما جاء بمعنى الناصر فقد جاء بمعنى المتصرف في الامور والاولى والاحق بذلك يقال أخو المرأة وليها والسلطان ولي من لا ولي له وفلان ولي الدم وهذا هو المراد ههنا لان الولاية بمعنى النصرة تم جميع المؤمنين لقوله تعالى والمؤمنين بعضهم أولياء بعض فلا يصح حصرها في المؤمنين الموصوفين باقامة الصلاة وايتاء الزكاة حال الركوع والمتصرف في أمر المؤمنين لا بد ان يكون الامام فتعين على ذلك بنص القرآن وقد منعوه ومنع المتعين للخلافة

عرفت هذه الدقيقة أمكنك البينة بوجوه كثيرة المسئلة الثانية فى الدلالة على وجود الله من شرائع الطبيعة انه يوجد للطبيعة شرائع وقوانين كثيرة تدل بدلا يل واضحة على انها لم توجد على سبيل الاتفاق قطعا وليس لما ادنى نسبة الى الامور الصدفية وذلك بما فيها من الانتظام العجيب الذى يقدم للمتامل به دائما براهين قاطعه على وجود آله جليل الشأن وعظيم القدرة ويجعله غير مرتاب البتة بوجوب المقدرة الالاهية فاذا أخذ الطبيعي مثلا بتأمل بما يوجد في السيال الكهربائي من الخواص العجيبة التى لها وظايف عظيمة في خدمة القيام الحيوي للملكة العضوية بحيث لو وقع أدنى نقص فى تلك الخواص لظهر تأثرها في ذلك القيام فلا يمكن ان يشك حينئذ فى وجود حكمة فائقة الوصف قد وضعت ضوابط كهربائية كهذه لحفظ الموجودات من الانتهاك وليبقى كل منها جارياً الى ابد بدون اخلال في نظامه وكذلك حيثما يرى مثلا انه لابد لنزول الامطار على الارض من وجود السيال الكهربائي في الجنو بناء على مافيه من القوة التي بها يسهل تجمع الابخرة فى الهواء وينجذب بعض الغيوم الى بعض اذ تكون متفرقة ويرى أيضاً ان انقسام تلك القوة التي سالبة وموجبة أي جاذبة ودافعة هو حكمة عليها بحيث لولا ذلك الانقسام لما وجد هذا العنصر صالحاً في كل وظيفة للخدمة العامة

بنص القرآن منع وعدم قبول لما عيه القرآن وهو يستلزم عدم قبول النص فيلزم الردة والجواب ان الولي من الالفاظ المشتركة فلا يجوز حملها على معنى مالم تقم قرينة واذا قامت القرينة فحينئذ يجوز حمله على ذلك المعنى وههنا قرائن تدل على ان المراد بالولي المحب والناصر اما القرينة الاولى وهى وجوب الملايمة بين الآيات لان البلاغة داعية بان يكون ما قبل الآية مناسبة لما بعدها وما قبلها والمناسبة ههنا توجب حمل الآية على ان الولي بمعنى الناصر أو المحب لان ما قبلها وهو قوله تعالى يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم أولياء بعض المنهى عن اتخاذها ليست محمولة على التصرف والامامة بل النصرة والمحبة وما بعدها وهو قوله

ثم اذا نظر الى الاجسام الحيوية كالنبات والحيوان يشاهد ان الكهربائية خادم عظيم لحياتها نظراً الى مابها من القوة المنبهة لتلك الاجسام والمساعدة فى تقوية الاعمال الحيوية كما ظهر ذلك لدى العالم بالفيبولوجيا ولما كان ذلك السيال ذا تأثير عظيم فى الجسم الذي يقع عليه بكثرة حتى انه قد يميت الحيوان والنبات ويهدم الابنية المشيدة كما يشاهد ذلك من الصواعق التى تنقض فى أيام الشتاء كان له ميل شديد الى الاجسام المعدنية كالذهب والنحاس لكي ينفذ منها ولذلك تدعى هذه الاجسام عند الطبيعيين بالموصلة وبمقتضى هذا الميل قد منع ضرره كثيراً فهل يمكن ان يحكم ذلك الطبيعي بان جميع تلك الآثار قد وجدت من باب الصدفة والاتفاق مع مابها من نواميس مقصودة كهذه وهكذا اذا شرع يتأمل في وجود الحرارة وما فيها من المنافع فى خدمة العالم فانه يعاين منها جملة أدلة أيضاً على وجود اله يسعى فى تدابيره فهي أولا السبب الوحيد لبقاء النامية ثانياً الفاعل الاول فى ايجاد الامطار بما فيها من قوة التبخير والتصعيد ثالثاً بها تحفظ القوانين الكيمية التى تجري دائما فى خدمة القيام العمومي للعالم ان يكن بالاتحاد أو بالخلاف رابعاً هى المساعد الاعظم لقوى النمو العام هذا عدا ما يوجد فيها ذاتياً من القوانين التى تضبطها كي لايخل شئ من تلك الوظائف المذكورة وذلك كالميل الى مساواة الدرجة متى وجدت

ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون فسوق الآية يدعو على ان يحمل الولي على معنى المحب والناصر وأما الثانية وهى ان انما لا تستعمل الا فيما فيه تردد لان الحصر انما يستعمل فيما يحصل فيه تردد وان نزول الآية الشريفة لم يقع فيه تردد بين الخلفاء والصحابة في الخلافة لانها نزلت فى زمان النبي بل كان التردد في محبة اليهود والنصارى فنزلت هذه الآية لرفع ذلك التردد وبيان عدم جواز محبة غير المذكور فى الآية والقرينة الثالثة ان انما تفيد الحصر وهو اما قصر قلب أو قصر افراد أو قصر اعتقاد فلو جعلنا الآية محمولة على ارادة تعين خلافة علي لما صح ارادة احد هذه الثلاثة من الاية لانه لو جعل القصر قصر افراد لكان يلزم وقوع الخلاف في جواز

مختلفة فى الاجسام المتقاربة وقوة التمديد لكل جسم تخلله وكون نفوذها في السوائل بطيئاً جدا بالنسبة اليه فى المعادن اذ لولا هذا البطؤ لكانت الثلوج التى على الجبال سالت دفعة واحدة متى سخن الهواء وعرفت سكان المهاوي والمنحدرات ثم اذا أطلق عنان تبصره الى الهواء الكروى فانه يرى دلائل عظيمة تخرجه من حكم الاتفاق الى معرفة الخلاق وذلك عند مايعاين مايوجد فيه من الوظائف القائمة فى خدمة الكائنات فهو أولا بدونه لا تقوم حياة الحيوان ولا النبات اذ انه دائما يحافظ على الحرارة الحيوانية الجزء الاهم فيه عند مايؤخذ بالتنفس وفى النبات بواسطة الامتصاص بما انه المقيم الوحيد للاشتغال عموماً ثانياً هو مساعد عظيم بضبط كثير من الاجسام الموجودة على سطح الارض فى مركزها بحيث لولا هذه المساعدة لما استقر جسم فى مركزه وعلى وضعه كالماء مثلا فانه لولا ضغط الهواء لهب من فراشه تأثراً وما وجد على صورة الطبيعة ثالثاً هو الموصل الوحيد للانوار والاصوات اذ بدونه لا يصل نور من الاجرام الفلكية كالشمس والقمر الى الارض فلم ينظر اذ ذاك من النجوم والكواكب الى ماهو فى الثمت الراسى ولا يمكن الآذان الحيوانية ان تقوم بوظائفها لعدم وجود الموصل الصوتي العظيم فلو أمكن ودام العيشة بدون الهواء لكانت البشر دائما مظلمة حماه

خلافة غير علي في زمن النبي لان الآية نزلت فى زمانه فنزلت الآية في رفع الخلاف ووقوع الخلاف في خلافة علي في زمن النبي لم يقول به احد منا ومنكم فتبين انها ما نزلت في الخلافة فضلا من انها تصل فيه ولو سلم انها نزلت في علي وتعينه خليفة فهو انما يكون لرفع التردد الحاصل في جواز تعينه بناء على ما يدل عليه الحصر فحينئذ يكون الحصر حصر قلب ولا مانع حينئذ من منع علي الخلافة مع وجود ابي بكر لانه أحق بها واعلم بما تقتضيه وبعد مافرغ الوقت من وجود الاحق تعين علي لانه حينئذ أحق من غيره فتبين انه لم يمنع ما عينه النص وأيضاً لو سلم انها في الخلافة فهى في الخلافة الحالية والكلام بعد النبي ولا يلزم ان المتعين فى زمن النبي منصرف ان يكون بعده أيضاً منصرفا

غير ناطقة ثم يوجد فى الهواء أمر يستحق الاعتبار فى هذا الموضوع بما فيه من سمو الحكمة القاصدة وهو ان الجزء الاهم منه الذي يدعى اكسجين لو وجد منفرداً لكان أحرق الكرة جميعاً لامحاله كما يقول الرسول قاصداً مايكون فى اليوم الاخير هكذا سيأتي يوم الرب الذي فيه تزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الارض والمصنوعات التى فيها فلدفع هذا الامر الهائل قبل وجوب وقوعه وجد له جزء آخر يسمى نيتروجين وهو من شأنه ان يفعل عكس ذاك أي انه يطفئ الاجسام المشتعلة وهو أكثر من ذاك مقداراً فبامتزاج هذين العنصرين الجزئيين للهواء بعضها مع البعض اندفع ذلك الضرر الذي سوف يحدث ووجدت المعادلة فكيف يمكن والحالة هذه ان يوجد على سبيل الصدفة نظامات كهذه وعنايات متقنة سامية تشير بكل اجزائها الى قصد لاينتهي سموه ثم يكفى الطبيعى دلالة على وجود الحكمة المدبرة مابراه فى أمر النور أيضاً فهو مشحون من الدلائل عليها اذ انه أولا هو السبب الوحيد لتمييز المواد بعضها عن بعض بحاسة النظر وذلك عند ماينعكس من كل جسم منظور الى العين حاملا صورته باللون الذي يرده على انه لايوجد لون أصلي للمادة بل ان جميع ألوان المواد المنظورة هى من النور ثانياً هو المصدر الاكبر من المصادر السبعة الحرارة ثالثاً له خاصة

لان ذلك تصرف في بعض الامور ولا يلزم من التصرف في بعض الامور التعين للخلافة بعد وفات الرسول والا للزم ان تكون كل الصحابة خلفاء وذلك باطل بالبداهة ويرد على قوله ان الذي اعطى الذكات وهو راكع علي فيلزم ان يكون هو خليفة ثم ذكر المفسرون ان كثيراً من الصحابة أعطوا الزكات وقت الركوع فيلزم ان يكون كلهم خلفاء وذلك أيضاً ممنوع لانه اذا كان اعطاء الزكات علة للخلافة فهذه العلة متحققة فيهم أيضاً فيلزم فيهم مايلزم فيه والواو فى وهم راكعون يجوز ان تكون للحال أي يعملون ذلك في حال الركوع أو هو حال من يؤتون الزكاة والدليل متى تطرقه الاحتمال بطل به الاستدلال ويرد على من قال ان الله أراد وعين علياً

للخلافة فمنع منها القول بان ارادة الله تتخلف عما يريده وذلك خلف ذهب الامامية والاسماعيلية الى وجوب العصمة في الامام والباقون بخلافه واختيار الخوجه نصير الاول واستدل بوجوه الاول لولم تجب عصمة الامام للزم التسلسل ووجه اللزوم ان المحوج للامام جواز الخطاء على الامة في العلم والعمل فلو جاز الخطاء على الامام لوجب له امام ويتسلسل وهو باطل فالملزوم مثله ولانه حافظ للشريعة ولوجوب الانكار لو قدم على المعصية فيضاد أمر الطاعة ويفوت الغرض من نصبه ولانحطاط درجته عن أقل العوام والجواب عن المقدمة ان الامام ينصب لمحافظة الهيئة الاجتماعية ولتنفيذ الاوامر الدنيوية والدينية على وجه قرره العلماء فلو اخطأ في تمهيد الاوامر والنواهي

عظمى فى فصل التنبيه حتى انه بدونه لاتقوم الوظائف الحيوية بكل واجباتها ثم يوجد للنور شريعة يجب اعتبارها هنا لكونها تشير الى اتقان عجيب شديد المخالفة للامور الاتفاقية وهى انه يضع بوقوعه واندفاعه زوايتين متساويتين دائما وهكذا أيضاً باجتماعه وانفراجه مهما اختلفت الاجسام التى يحس فيها ولولا هذه المساواة لصار خلل عظيم فى نظام البصريات لامحالة فما ابعد حكم هذا الجسم اللطيف الزاهي الحامل لتلك الوظائف والشرايع المتقنة عن أحكام المصادفة والاتفاق التى ليس لها أدنى اتقان أو نظام وما أجهل من يفتكر فى كونه اتفاقيا والعياذ بالله ثم ان للطبيعي دلالة عظيمة أيضاً من الشرايع الطبيعة على وجود القصد الالهي فى الخليقة وهي انه يوجد أولا فى كل جوهر فرد من المادة قوة جذب خصوصية لغيرها من نوعها على درجة معلومة ولولا هذه القوة لما وجدت العناصر المعروفة كالاجسام الغازية والمعدنية ونحوها ثانياً يوجد فى كل عنصر ميل الى الاتحاد والامتزاج بآخر ولولا هذا الميل لما وجدت المركبات الثانوية العضوية وغير العضوية كالماء والهواء والاملاح والاكاسيد وجميع التراكيب الحيوية ثالثا يوجد فى كل هذه المركبات قوة الميل الى الانضمام العام المدعو عند الطبيعيين ناموس التماسك والتمازج ولولا هذه القوة لما وجدت كرة الارض أصلا رابعا

يوجد فى هذه الكرة قوة ثانوية صدرت عن كل تلك الضوابط وهى القوة الجاذبة الشهيرة للارض ولولا وجودها لاندفع كل جسم انفرد عن كتلتها العامة الى غير عالم فهنا التمس من كل انسان ان يتأمل فى هذه القوانين العجيبة النظام جيداً ويحكم بما يرشده اليه عقله هل هى مقصودة من آله رفيع جليل أم جأت على مفاجاة الصدفة والاتفاق ثم يجب ان يلاحظ الطبيعى هنا أيضاً أمر كلي الاعتبار بما فيه من الحكمة القصوى وهو انه يوجد فى الهيولي عموماً قوة أخرى متوزعة على كل ذرة منها تسمى الدافقه لانها تفعل عكس الجاذبة وهى توجد فى كل نوع من هذه الهيولي على حالة توافق خدمته العامة للطبيعة ففي بعض الانواع توجد أضعف من القوة الجاذبة ولولا ذلك لما وجدت المعادن الصلبة وفى البعض توجد موازية ولولاه لما وجدت السوائل وفى البعض توجد أشد ولولا هذه الشدة لما كان للاجسام الغازية وجود على الارض فمن أودع هذه القوة العظيمة ومن أعطاها تلك الحالات التى لو نقصت واحدة منها لاخلت بنظام العالم ثم اذا نظرنا أيضا الى غلاف الارض جيولوجياً فاننا لانشاهد فيه لحكم الاتفاق محلا نظراً لما يظهر لنا من الادلة على مانحن بصدده فمنها وجود المواد اللازمة لتغذية النباتات كالصودا واليوناسار النشادر ومثل ذلك فى الارض المتوسطة ومنها وجود كثير من الاملاح

لشرع جواز انرد عليه وان الانكار على الامام لايلزم من اقدامه على معصية لانه لايفقد به شئ سوى انه امام الوقت واجب الطاعة فينفذ احكام الشريعة وتنفيذ الاحكام الشرعية ممكن من فاسق فضلا عن معصوم واذا لزم ان يكون الامام معصوماً فوجوب العصمة على المجتهد أولى وأوجب لانه يجتهد في الاحكام الشرعية وتبليغها للعالم فهو أحق بالعصمة وأولى فلم لايجب عليه العصمة وقد وجب على الامام العامل بقول المجتهدين والوجوه الا زمة في الامام لازمة في المجتهد بطريق الاولى فما جوابكم عن المجتهد فهو جوابنا عن الامام وايضاً يرد على القول بعصمة الامام انه يلزم ان يكون الزمان خالياً عن الامام وهو غير جائز لانه يلزم فى كل زمان امام ومن المحال ان يوجد في

التى تصلح لشفاء الامراض وقيام الصحة ولبقية الخدم الميكانيكية وذلك كاملاح الكاس والصودا وغيرهما فى الاراضى الثانوية ومنها وجود الجبال الشامخة التى لها خدمة عظمى في القيام العالمي فهي أولا منافذ للمواد البركانية من الارض عند ثوراتها الذي بسبب ارتفاع كثير من تلك الاطواد الراسخة لتكون ضوابط قوية تمنع حدوث ضرر عمومى على الارض ثانياً هى محافظ للثلوج التى تهبط شتاء ثم تذوب صيفاً بحيث لولا هذه الجبال التى تصلح لحفظ الثلج نظراً لصلابتها وعدم ارتفاع درجة الحرارة فى الهواء على قمها الامر الذي يجعل الثلج يذوب تدريجاً ويجري محدوداً لما وجد على الارض من الماء العذب الا القليل جداً وهذه حالة لايقوم الكون الا بوجودها ثالثا يوجد لها فعل عظيم فى الهوى باصلاحه وتلطيفه وترطيبه نظراً لما يوجد فيها من المواد الصالحة لذلك الاصلاح كيميا كالنباتات الكثيرة وغيرها من العنصريات فجميع ماذكر هنا يؤخذ دلالة على وجوب عناية الالهية ذات قصد عقلي قد قامت بترتيب هذه الكائنات المتنوعة وشيدت بنيانها الرفيع على زعم كل الاتفاقيين الذين لايوجد لاعتقادهم شبيه فى كل كتب الميشولوجيا فصل فى الدلالة على وجود الله من عالم النبات اذا وقف النباتي متأملا في هذا الجنس

كل زمان معصوم والائمة الاثنى عشرية بعد وفاتهم أيضاً يلزم وجود امام ولا معصوم غيرهم فيلزم خلو الزمان عن الامام ولو كان عصمة الامام لازمة بناء على ماذكره للزم ان تكون عمال الامام أيضاً معصومين لئلا يلزم وقوع الخطاء وانه أقل من العوام وقد كان عمال علي كرم الله وجهه مما لاقول في عصمتهم واحتج الامامية على العصمة بقوله تعالى لاينال عهدى الظالمين وغير المعصوم ظالم فلا يناله عهد الامامة والجواب من وجوه الاول ان الظالم من ارتكب معصية مسقطة للعدالة مع عدم التوبة والاصلاح وغير المعصوم لايلزم ان يكون ظالما الوجه الثاني ان المعصية اعم من الظلم ولا يلزم من كون الانسان عاصيا ان يكون ظالما وليس المراد من الظلم هو التعدي على الغير

الآتي العظيم فانه يشاهد منه كثيراً من الدلايل الواضحة على وجوب الوجود الالهى وذلك لما يرى من الحكمة غير المتناهية فى خلقة هذا العالم الكبير وما يتعلق به من القوانين والوظائف التى لا يصل الى ادراكها عقل بشري فاذا نظر أولا الى كيفية تأليف هذا العالم ونموه تسوقه الدهشة والانذهال الى ان يشاهد عقليا قدرة تفوق الحد ساعية فى تقويمه وتدبيره وذلك نظراً الى ما يعاين من الصناعة التى تقود بديهياً الى ان يحكم بوجوب صانعها بما فيها من الدقة والاتقان وكيف لا يشاهد النباتي قدرة كهذه تستوجب الحكمه بوجوب وجود الله حينما يرى مثلا نواة صغيرة في الارض أصبحت بعد مدة شجرة عظيمة ذات جذع ضخم طويل يتشعب من الاعلى الى أقسام هي بمنزلة الايدي المرتضعة تتفرع منها أغصان كالاصابع تشير الى عظمة الخالق اذ تصير دوحة كبيرة تعشش فيها العصافير وتستظل طيور السماء تحت أغصانها ثم يرى ان لهذا الجذع من الاسفل كمية من العروق هي بمنزلة الارجل كانها متشبثة في بطن الري خشية من ان تطير بها أجنحة الرياح العاصفة الى قمم الجبال العالية هذا اذا لم يأخذ في تشريح هذه الشجرة وينظر الى تلك الانسخة التى تألفت هي منها ان تكن الحلوية أو النخاعية اذ انه يعاين بذلك المنظر كيفية نمو هذه الشجرة الهائلة منذ كونها نواة الى ان تصير كقمة

والوجه الثالث ان أبا بكر تعين للخلافة باجماع من الامة والاجماع حجة ويستدل على ذلك بالكتاب وهو قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً أقول ثبت في اللغة ان الاوسط الاعدل وأحتج جمهور الاصحاب والمعتزلة بهذه الآية على ان الاجماع حجة فقالوا أخبر الله عن عدالة هذه الامة أو عن خيريتهم فلو قدموا على شئ من المحظورات لما اتصفوا بالخيرية واذا ثبت انهم لا يقدمون على شئ من المحظورات وجب ان يكون قولهم حجة والعمل بالحجة واجب واحد اركان الدين فابو بكر رضى الله تعالى عنه وباقى الصحابة ثبت نصبهم بالاجماع مع عدم القول بعصمتهم وتحرير الدعوي ان هذه الاية تفيد اما كون الامة الاحمدية

جبل عال برزت من جوف السحاب وظهرت لدى الركاب
فى البحر انه يوجد أنواع من النبات غير خاضعة لسلطة
العدد لكثرتها فى كل منطقة وقارة من الارض وكل منها
يأخذ بلا ريب دليلا قاطعاً على وجود الصانع العظيم مما
يوجد فيه من الادلة التى تشير الى القصد والغاية بوجوده
ويكفى الانسان من تلك الادلة مايراه مثلا فى كيفية التناسل
للنبات لاجل ان يحفظ كل منه نوعه فاذا لايوجد لكل من
النباتات المثمرة أعضاء تذكير وتأنيث محفوظة ضمن الكتل
المذكورة لتلك الاعضاء المهمة للنبات هي بمنزلة الاحواض
للحيوانات وهذه الاعضاء التناسليه يذهب لتعذيتها
السائل الغذائي الذي فنصه الجذور والاوراق من الهواء
والارض بعد ان ينهضم تماماً باستحالته الى جوهر يصلح
لتلك التغذية بواسطة الفواعل الحيوية فى النبات
فتأخذ بالنمو حينئذ تلك الاعضاء حتى اذا بلغت وظيفتها
تبتدى العدد الموجودة فى الذكور منها بان تفرز غبارا من
ذلك السائل الغذائى يسمى بالطلع وهو المسحوق التناسلي
وكل ذرة من هذا الغبار تدهش الناظر اليها تحت
المكرسكوب بما فيها من سمو الصناعة فتنحنى بعد ذلك
هذه الاعضاء التذكيرية وتلقى الطلع المذكور على الاناث
فتمتصه هذه الاخيرة بواسطة قنوات كلية الدقة ذات
فوهات مفتوحة الى الخارج لتناول الطلع فيمر بها الى عضو

عدولا أو تفيد خيرية
هذه الامة فان افاد الاول
وجب امتثال أمر عدول
وقد نصبوا للخلافة أبا
بكر الصديق فيقض
الامتثال لما فعلوا لان
ترك العدل ظلم وهو
قبيح وان أفاد الثاني
فهو أيضاً يفيد وجوب
العمل لان الله اذا اخبر
بخيرية الامة فلا شك
انما هو يعتبر ما يصدر
منهم فترك الخير والعدول
عنه شر والصادر من
هذه الامة انما هو
تعين أبي بكر للخلافة
فعدم قبوله شر لان
عدم قبول فعل الخير
شر وماهذه الآية تبين
ان من قال بردة الصحابة
ويله من الله لعدم رضاه
لكلام الله لانه سبحانه
وتعالى أخبر بانه جعلهم
أمة وسطا فلا يخلو ان
هذا الاخبار من انه
جل جلاله جعلهم أمة
وسطا أبداً أو في زمان
الرسول ومادام موجوداً
صلى الله عليه وسلم فان كان
المراد هو الاول مع انه

يدعى المبيض كما فى الحيوانات وهذا العضو ينفتح حالا الى قبوله عند التلقيح ثم يأخذ هذا المبيض بالانتفاخ والنمو وهناك يوجد البزر الذى به يحفظ النوع ثانياً بما انه لابد لهذا البزر من النضج ليكون صالحاً فى ظيقته وجدت له طريقة من نفس الاعمال الحيوية لجنس النبات وهي ان الذينبات التى تحمل الاثمار يمتلي فى مجموعها الوعائى ذلك السائل الغذائى ويستحيل الى مادة أكثر جمودة منه فتنسد المسامات الموجودة فى تلك الذينبات حينئذ ولهذا الانسداد لايعود لهذا السائل منافذ الا قليلا فيتحلل بسبب هذا الامر الحامض الكربونيك ويذهب الاكسجين منه فيتحد بالمادة اللعابية الموجودة فى البزر وغلدقه ويحيلها الى سكرية أو الى المادة النوعية لها نظرا الى التغير الكيمي الذي يحصل فى تلك المادة بسبب زيادة الاكسجين فى مقاديرها الاتحادية ثالثاً يوجد للسائل الذي به تغتذى النباتات دورة عجيبة كدورة الدم فى الحيوانات وفائدتها تنقية هذا السائل وجعله صالحاً للتغذية فانه اذا وصل بعد امتصاصه من الجذور الى الاوراق التى منزلتها من النبات منزلة الرئتين من الحيوان فى أوعية صادرة كالشرايين يتحلل هناك الحامض الكربونيك فينقذف الاكسجين الى الهواء وينعطف الكربون راجعاً فى أوعية واردة كالاوردة حتى يصل الى الجذور أيضاً متغذياً

لا فائدة فيه لا تحصل الملايمة بين صدر الآية وعجزها وهو قوله لتكون شهداء لان شهادة الامة الاحمدية على سائر الامم من يصلح اذا ثبت قدم على الايمان فيلزم ان يكون الاخبار بان الله جعلهم امة وسطاً ابداً فيلزم بقاءهم على الايمان وان الله أخبر بذلك ومن يخالف ذلك ويقول بانهم لم يؤمنوا بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقد خالف النص فعليه ما يستحق من الله ولا يجوز ان يراد السبعة الباقين لان هذه الآية نزلت في بيان حال جميع الامة الموجودة من الملة المحمدية لان النكرة المنونة تفيد الاستغراق كما هو مذكور في البلاغة فتبين ان جميع الحاضرين خير امة ثابت بالنص ويستدل على ان الامة الاحمدية خير الامم بقوله تعالى كنتم خير امة أخرجت

لمروره كل الاعضاء ومقيما بجوهرها الخاص فاذا تأمل كل ذى بصيرة فى هذه القوات والاعمال التى ذكرت هنا يشاهد مالا يمكن أبداً ان يكون له أدنى تعلق بحكم الصدفة والاتفاق بناء على مايوجد بها من أحكام القصد الظاهر وخاصته اذا تأمل فى الفوائد التى تنتج من النباتات فانها شواهد ثابتة على مانحن فيه فاولا هى تطهير الهواء بتحليلها منه الحامض الكربونيك المذكور الذي هو قتل محض لجنس الحيوان وذلك صادر من الميل الموضوع لها الى أخذ الكربون ثانياً هي غذاء عظيم جداً لاكثر أنواع الحيوانات المعتبرة وخاصته للانسان ثالثاً تؤخذ منها أكثر الادوية الفعالة فى الامراض هذا ماعدا كثيراً من الفوايد التى أخبرنا عن استيفائها فصل فى الدلالة على وجود الله من عالم الحيوان انه لما كان الحيوان أعلى جميع الاجناس الموجودة فى الكون نظراً الى مايوجد فيه من الخواص العجيبة التى لم توجد فى غيره وذلك كسمو القوى الحيوية المغروسة فيه وكالانتقال بالارادة غير المعطى لغيره والاحساس العام بجميع المحيطات به وتميزها من كل نوع منه على قدر قوته كان النظر الى مايوجد فيه من الاعضاء الآلية والوظائف القائمة بها كافياً وحده للدلالة على وجود الله وبما ان الانسان هو أسمي درجة من ساير الحيوانات عموماً بنوع لايجد سموه وجب ان

للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله أقول يستفاد من هذه الآية الشريفة ان الملة الاحمدية خير أمة ولا يجوز أن يكونوا سبعة أو عشرة أو عشرين لان اطلاق الامة عليهم وان كان جائزاً الا ان نزول الآية يشعر بالافتخار وذلك انما يتحقق بالافراد الكثيرة وأيضاً ان الخطاب للحاضرين وهم كانوا اكثر من ان يحصى عددهم ولا نظن ان الاخيار خاص في زمن الرسول واذا قيل ان الاخيار بكونهم خير أمة مع الارتداد لا مناقضة لانه ثبت ان كثيراً من الصحابة بعد وفاة الرسول ارتدوا فهذا دليل على ان اخباره تعالى مخصوص بزمان الرسول للبعض وغير شامل لجميع الازمان نقول ان الآية صريحة بان سبب الخيرية بناء على ان هذه الامة

نأخذ تلك الدلالة من ذات أعضائه وظائفه اكتفاء به عما سواه اذا نظرت أهم الاعضاء الجهازية المكونة للانسان فانما نشاهدها فى قوام يحتاج الى قوة ميكانيكية تمسكه من الوقوع نظراً لما فيه من عدم الجمودة الكافية لان يقوم بذاته ولهذا وجد لهذا القوام هيكل من جوهر صلب يسمي عظما لكي يكون ملسكا له ومساعداً على الاعمال الميكانيكية ثم اذا لوحظت الاعضاء المنوطفة لحياة الانسان يرى كثيرا منها مهما ولطيفا للغاية حتى ان أدنى تأثير خارجي يضر به ولاجل ذلك وجد احتياج عظيم لمحافظة عظيمة تحفظ تلك الاعضاء من المؤثرات الخارجة فاذا ابتتع المشرح ذلك الهيكل يشاهد فيه محافظة كهذه على طبق المراد وفى أحسن وضع كتجويف الحوض مثلا للمثانة وغيرها وتجويف الصدر المكون من الاضلاع للقلب والرئتين وتجويف الحجاج فى الجمجمة للعينين وصندوق الجمجمة نفسها للدماغ والقناة الفقارية للنخاع الشوكي وبالنتيجة كل جزء من ذلك الهيكل له شكل وتوقيع يطابق وظيفته مطابقة كلية الاعتبار ويلائم العضو المحمول به ملائمة تامة ثم اذا نظر أيضاً أديباً الى تعرض الصدر الى الخارج وكيفية علوه وهبوطه عند النفس فانما يشاهد عوز عظيم لان تكون الاضلاع الصدرية ذات لدونة لكي تمنع تأثير الضربات الميكانيكية عن الاعضاء

شاهدة على سائر الامم في الدنيا والآخرة وذلك لا يتحقق الا اذا كانت الامة الاحمدية باقية على الايمان مدى الزمان والى آخر الوقت أي قيام الساعة فتبين انه ليس بمخصوص بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم وارتداد البعض لا يدفع المناقضة لانا ذكرنا المناقضة بين القول بان الناس ارتدوا ولم يبق منهم الا سبعة وبين اخبار الله بانهم خير أمة لان هذا القول الذي يوجب المناقضة لانه حينئذ لا فائدة في الاخبار والافتخار بكونهم خير أمة ولا يجوز للعاقل ان يقول ان النبي توفى وترك سبعة من الصحابة مسلمين ولنرجع الى ما نحن فيه أولا وهو ان الامامية ليست مشروطة وتحقيق القول انه بين الآية وهى قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء

الداخلة بواسطة ارتدادها بعد الانحناء بقوة المؤثر بناء على شريعة اللدونية في الاجسام المرنة ولكي تكون حركتها بالنفس سهلة وخاصة في أوقات تعاظم الشهيق والزفير لداع نفساني فعندما ظهرت هذه الاضلاع بالكشف التشريحي وجدت مطابقة لما قد ذكر اذ انها تنتهي بعد ان تتجاوز الظهر بمادة غضروفية لدنية وهكذا أيضا الجمجمة فانها معرضة لبواعث الضرب والشج كثيراً ولذلك وجدلها طبقة اسفنجية لكي يتموج بها ذلك الفعل بحيث لو بقى قائماً بنقطة الملامسة لاضر بالدماغ كثيراً ثم اذا لاحظنا اليا كيفية وقوع النظام على بعضها فانما نراها محتاجة لثلاثة أشياء لابد منها وهي أولا مادة غضروفية لاجل ان تدفع بمرونتها الضرر الذي يحدث من احتكاك الاسطحة العظيمة ببعضها اذ يحصل ضغط الثقل أو كثرة الحركة ثانياً أغشية مصلية لكي تفرز منها مادة زيتية بها تسهل حركة المفاصل ثالثاً وأخيرا ربائط قوية لكى تحفظ العظام على مواقعها الطبيعية فبعد المعاينة من المشرحين وجدت هذه الثلاثة الاشياء قائمة في أحسن ترتيب ولما كانت هذه العظام لا يمكن ان تتحرك بذاتها كان لها جهاز عضلي مبسوط عليها لاجل ان تتحرك بواسطة انقباضه بما انه مؤلف من خيوط ليفية تنطوى على قوة الانقباض فكل عظم يوجد عليه من العضلات المحركة ما يكفيه حسب وظيفته بشكل ووضع يطابقه وكل عضلة

على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وبين قولكم ارتد الصحابة تناقض ظاهر لا يخفى ووجه التناقض ان الذين تولوا الخلافة عندكم ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يعنيهم أيضاً مرتد فنقول ان العالم كان في الجاهلية لا يعرف التوحيد ولا يسلم النبوة ورسالة هؤلاء الخلفاء الراشدين المهديين هم المعلمون للناس فيجب قيام التوحيد وتعليم الارتداد لمن طاعنهم بضرب السيف وهذا ينافي حينئذ ما سبق في الآية لان المعلم اذا كان مرتداً يجب ارتداد جميع العالم ونحن نرى ان المسلمين موحدين يقرون بالرسالة وكل ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مشروطة بالعصمة لما سقنا من الدليل وهو قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون

يوجد لها غمد من نسيج خاص لكي تحفظ به من الالتواء أو الخروج وأوتاد متينة حتى بواسطة امتداداتها الحادة تجد العضلة مغارس واصولا في العظم الذي تقع عليه ثم لما كان الجسم معرضاً بكل أجزائه للمؤثرات الخارجية التي تستدعي الاحساس بها ومهيأ لكل الحركات التي تستلزمها قواه الحيويه كان لها جهاز خصوصي معد لاجل ان يقوم بواجبات الحس والحركة وهو الدماغ الذي يقال له المركز العصبي العام وبما ان الدماغ يوجد مجلسه ضمن الجمجمة والقناة الفقاريه فقط وجب ان يبعث من نفس جوهره رسلا عصبية ضمن قنوات تسمي أزواجاً وخيوطا الى سائر أقطار الجسد لكونه ملكا عليه بحيث ان البعض من هذه الرسل أقيمت لاجل ان تعلمه بكل احساس يطرء على كل جزء من مملكته والبعض لاجل ان تكون سعادة تذهب باوامره الى كل عضو دخل تحت سلطانه حسبما يستوجب قانون رعايته فمن المجلس الاكبر للدماغ يذهب تسعة من تلك الرسل الزوجية بعضها الا آلات الحس الخاص كالبصر والشم والسمع والذوق والبعض يذهب الى تجويف الفم متشعشعا به والى الاعضاء الباطنة كالمرئ والمعدة والقلب والرئتين ويتفرع هناك والبعض ينبت في كل كتلة الرأس لخدمة الحس العام ثم ان من هذه الرسل العصبية يمتد واحد وثلاثون زوجا منبثقة من النخاع الشوكي وتنبت متفرعة في سائر

بالمعروف وتنهون عن المنكر فالله عين شرف الملة الاحمدية لامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وذلك موقوف على تحقق وقوعه منهم وهم ليسوا بمعصومين ولو كانت العصمة شرطاً في الامر بالمعروف لما نزلت هذه الآية الشريفة في بيان شرفهم فان قيل فرق بين الامامة والامر بالمعروف قلنا نعم الا ان الكلام مع الخصم في سبب شرائط العصمة فانه أشرط العصمة بناء على ان الامام منفذ للاحكام ولو ارتكب معصية لكان أقل مرتبة من العوام ولزم التسلسل وسقطت عدالته فلا يسمع امره فهذا الاستدلال يقتضي عصمة كل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا عصمة الامام فحسب كما لا يخفى على منصف وقد ورد في نص القرآن جواز الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لغير

المعصوم وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضاً يطلق على الخلافة والامامة فعلى هذا التقدير لا تكون العصمة شرطاً في الامام وتحقيق الكلام تبين في بيان سبب نزول الآية ان مالك ابن الصيف ووهب ابن يهودا اليهودين قالا لعبد الله بن مسعود والى ابن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة نحن أفضل منكم ودينا خير من دينكم الذي تدعوننا اليه فانزل الله هذه الآية فلوكان هذه الامة متحقق عند الله ارتدادهم لما كانوا خير أمة لانه لايخلو اما ان يكون علم الله متعلقاً بانهم خير أمة أولا والثاني باطل لان القول به كفر فثبت الاول وهو ان الله متعلق علمه بانهم خير أمة ولذلك أخبر بذلك والمراد من كنتم خير أمة أي في اللوح المحفوظ أو في علمي فلو ثبت لهم الارتداد بعد

الجسد لاجل القيام بكل حركة واحساس عموماً وبما ان الجسد قد يوجد معرضاً أحيانا لحادث يمنعه عن الطعام مدة ما امالعدم التوصل اليه وأما لداعي المرض وجد له موازرة لذلك طبقة وهنية مبسوطة فوق الجهاز العضلي السابق ذكره ووظيفتها ان تخدم الطبيعة بدفع المواد الضرورية لاقامة واجبات التغدية وقت الحاجة اليها وذلك نظراً الى مايوجد فيها من المواد الاشتعالية كالكربون والهيدروجين الامر الذي به تلبث الحرارة الغريزة على درجتها الطبيقية عند مايتحدالاكسجين المأخوذ من الهواء بالنفس بالكربون والهيدروجين حينما تنبعث الحرارة من هذا الاتحاد الكيمي على انه اذا بطل هذا الاتحاد الموجب للحرارة ساعة واحدة افضى الى الموت حالا ثم بما ان هذه الطبقة مع بقية الاجهزة السطحية لاتحتمل لذع الهواء والحرارة نظراً لما فيها من انبثات الفريعات العصبية التي من شأنها ان تتأثر احساساً بادنى مؤثر فدفعاً لمؤثرات كهذه قد وجد للجسم غشاء عام محيط بكل جزء منه لاينفعل الا ماقوى فعله لعدم وجود شئ من العصب في طبقته الخارجة وعدم وجود قوة الامتصاص الاماندر وهذا الغشاء هو المسمى بالجلد ثم يوجد على جميع سطحه الظاهر ويرد من الشعر الدقيق جدا ووظيفته ان يمنع دخول الحرارة الخارجية الى الباطن لان الشعر من عادته ان لايوصل الحرارة كالصوف

والقطن والحرير ونحو ذلك من الاجسام غير الموصلة كما يوجد في هذا أيضاً مسامات ليس لها عدد لاجل نقض الابخرة والعرق منها بحيث لو لم يوجد مسامات كهذه لفسدت الاجهزة وهجم الموت ولما كانت المواد الطعامية التي يغتذي بها الانسان لاتقوم بتعويض مايتحلل من انسجته الا باستمالة كل مادة منها الى جوهر النسيج الذي يتناولها وجب حينئذ وجود جهاز مخصوص لكي تتم به تلك الاستمالة كيميا فعندما اخذ المعلمون ان يشرحوا مايتحصل لهم من الاجساد وجدوا جهازاً كهذا معداً على أتم مرغوب وسموه بالقناة الهضمية ووجدوا انها تنقسم الى جملة أقسام بحيث ان كل قسم منها يختص بهضم لايختص به آخر مبتدئة من الفم حتى المعى المستقيم فاولا الفم ووظيفته فى خدمته الهضم أولا قطع المواد المقتضى قطعها بواسطة القواطع الامامية المسماة بالاسنان ثانياً طحنها بواسطة آلات معدة للطحن وهي الاضراس تسهيلا للبلع ثالثاً افراز مادة لعابية من العدد الموجودة فى اجزائه لاجل احالة الجواهر النشائية والطحينية الى سكرية اذ تمتزج بها توقيعاً لمقتضيات التغذيه ثانياً البلعوم ووظيفته ابتلاع الاطعمة لكي يتناولها القسم الاخير ثالثاً المرأى وهو قناة عضلية وظيفتها دفع الطعام بواسطة انقباضها عليها رابعاً المعدة وهي جسم حوصلي تستقر به الاطعمة بعد هبوطها من

اخبار الله بانهم خير امة لزم أمرين تخلف العلم عن المعلوم وتكذيب الاخبار وكلاهما باطل والقول به كفر فلا يجوز القول بردتهم والعياذ بالله من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس قرني ثم الذين يلونهم وقد ورد في فضل الصحابة أحاديث لا تعد ولا تحصى الا ان الخصم لايسلم ذلك فلنعرض عن ذكرها صفحاً ونحاوره بما يسلمه وزعم الامامية انه ورد نص في خلافة علي بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم سلموا على علي بأمرة المؤمنين قوله عليه الصلاة والسلام لعلي أنت الخليفة من بعدي واستدلوا بقوله تعالى على ان علي رضى الله عنه خليفة بقوله تعالى والكافرون هم الظالمون والظالم لا يصلح للامامة لقوله تعالى لاينال عهدي الظالمين في جواب أبراهيم حين طلب الامامة لذريته

دفع المرئ ووظيفتها انها تفرز من أنابيب دقيقة جدا فى جدرانها عصارة حامضة عند توارد الدم اليها اذ تهبط الاطعمة وهذه العصارة تمتزج بما يوجد هناك من الطعام وتحيل المواد الازوتية منه التى تخدم بتغذية الانسجة اللحمية الى جوهر يصلح لهذه الانسجة وليس بواسطة تلك العصارة فقط ثم هذه الاستحالة بواسطة الحرارة والانقباضات المعدية أيضاً خامساً المعى الاثنا عشري وهو الجزء الاول من المعى الدقيقي ووظيفته حفظ المواد الكيمية الداخلة اليه بعد المعدة من التعفين والفساد وذلك بواسطة الصفراء التى تنزل اليه من الكبد بقناة تستطرق بها سادساً اللفائفي فالصائم ووظائفهما أولا افراز مادة قلوية كما للبانكرياس لاجل تصبين المواد الهيدروكربونية من الطعام أى الزيتية والدهنية وذلك لكي تكون موافقة لتغذية الطبيعة المار ذكرها القائمة بخدمة النفس ثانياً امتصاص تلك الاطعمة المهضومة بواسطة امتدادات انبوبية من جدرانهما الغشائية الى قناة تسمى اللبنية لكي يجري بها ذلك الكيلوس الى الاوردة حيثما يتم عمل الاستحالة الدموية سابعاً الاعور فالقولون ووظائفهما تكادان تكون كاللفائف والصايم ثامنا المستقيم ووظيفته قبول مالا تفعل فيه الآت الهضم وما يفيض عن طلب الطبيعه ثم بما ان الطعام عند مايصير كيلوسا موافقاً لتغذية الجسد يجب عليه ان يدور جميعه لكي يغتذي كل جزء منه وجد له اذ

وبقوله تعالى وكونوا مع الصادقين مضمون الآية هو الامر بمتابعة المعصومين وبقوله تعالى أطيعوا الله والرسول وأولي الامر منكم وقالوا ان غير علي ليس بصالح للامامة لكفرهم وبقوله تعالى والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم أقول ان علياً رضى الله عنه سابق في الاسلام على غيره فهو أولى بالخلافة ولنشرح احتجاج الامامية اولا ثم نبين بطلان قولهم ولا أركب الامطية الانصاف ان الامامية فرحوا في امامة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما من ثلاثة وجوه الاول ان أبا بكر وعمر كانا كافرين فقد كانا حال كفرهما ظالمين فوجب ان يصدق عليهما في تلك الحالة انهما لا ينالان عهد الامامة اليه واذا صدق عليهما في ذلك الوقت انهما لا ينالان عهد الامامة البتة لا في شئ من

ذلك قنوات مختلفة الاقطار بها يجري الى كل أجزاء الجسد على طريق مختلفة وهي الشرايين والاوردة وبما ان السائل الدموي لابد له من آلة ميكانيكية تدفعه دائما في تلك القنوات لدوام مواصلة الحركة وجد لاجل هذا الامر آلة وهي القلب فان الكيلوس حينما يجري في الوعاء اللبني الخارج من الامعاء بقوة دفع التواصل ثم ينتهي الى الوريد الذي ينفتح اليه ذلك الوعاء يذهب حينئذ في تلك القناة الوريدية الى ان يهبط أخيراً في تجويف الآلة العضلية لانفتر انقباضاتها المتواصله كان عمود السائل الدموي مندفعاً دائماً من جانبها الايمن الى شريان عظيم يقال له الرئوي لكونه يتفرع بعد خروجه من القلب الى الرئيتين فيهما ثم ينبث هذا الدم هناك بواسطة أوعية شعرية وينعطف راجعا في أوردة تسمي بالرئوية أيضاً وينحدر في الجانب الايسر للقلب بحيث ان هذا القلب ينقسم الى جانبين وكل منهما الى تجويفين يسمي العلوي منهما بالاذنية والسفلي بالبطين فاذا انحدر الدم ضمن التجويف الاعلى للجانب الايسر بواسطة الاوردة المذكورة تنقبض عليه جدران هذا التجويف العلوي الذي هو الاذنية فيندفع الى البطين فتنقبض عليه أيضاً جدران البطين وتدفعه الى قناة عظيمة جداً تخرج من هذا التجويف تدعى الشريان الاورطي فيذهب الدم حينئذ ضمن هذه القناة المذكورة الى جميع أجهزة الجسد جزاء لان هذا الشريان

الاوقات فثبت انهما لا يصلحان للامامة والثاني ان من كان مذنبا في الباطن كان من الظالمين فاذا ما لم يعرف ان أبا بكر وعمر ما كانا من الظالمين المذنبين ظاهراً وباطناً وجب ان لا يحكم بامامتهما وذلك انما يثبت في حق من ثبت عصمته ولما لم يكونا معصومين بالاتفاق وجب ان لا يتحقق امامتهما . الثالث قالوا كانا مشركين وكل مشرك ظالم لا ينال عهد الامامة فيلزم ان لا ينالهما فاما انهما كانا مشركين فبالاتفاق وأما ان المشرك ظالم فلقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم واما ان الظالم لا ينال الامامة فبهذه الآية الظلم اعم من ان يكون في الحال او الاستقبال او الماضي بدليل ان هذا المفهوم يمكن تقسيمه الى هذين القسمين ومورد التقسيم مشترك وما كان مشترك بين القسمين لا يلزم لانتفاء انتفاء احد

ينقسم الى فروع تنقسم الى فريعات تنبث فى جميع أقطار الجسد ثم ينعكف الدم من هذه الفريعات الشريانية الى الوريدية عند أواخر الاطراف العليا والسفلى للجسد أى الايدي والارجل الى ان يجرى أخيراً فى الجذوع الغلاظ من الاوردة راجعا الى الجانب الايمن من القلب وهكذا دائماً يدور الدم فى كل الاجهزة الجسدية من الاندفاع الذى يحصل له بقوة الانقباضات لتلك الآلة الميكانيكية العظيمة ذاهبا منها فى الشرايين وراجعا اليها فى الاوردة ولما كانت هذه الآلة مهمة جداً لتوقف مدار الحياة عليها كان لها غلاف متين من مادة شحمية ليحفظها من ضرر المؤثرات يدعى بالناموز وبما ان انقباضاتها الدائمة تستلزم وقوع ضرر لجدرانها الخارجة بسبب الملامسة المتواصلة بينهما وبين جدران الغلاف المذكور لزم اذ ذاك وجود مادة زيتية لمنع وقوع ذلك الضرر ولهذا جعل ذلك الغلاف مبطناً بغشاء مصلي يفرز دائماً مادة كهذه ثم يوجد للقلب صمامات واقفة فى الخطوط الفاصلة لتجاويفه وفى الخطوط الابتدائية للشرايين والانتهائية لبعض الاوردة حتى بواسطة انقباضها وانغلافها تمنع العمود الدموى من الهبوط عند اندفاعه ومن الاندفاع عند هبوطه ويوجد أيضاً للجسد نسيج غددى ووظيفته ان يفرز من الدم عند جولانه فيه كل السوائل اللازمة لخدمة الطبيعة اما ميكانيكيا واما حيويا بحيث ان

القسمين فلا يلزم من نفى كونه ظالماً في الحال نفى كونه ظالماً والذي يدل عليه نظراً الى الدلائل الشرعية ان النائم يسمى مؤمناً والايمان هو التصديق وهو غير حاصل حال كونه نائماً فدل على انه يسمى مؤمناً سواء كان الايمان حاصلا أولا وكذلك الظلم أقول بعد ما ذكرنا الكلام تفصيلا ان الجواب من وجوه الاول معارضة ان وليكم لو تم لزم منه ان رجلا لو حلف ان لا يسلم على كافر ثم سلم على رجل الآن اسلم ان يكون حانثاً لما قلتم من عدم لزوم نفى الوصف في الحال نفيه مطلقاً وقد حصل الاتفاق منا ومنكم على انه لا يحنث. الجواب الثانى انه لو لم يلزم من نفى الوصف في الحال نفيه مطلقاً للزم اجتماع المتفاوت وذلك محال وجه اللزوم ان المتصف بالظلم في زمان الماضى ثم في زمان

كل غدة لها ان تفرز مالا تفرزه الاخرى وليس هذا الافراز لاجل تلك الخدمة فقط بل لاصلاح الدم ايضاً على انه لو لم يفرز البول مثلا منه بواسطة الكليتين أو الصفراء بواسطه الكبد لما وجدت الحياة أصلا ثم بما ان الحياة لا يمكنها ان تقوم بدون حرارة تساعد القوى الحيوية على تتميم واجباتها اقتضى لهذا الامر ان يوجد داخل الجسد معمل كيمي لتوليد الحرارة دائما وليس هذا المعمل سوى الاتحاد الدائم الذي يحصل بين الاكسجين الذي يؤخذ من الهواء بواسطة التنفس وبين المواد الهيدروكربونية أي المركبة من الكربون والهيدروجين المأخوذة بالاطعمة وبما ان الدم لابد له من ان يتعكر بالحامض الكربونيك الذي ينتج من ذلك الاتحاد المذكور اقتضى وجود آلة بها يتنقى الدم من ذلك الحامض بحيث اذا لم تحصل تلك التنقية لا يعيش الحيوان لان الحامض الكربونيك هو سم قتال فاذا نظرنا الى تركيب الرئتين وكيفية وضعهما نرى انهما آلة عظيمة قائمة بوظيفة تلك التنقية فان الدم عند وصوله اليهما بعد اندفاعه من القلب يطرد عنه ذلك الحامض السام اذ تمتصه الاخلية الهوائية للشعبات الرئوية عند ماينقذف من جدران الاوعية الشعرية المجاورة لتلك الاخلية فتنفثه الى الخارج وتستعوض عنه الاكسجين وتدفعه الى الدم على تلك الطريقة عينها فيتأكد حينئذ ويصير صالحا بواسطة

الحال اتصف بالعدل ولم ينصف الظلم حين اتصافه بالعدل لزم تصادف الوصفين معاً على ذات واحد وذلك باطل للاتفاق منا ومنكم على عدم جواز اجتماع المتنافقين. الجواب الثالث ان الحكم على المشتق يدل على علية المأخذ وذلك قاعدة مطردة عند الاشاعرة وعند الامية ان الحكم على المشتق دلالته على علية الاشتقاق اكثر لامطرد والحكم في قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين سببه الظلم عندنا وعندكم واذا سلم هذا فيكون حاصل الحكم انه لا ينال عهدي الظالمين حال الظلم كما في قوله تعالى لا تركنوا الى الذين ظلموا حال الظلم لجواز الركون اليهم عند العدل وان التايب عن الكفر ليس بكافر والتايب عن المعصية لا يسمى عاصياً والجواب الرابع ان العهد هو

ذلك التبادل الكيمي وهذا الامر يتم دائما على ممر الثوانى بواسطة عملية التنفس ثم اذا أخذ الفسيولوجي يبحث في عضو البصر الذي هو العين فانما يرى من تركيبه ووظيفته أدلة كثيرة على وجود قوة الهيئة فائقة الحد قد قامت بصناعته وتهذيبه في عناية لا تدركها الافهام ولا تخيلها الاوهام فلا بأس اذا ذكرنا هنا شرحاً وجيزاً عن هذه العين بما اننا آخذون فى الاستدلال على وجود الله من صناعة عالم الحيوان فنقول أولا بما ان الجسم لايمكن ان تراه العين مجتلية اياه بكل أجزائه الا اذا انعكس اليها من كل نقطة منه أشعة نور بناء على ان النور هو الواسطة الوحيدة لوجوب النظر وجب حينئذ ان يكون النور المنعكس عن الجسم المرئي واصلا اليها من كل أجزاء ذلك الجسم ومارا بها مرور الاقطار فى المركز وليس هذا فقط فائدة التحديب المذكور بل يوجد أيضاً فائدة أخري لايستغنى عنها فى خدمة البصر وهى ان يجمع خطوط النور المارة فيه منعكسة عن الجسم المبصر الى نقطة داخل العين مركزيه لها اذ انه لايمكن البتة ان يتم البصر بدون ذلك على ان لابد للنور من ان يجتمع بعض خطوطه الى بعض اذا مر فى جسم محدب ثانياً بما ان النور لاينفذ الا من الاجسام الشفافة وجد ذلك الجزء الظاهر للعين مركبا من طبقات كهذه صنعتها كما تراها وهي القرينة الشفافة الواقعة على الجزء اللونى للعين

النبوة والجواب الخامس

ان المراد من الآية الموصوفون في الظلم في الحال لا ينالون عهدي بدليل ان ابراهيم سئل الخلافة الى أولاده فذكر جل جلاله ان من أولادك ما هم مشركون والشرك لا ينال عهدي وهى النبوة والجواب السادس ان المراد من العهد النبوة لاغير والقول بان المراد من العهد في الاية هو الخلافة غير النبوة غلط من وجوه الوجه الاول المراد من قوله تعالى لابراهيم قال اني جاعلك للناس اماماً نبياً لاغير لان الله أوعد ابراهيم بالنبوة والامام ما تأم الناس به فيرد منه حينئذ النبوة وقوله تعالى ومن ذريتى أيضاً طلب حضرة ابراهيم لذريته الامامة وهى النبوة بدليل ان الله جعل من ذريته أنبياء فحينئذ لا بد من ان يراد من قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين

المسمي بالقزحيـة وقوع البلورة عـلى الساعة والرطوبة الزجاجية الموجودة تحتها فاصلة بين تلك الثانيـة وهـذه القزحية ثالثاً لما كانت العين لاتحتمل من النور الا مايكفيها لان تبصر نظراً الى كون النور من المهيجات الشـديدة للعصب كان طبقة ليفية النسيـج مركبة عـلى القرنية الصلبة كتركيب بلورة الساعة أيضاً وهي القزحية المار ذكرها فهذه الطبقة مثقوبة الوسط لاجـل دخول النور على قدر الحاجة بحيث انها تنقبض عند ضعفه فيتسع انقباضاً وانبساطاً يعدلان قوة النور دفعاً لفعل التهيـج ولهذه الغاية عينها قد وجدت القرينة الصلبة المـذكورة بيضاء فانها تدفع أيضاً عن العين كل النور الذي يقع عليها الا مايفذ من ثقب القزحية لاتمام الوظيفة بناء عـلى ان اللون الابيض لايشرب شيئاً من النور بخـلاف بقيـة الالوان وهذا هو سبب لمعان الاعين الحور وبما انه أحياناً لابد لدخول نور كثير الى العـين فى أوقات اشـتداده وجد داخل العين طبقة أخرى تدعى المشميه ذات لون بنفسجي أو كن وظيفتها ان تتشرب من النور الداخل الى العـين مايزيد عما تقتضي وظيفتها اذ ان المـادة البنفسجية تمتص أكثر النور الواقـع عليها طبيعياً رابعاً لما كانت ألوان النور من شأنها ان تضعف عند انعكاسه من جسم الى آخر كانت الطبقات الشفافة للعين متفاوتة بين الكثافة

لا ينـال النبوة لا غير فكيف يجوز حمل العهد على غير النبوة في هذا المقام نعم ان الله عين ابراهيم نبياً وخليفـة في الناس لان ما كان نبياً صار خليفة يقتدى بفـعله ويطاع أمره ولكن لا يلزم من هذه الآية الشريفـة نفى الخلافة عن ما كان ظالماً لعدم اللزوم بين النبي وبين الخليفـة وان كان النبي خليفة لان بينهما عمـوم وخصوص مطلقاً فالخليفة اعم ووجود العام لايستلزم وجود الخاص بخلاف العكس فتبين انه لايجوز الاسـتدلال عـلى نفى الخلافة لغـير المعصوم بهذه الآية فضـلا عن نفيهـا عـن أبي بكر الصديق وباقى الصحابة والجواب السـابع ان العهد قد ذكرنا ماهو المراد منه في الاية وان كان هو من الالفاظ المشتركة فكذلك الظلم فانه أيضاً من الالفاظ

والملطافة بحيث ان القرينة الشفافة مثلاً أكثر من الرطوبة الزجاجية التى تحتها وهذه أكثر من الرطوبة المائية الموجودة داخل العين فبسبب هذا التفاوت يرتد النور النافذ فى العين الى لونه الاصلي لكي يدرك البصر حقيقة المبصرات بناء على ان النور من طبيعته انه متى نفذ فى أجسام متفاوتة القوام بعد ان يغيره الانعكاس لابد له من الرجوع الى حالته الطبيعية فلولا وجود حكمة كهذه فى تركيب العين لما أمكنها ان ترى لوناً على حقيقته خامساً ان العين قد يعرض لها أشياء كثيرة من المرئيات على حالة توجد بها غير جلية المنظر وبما أنها حسب وظيفتها ينبغي لها ان تجتلي كل مايخضع لادراكها فقد وجد لها مايعينها على تتميم تلك الوظيفة وهو جسم بلورى عدمي الشكل يسمى بالرطوبة البلورية موضوع خلف القزحية وضعا عموديا ومرتبط بعضلة دقيقة جداً تدعى الشعرية فهذه العضلة تجر ذلك الجسم الى الوراء حينما تضغط على العين العضلات المحركة لها عند ارسال النظر الى ماهو غير جلي كما نرى فى من يقطب حاجبيه عندما يرسل نظراً حادا الى منظور غير واضح فتقع حينئذ نقطة اجتماع النور فى محل موافق لاستجلاء الجسم الخاضع لسلطان النظر اذ يطول محور العين بسبب خفض تلك العضلات فيتضح للبصر بسبب ذلك لم يكن واضحاً سادساً ان الاحساس بالشى لا يتم الا بواسطة المجموع العصبي

المشتركة اما ان العهد من الالفاظ المشتركة فبقوله تعالى الم اعهد اليكم يابنى آدم فان العهد ههنا ليس بمعنى النبوة واما الثاني ثابت بقوله تعالى عن لسان يونس عليه السلام قال سبحانك اني كنت من الظالمين فان الظلم ههنا ليس بمعنى الشرك كما في الآية فانه بمعناه فاذا تحقق ان الظلم بمعنى الشرك فلا يجوز نفى الخلافة عن أبى بكر الصديق لعدم شركه بدليل ما ذكره المؤرخون وغيرهم بان ابا بكر الصديق لم يسجد الى صنم ولم يعبد غير الله جل جلاله ولنرجع النظر الى قولهم ان النبي قال لعلي كرم الله وجهه أنت الخليفة من بعدي ونقول ان هذا الحديث ليس بصحيح من وجوه الاول بعد وفاة رسول الله اجتمع الناس تحت سقيفة بنى ساعدة فتحاوروا في امر

ولهذا وجد للعين شبكة يقال لها العنكبوتية منسوجة من خيوط عصبية تفرعت من العصب البصري الذي يسمى بالزوج الثاني للمخ متخللة نسيجاً مصلياً وهذه الشبكة توجد موشحة للسطح القطبي من داخل العين ووظيفتها ان تنقل صور المبصرات بواسطة خاصتها العصبية الى المخ حيثما يتم الاحساس أخيراً يوجد للعين حوافظ كثيرة لدفع المضرات عنها بما انها عضو لطيف ومهم للغاية فهي أولا محفوظة ضمن صندوق متين من العظم يعرف بالحجاج ثانياً مسدول على جزئها الظاهر أجفان كالاستار خاضعة جدا لسلطان الدماغ فهي تخفق على العين دائما لدفع لذع الهواء بما انه يوجد في غشائها الملتحم من الرطوبة وتجعل بذلك الخفوق فترات لتأثير النور الدائم سقوطه عليها ثم ترد عنها مفاجأة المؤثرات ثالثاً يوجد لهذه الاجفان اهداب من الشعر لاجل تلطيف النور بتشربها اياه ولاجل منع دخول الاجسام الغريبة السابحة في الهواء رابعاً يوجد في زواياها غدد صغيرة تفرز سائلا يسمى بالدمع لاجل ان تغسل به سطحها مما يلامسه من الغبار الهوائي ويوجد قناة لمجرى الدموع في الجفن السفلي مستطرقة الى قناة آخرى العظم الانفي فمتى تممت هذه الدموع وظيفتها تجري بتلك القناة نافذة من الانف ثم انه ما يقدم للفيسيولوجي كثيراً من الدلائل على ما نحن بصدده هو تركيب عضو السمع أيضاً أعني به الاذن

الخلافة ووقع بينهم الاختلاف وقال المهاجرون والانصار منا خليفة ومنكم خليفة ولو كان هذا الحديث مقولا في علي كرم الله وجهه لوجب عليه الاستدلال عليهم كما استدل عليهم أبو بكر الصديق حين اختلافهم فسلموا له الامر وبايعوه بلا توقف فلو كان الرسول ذاكراً هذا الحديث لسلموا له بلا توقف وهو أولى بذلك فلا يجوز ان يقال ان هذا الحديث ذكره رسول الله ولو سلم صحة الحديث قلنا ان المراد من البعدية ليس البعدية بلا انفصال بل البعدية الانفصالية أي بعد الخلفاء الراشدين وأي دليل يدل على ان المراد من البعدية البعدية بلا انفصال فان ضعف هذا الحديث قال به جماعة من روات الامامية أيضاً ولو صلح استدل به علي كرم الله وجهه

فان هذا العضو قد جمع من أدلة كهذه بما فيه من بيان القصد ماهو ليس بأقل من عضو البصر ولسياق التكلم فى هذا الموضوع لامانع اذا أشرنا اليه قائلين أولا ان الاذن تستدعى بحسب وظيفتها وجود جسم خارج ذي تجاويف مختلفه لكي تجمع التموجات الهوائية الآتية بالصوت ويكسرها عند شدتها ولهذا الاستدعاء نفسه وجد لها جسم كهذا على طبق المراد وهو المسمى بالصيوان عند المشرحين ثانيا ينبغي ان يكون الهواء الآتي الى الاذن بالصوت حاداً ليكون مؤثراً على قدر ماتستلزم وظيفة السمع ولهذا الامر فتح لها قناة خارجية يقال لها الصماخ وهي من شأنها ان تجمع الهواء جمعاً حاداً عند مروره بها ثالثاً يجب ان ينتهي هذا الصماخ بغشاء لدن لكي يفعل فيه الهواء عند دخوله من تلك القناة المذكورة راجا اياه حسبما تقتضي شريعة اللدونة بناء على انه لايسوغ للهواء ان يفعل رأساً على العصب السمعى ولهذا الوجوب وجد غشاء كهذا سادا الصماخ المذكور وهو المسمى بغشاء الطبله وبما ان هذا الغشاء معرض دائما لتراكم الاجسام الغريبة عليه من الخارج وجد لمنع هذا التراكم مادة تسمى بالصماخ وهى تفرز من الغدد الصغيرة الموجودة فى الامتداد الجلدي المتبطن جدران القناة الصماخية فان هذه المادة تخطف برطوبتها كل ذرة غريبة وجدت فى الهواء الداخل الى الاذن رابعاً ان الجسم لايمكنه ان يلبث قائماً

واحتجاج الامامية بقوله تعالى والسابقون السابقون أولئك المقربون بان علي سبق الناس في الايمان فهو مقرب فيلزم ان يكون اماماً أقول ان الجواب عنه من وجوه الاول ان المراد من قوله تعالى والسابقون اي المخلصون الذين سبقوا الى مادعاهم الله اليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله تعالى وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنة ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر فى حداثة سنة ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال أقول قد تبين من تفسير الآية على ماذكره الكشاف انه ليس المراد بمن أسلم أولا فهو سابق فلا تكون

على وضعه الميكانيكي اذا لم يكن جذب الهواء المحيط به ودفعه متساويين من كل جانب وبما ان غشاء الطبلة المذكورة هو جسم موضوع فى منتهي القناة الصماخية وضعا ميكانيكياً على شكل عمودى يجب ان يكون ذلك الجذب والدفع على درجة متساوية من جهتيه الامام والخلف وبناء على ذلك وجد خلف الغشاء المذكور تجويف يقال له صندوق الطبلة وهو ممتلي دائما من الهواء الداخل اليه من الفم باستطراق يسمى بوق أو سنا كبوس فبامتلاء هذا التجويف على ماذكر تحصل تلك التسوية فيرتفع الضرر ثم يوجد فائدة أخرى من أمر البوق المذكور وهى انه بواسطة دخول الهواء اليه حاملا الصوت يساعد فى قيام وظيفة السمع عند مايثقل . خامساً يوجد بعد تجويف الصندوق المقدم شرحه تجويف آخر ضيق يقال له الدهليز ويفصل بينهما غشاء يسمى بالغشاء الاهليلجي للاذن ووظيفته كوظيفة ذاك الغشاء المذكور آنفاً وهذا الدهليز ممتلي من سائل زيتي القوام سادساً يوجد بعد الدهليز المذكور محل يدعى القيه عبارة عن صعوبة تأليفه وفيه توجد دقائق أدوات السمع فيشاهد فى هذا المحل قنوات هلالية الشكل ممتلئة من نفس المادة الدهليزية المذكورة الا انها ممزوجة برواسب كلية لم تعرف الى الآن فائدتها وعلى هذه القنوات توجد فروع العصب السمعي مبسوطة ثم يشاهد أيضاً جسم دوري يشاكل

الاية شاملة لعلي كرم الله وجهه الجواب الثاني انه نسلم ان المراد من السابقية السابقة في الاسلام لكن لا نسلم ان السابقية بالاسلام والايمان تستلزم الخلافة لانه لو كان من لا تدبر له في أمور الخلافة وليس واقفاً على الشرائع اول من أسلم فلا يصح ان يكون خليفة مع ان الآية صادقة عليه ولا يقال ان الآية صادقة عليه ويقتضى ان يكون خليفة بالآية الا انه منع مانع وهو عدم وقوفه لانا نقول الذي جعله مصداقاً للآية هو علام الغيوب جل جلاله ومعلوم انه ما جعل مصداقاً لهذه الآية الا لان يكون اماماً وخليفة فكيف هو يعنيه ونحن نمنعه ولا يقال بان صدق الآية لا تكون على من لا تدبر له في الخلافة لانا نقول أولية ما لا تدبر له فى السلام ممكن ليس بمحال حتى يستلزم

صدفة الحلزونة تقريباً وعليه أيضاً توجد فروع من العصب المذكور دائرة فاذا لاحظنا كيفية السمع بهذه الآلة السامية نري حينئذ وظائف هذا المحل المدعويتها فحينما يدخل الهواء من القناة السمعية حاداً يرج غشاء الطبلة وهذا الغشاء بارتجاجه يفعل على الهواء الموجود فى تجويف الطبلة فيرتج الغشاء الآخر الفاصل بينه وبين الدهليز وهذا الارتجاج يفعل على السائل الموجود ضمن الدهليز فيتموج وبتموجه يتموج أيضاً السائل المودوع ضمن القنوات الهلالية بما انه متصل به فتتأثر حينئذ الفروع العصبية المبسوطة هناك يفعل تلك الارتجاجات والتموجات فينتقل هذا التأثير الى الدماغ بواسطة العصب فيحصل الاحساس بالصوت حالا على أقل من لمح البصر ثم قد ظهر لدى الفيسيولوجين ان جهة مجيء الصوت تعرف من تلك القنوات الهلالية وان تمييز الالحان عن بعضها كالعشيران عن البيان والعراق عن الاوج والاصفهان عن الحجاز يعرف بذلك الجسم الحار وفي فها قد بسطنا بعض قضايا مما يتعلق بالاتقان الحيواني مأخوذة من الانسان اعتناه به عما سواه بما انه الافضل فعساها ان تكون لنا أدلة قاطعة وبراهين راهنة على وجوب وجوده عظيم يستحق العبادة ساع فى نظام هذا العالم وتدهره بناء على ذلك لا يمكن ان يوجد مصنوع بغير صانع ولا أثر بغير مؤثر وانه من المستحيل عند العقل ان تكون تلك العوالم التي

محالا وذكر المؤرخون ان اول من أسلم خديجة وقال بعض المؤرخين أول من أسلم ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه الثالث ان الآية صريحة بان السابقون في جنات النعيم فان الجار والمجرور لا شك في انه متعلق بقوله تعالى والسابقون فلو كان المراد من السابقون ان اول من أسلم في جنات النعيم لزم انه من أسلم بعد علي ليس في جنات النعيم وذلك باطل ولا يقال ان ما قررتموه يدل على ان في الآية أداة حصر وليس كذلك لانا نقول اذا لم يحمل سوق الآية على تقدير ان يراد من الآية السابقية في السلام على هذا المعنى فلا يكون لذكر الآية في هذا الباب معنى لانه يكون التقدير حينئذ السابق في السلامية فى الجنة وهذا اخبار بما هو متحقق فتبين ان الآية ليست دالة على

قد سبق الكلام عليها قدوجدت على سبيل الاتفاق والصدفة مع مايوجه بها من الادلة المشيرة الى وجود غايةٍ وقصد بصناعتها فهي تستدعي القوة الحاكمة للانسان لامحالة الى ان تحكم على الفور بوجود قدرة الهية قد قامت بتهذيب تلك الكائنات وترتيبها بما لايسع العقل ادراكه قالت الحكماء ان النور هو حركة هذه المادة الاثيريه الساريه فى جميع الكون يفهم من تعريفهم ان النور حادث لانه حصل من حركة الاثير الذي كان ساكناً ويتحرك بواسطة تأثير الكواكب فيهتز ويتموج بفعلها فيه أقول لايخلو من ان تكون الكواكب متقدمة عليه أولافان لم تكن متقدمة عليه لزم ان يفعل المتأخر في المتقدم الوجود وذلك محال وتحصيل للحاصل أو لم يكن متقدماً فلا يخلو اما ان يكون فى زمان واحد بدون تقدم أحدهما على الآخر أولا بل أحدهما مقدم على الآخر فان كانا فى زمان واحد أيضاً يلزم المحال وتحصيل الحاصل فان كان أحدهما مقدم والآخر مؤخر فى الوجود لزم حدوث أحدهما اما حدوث الاثير أو حدوث الكواكب فان قلتم بحدوث الكواكب قلنا من أوجدها ومن أودع فيها التأثير حتى أثرت فى الاثير فليس بعيد منكم ان تقولوا ان الاثير هو الذي أوجد فيها هذا التأثير لانكم قلتم ان الاثير هو الموجد للعالم كيف لاتقولون ان الاثير هو الذي دفع هذه القوة فى الكواكب وان كان هذا كلام من من

الخلافة وانها لا تكون دليلا على الامامة مطلقاً وليس المراد من السابقين فى السلام ذهب الامامية الى ان اجماع الامة ليس بحجة مالم يعاضده قول المعصوم وان الامامة لا يصح ان تكون بالاجماع لان الامام يكون منصوباً من قبل الله ورسوله لانه يبين الشرائع والاحكام فلا يصح ان يكون بالاجماع ولو كان للزم وقوع الفتن وهى تنافي الخلافة لان الخلافة فعلية لقطعها فلو صار سبباً لها لتناقض وان القضاء لا يصح بالاجماع فكيف يصح ما هو أعظم منه وان الاجماع لايمكن ان ينعقد في حق واحد من الناس ويكون اماماً الا بعد علمهم بانه أفضل الموجودين وأعلمهم بالشرائع والاحكام وذلك محال لتفاوت علم الناس ولذلك وقع الخلاف حين بيعت أبى بكر الصديق أقول ان

يناقض بنفسه فى آنٍ واحد ألف مرة ويرد على قولكم ان الكواكب تؤثر فيه الاهتزاز أقول ان هذا الاهتزاز هو من مقتضى طبيعة الاثير أم لا فان كان من مقتضى طبيعة الاثير فيجب الاهتزاز بدون محرك وتأثير من الكواكب بناء على قاعدة ان مقتضى الطبيعة لايتخلف وان لم يكن هذا الاهتزاز طبيعياً لاشك يكون اما قسريا أو ارادياً والثاني ممنوع والاول ثابت فالمتحرك بالحركة القسريه كيف يمكنه ان ينظم هذا العالم ويرد عليهم أيضاً ان الاهتزاز لايكون الافى الجسم مع تخلل الهوى فالهواء أيضاً قديم يكون عندكم مع انه مسبوق بالعدم لانكم قلتم ان الاثير بعد ماأثرت فيه الكواكب فهو مسبوق بالعدم قبل تأثير الكواكب اما سبقا ذاتياً أو سبقا زمانياً فاي ماكان فهو حادث ويرد على قولهم ان الاثير حصل النور بواسطة حركته فهو منافي لقولهم ان النور من لوازم الكواكب فان أردتم ان النور ليس بحاصل الا بواسطة اهتزاز الاثير قلنا لكم لزم ان تكون الكواكب قبل اهتزاز الاثير مظلمة فليلزم انفكاك اللازم من الملزوم وذلك باطل ويلزم بطلان قولكم ان ذات الشمس منيرة ولا يدفع لهذا الايراد ان تقدم الشمس على الاهتزاز ليس تقدما زمانيا بل تقدما ذاتيا لان ذات النور أيضاً مقدمة على الاهتزاز والا للزم ان جرم الشمس ليس

الاجماع حجة وذلك ثابت من وجوه الاول ان اتفاق الآراء على مسألة واحدة لا بد في ذلك الامر حصول الصواب لان الآراء دائماً فيها الاختلاف فى الامور النظرية وفي بعض البديهيات فاتفاق الناس على مادة واحدة دليل على ان ذلك الامر بديهى واضح لا يشك فيه احد فيكون حجة والا لما كان في الاتفاق والمشورة نفع لانه حينئذ بمنزلة قول الواحد وهو باطل لان التجربة والبداهة شاهدة بان في المشورة والاتفاق منفعة ليست بحاصلة حال التفرد فى الرأي والكلام وان الاخبار شاهدة لتواترها فى مسائل كثيرة العدد حين ما وقع بين الصحابة الاختلاف فاجتمعوا يلتمسوا الحق فوقع بينهم المحاورات والكلام الطويل حتى وقفوا على الحق ولو كان الاجماع

بمنبر بل مظلم وهو محال ويرد على قولهم ان الاثير هو الاصل الذى يجمع المواد الاربع غير قابلة للوزن في مادة واحدة وهو النور فيلزم ان يكون النور قبل الاهتزاز خالياً من هذه المواد وهو باطل على مذهبكم ويرد أيضاً ان الاهتزاز حركة قرنيه لانها حصلت من تأثير الشمس فحصل الاهتزاز اللازم للحركة وكل حركة لابد من انتهائها الى محرك غير متحرك والا للزم التسلسل المحال وانتهاء الحركة أمر ضروري ويرد على قول الدهريين ان هذا العالم حصل من تفاعل العناصر بعضها في بعض أقول ان الحركة تستلزم الحدوث والانتهاء الى محرك غير متحرك كما ذكره الحكماء وأيضاً يرد على قولهم انه حصل من تركيب عناصره ان التركيب علامة الحدوث لان احتياج بعض الاجزاء الى الآخر وهو دليل الامكان وهو يقتضي الحدوث لان الواجب وجود ما كان الاحتياج مرفوعاً عنه ويرد أيضاً ان التركيب هل كانت له قبلية أم لا فان لم تكن له قبلية بل كانت العناصر في الازل مركب بعضها مع بعض حصل التناقض في قولكم ان المواد ليس بمركبة فى الازل بل التركيب حصل بعد ذلك وان كان التركيب له قبلية كما هو مذهبكم فانه حادث فيكون المصدر الاول حادثا لان العالم حصل من تفاعل التركيب قد قلتم بقدمه فهو خلف وان أثبتم له القدم الزماني فهو لا ينافى الحدوث الذاتى ولو كابرتم وقلتم ان

ليس بحجة لما احتاجوا اليه وأيضا لو كان الاجماع ليس بحجة لما أمر الله رسوله في المشورة مع انه معصوم وقد ذكر الامامية ان الوفق على مسألة لا يمكن فتبين انهم لو وفقوا على مسألة واجتمعوا على ذلك يقتضى ان يكون حجة وكيف يتصور يسلم جماعة من أهل الحل والعقد لمسألة واتفاقهم عليها مع انهم يتماطلون بالدليل وانتقالات الذهن ويستدل بقوله تعالى ومن يبتغى غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى وهذه الآية دليل قاطع على حجية الاجماع وهو قد انعقد في أبي بكر الصديق ولم يتخلف عنه علي كرم الله وجهه والدليل على عدم تخلفه انه مع كونه شجاعاً والحسن والحسين سبطى رسول الله ولداه فلم ينازع ابا بكر ولو أراد نزاعه لملت من

المواد فى عالم الازل كانت حاصلة قلنا ان التركيب هو اجتماع الاجزاء بعضها مع بعض فهو أما لازم ذاتى أو لازم لامر آخر فان كان الاول عدم انفكاك المواد الاربع وذلك ظاهر البطلان لانا كثيراً مانحلل بعض المواد ولم نجد فيها كل العناصر فاذا العناصر ليست بمجتمعة بل متفرقة ولو كانت ذا تركيب لما كان عنصر النهار وحده والهواء والماء والتراب ثم انكم قلتم ان الحرارة والمغنطيسيه والكهربائيه كلها من الاثير فيرد على قولكم هذا ان الحرارة يلزم ان لاتكون موجودة مع النور الذي هو لازم للكواكب التى أثبتنا انها مقدمة على الاثير فيلزم حينئذ مناقضة بين قولكم هذا وبين قولكم انه بين النور والحرارة بحيث لايجوز انفكاك كل منها عن الآخر فان قلتم ان الحرارة لازم للنور لابد وان نقول بتقدمها على الاثير فلا يصح قولكم انها من أجزاء الاثير وان قلتم بهذه تحققت المناقضة التي ذكرتها ولا أقول لكم أكثر من انكم أناس ضالون قال الماديون ان القديم أمران أحدهما المادة والاخرى الحركة والماده هى الاثير وهو هيولي فى البسط والقوة هى الحركه المتماثلة فى الاجزاء الفردة بالذات المتخالفة بالاعتبار وهي الصورة والحركة ليس لها سبب الا نفسها والحاصل ان مبنى اعتقادهم على ثلاثة مقدمات الاولى هي قدم المادة وقدم حركة اجزائها الفردة وانهما متلازمتان القضية الثانية

الخيول الوديان لان فاطمة زوجته وهى بادنى اشارت تجمع الناس عليها مع ان العباس كرم الله وجهه قال لعلي امدد يدك ابايعك حتى يقال بايع علي عم رسول الله ابن عمه وبايعه الزبير فلو كان المراد منازعة أبابكر الصديق لنازعه أشد من منازعة معاوية لانه في زمان معاوية ما كان من يعينه مثل ذلك الزمان وقد نازع معاوية على الخلافة لعلمه بانه احق بذلك وان علي كرم الله وجهه لو لم يعلم ان أبا بكر احق في الخلافة ولم يداعيه وينازعه فيها فحينئذ لايكون معصوماً لان عدم المنازعة يلزم منها الخطى وهو ينافي العصمة وقد شرطوها في الخلافة فيلزم عدم الحكم في خلافة علي لعدم عصمته ومن المعلوم ان عليا لو كان أحق في الخلافة وترك النزاع مع أبي بكر لكان تاركا لكثير من حقوق

القول بحدوث تنوعات المادة من سماويات وارضيات لاسيما الانواع الحيوانية والنباتية بناء على اكتشافات الحاصلة لطبقات الارض لزمهم القول بالحدوث القضية الثالثة انهم قالوا قد حدثت عنها بواسطة حركة اجزائها الملازمة لها من الازل على وجه الضرورة بمقتضى النواميس التي كشفوها ولم يكن للمادة ولا لحركتها اختيار فى ذلك ولا ارادة أقول ان أصل جميع المواد هو الاثير وانه قبل اهتزازه ماحدث في عالم الكون شيئاً وهذه المقدمة مسلمة عندهم وانما الكون انما حصل من اهتزاز الاثير واهتزاز الاثير انما حصل من تأثير الشمس فذلك مذهبهم فحوانا ان نقول لهم كيف كانت الشمس من امتزاج المواد وكيف حصلت في عالم الوجود فان قلتم انها حصلت من المواد قلنا لكم ان الاثير قبل الشمس لا اهتزاز له وانتم قلتم انه قبل الاهتزاز ماكان فى عالم الوجود شيئاً ابداً فكيف قلتم بوجود الكواكب من المواد ثم نقول لكم ان الحركة لقد اثبتنا انها حادثة وانه لا حركة بدون محرك والآن نثبت حدوث الحركة من جهة أخرى ونقول انها اما لازم من لوازم المادة واما انها بنفسها أمر مستقل ولا يجوز ان تكون الحركة بنفسها أمراً مستقلا لانكم قلتم ان الحركة قائمة بالمادة وليس لها وجود الا بها واذا كان وجود المادة موقوفاً عليه لوجود الحركة كانت الحركة وجودها

المسلمين وذلك لايجوز والجواب ان ولاية أبو بكر الصديق الخلافة في صدر المسلمين فلو نازعه علي في الخلافة لوقع في صدر المسلمين التنازع واختل النظام وفات الدين ولا يليق ان يتكلم به فضلا من ان يكون عالماً فاضلا لان وقوع النزاع في صدر المسلمين لايكون سبباً موجباً لفوات الدين بعد ما عهد الله بقاءه الى آخر الدنيا وبقاء العالم فلا يترك الحق ولو كان وقوع النزاع يوجب فوات الدين لفات في زمان معاوية ولا يفيد الجواب بان الدين صار حينئذ قويا والامر محكما وقد ذكر الامامية في أبي بكر مطاعن منها انه منع فاطمة الارث وهى كانت مستحقة له بنص الآية وهو قوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف وهى ادعت الارث وقد منعها ومنعه الارث مع دعواها له

ليس من ذاتها وكلما كان وجوده ليس من ذاته بل بغيره فهو محتاج في وجوده وكل محتاج ممكن وكل ممكن حادث ونثبت ان الحركة حادثة الا انه لكم ان نقول ان المادة علة لوجود الحركة فوجودها يقتضى الحركة فانها من حيث المادة قديمة نعم ذلك مسلم الا انه يلزم ان تكون الحركة من حيث هي هي حادثة ومن حيث المادة قديمة وذلك لاينافى القول بان الحركة حادثة بالذات وأيضاً انكم تدعون التلازم بين المادة وبين المادة والحس والتجربة نكذب ذلك لما نرى ان المواد من حيث هي هي ساكنة ولو تحركت فانما تتحرك بالحركة القسرية والحركة القسرية لاشك بان لها مبدأ وانتهاء فتكون حادثة والمادة متى ماخالطها عدة عناصر بين الجامد والسائل سميت مادة زلالية لها قوة الاغتذاء والانقسام والتوليد والمراد من المادة الزلاليه المكون الاول وبانقسامها تكونت الخليات التي تتركب منها الاجسام العضوية وحدث بتجمعها ابسط الحيوانات وابسط النباتات وما الحياة الا ظاهر من ظواهر تفاعل تلك العناصر وامتزاجها الكيماوى وليس للحيوان روح سوى حياته هذا مذهب الماديين أقول انه من القواعد المطبق عليها عند الماديين انه لاتتصف بالصورة الا بعد استعدادها لتلك الصورة والاستعداد لا يحصل الا بالتغير فهو اما فى جوهر المادة أو من اعراضه والتغير في جوهر المادة يقتضى الحدوث لانه من القضايا المسلمة ان

تكذيب ورد لما وهو لايجوز من وجوه الاول ان تكذيب آل البيت غير جائز لانه رجس وقد قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وقد كذبها الثانى ان فاطمة لايجوز رد دعواها لانه يلزم ان يكون دعواها باطلة وهو نسبة الكذب الى آل البيت وذلك غير جائز الثالث ان النص صريح بان فاطمة مستحقة للارث وقد منعت منه فيلزم غصب حق أهل البيت وذلك لايجوز الجواب من وجوه الاول ان منع أهل البيت ليس بتكذيب لهم لعدم الملازمة بين المنع والتكذيب فلا يلزم من منعهم التكذيب سواء قيل في عصمتهم أم لا بيان ذلك ان الرسول منع من امور فلو كان المنع يستلزم التكذيب لما جاز منع الرسول الثاني ان فاطمة منعت من الارث بناء

أمارت الحدوث هو التغير والتغير فى الاعراض يستلزم التغير فى الجواهر وهو الحدوث ولو سلمنا ان التكون حصل من امتزاج العناصر فالبداهة تكذبنا لانه يقال حينئذ ان الامتزاج الذي تولد هذا العوالم لم لا تتولد منه الآن عوالم قطعا فلو قال ان ذلك الامتزاج المولد لقد تبدل وتحول عن حالته الالى فنقول لهم من الذي حوله من حاله وفرق ذلك الامتزاج والامر الطبيعي لا يتغير ولا يتبدل كما فى حركة الافلاك ولا يصح قولهم مرور الزمان غير ذلك الامتزاج وتبدل تلك الحركة بعد قولهم الحركة الطبيعية دائمة الحركة ويرد على قولهم ان العالم كله معلول للمكون الاول وهو المادة الزلالية فيلزم قدم جميع العالم لان العلة تدور مع المعلول فقدمها يستلزم قدمه والجواب بان المادة الزلالية لا تكون علة الا بعد استكمال الشروط التي بها يوجد العالم وما استكملت الشروط الا بعد مضى زمان طويل فذلك الذي أوجب ان يكون العالم حادثاً نعم لو سلم ان الشروط التي بها تكون المادة الزلالية موجودة للعالم وهي احد أجزاء المادة الذي تسمونها مصدر العالم فيلزم حدوثها لان القديم الذي وجوده من ذاته لا يحتاج للغير فلو أحتاج الى غيره لزم حدوثه أقول ان الانسان هو حيوان تحلي بحلية الادراك الذي به تميز عن سائر الحيوانات فالادراك المطلق الشامل للفطريات

على ماورد بقوله عليه السلام نحن معاشر الانبياء لانورث ماتركناه صدقة هذا وان كان خبر واحد الا انه حجة لابى بكر الصديق حاكما بما سمعه من الرسول فيكون حجة له وذكرت الامامية في مطاعن أبى بكر الصديق ان النبي لم يوله على شئ وذلك دليل على نفى الاهلية للخلافة وان النبي ولى له في حال حياته وحيث بعثه الى مكة ليقرأ سورة براءة على أهلها في موسم الحج ثم عزله باتباعه عليا قال لا يبلغ عنى الا رجل منى ولم يره أهلا لتبليغ ذلك فكيف يكون لتبليغ الاحكام وخليفة في العالم الجواب من وجوه أولا لانسلم انه لم يول على شئ لان النبي ولاه بامره على الحج سنة تسع من الهجرة بعد فتح مكة في رمضان سنة ثمانين

وأمر بالصلاة بالناس في مرضه الذي توفي فيه وقول بانه عزله كذب ويستدل على عدم عزله انه سئل علي عن خلافة ابي بكر وكيفيته لقرينه فقال اختاره رسول الله لديننا فاخترناه لديننا وذلك ثابت عقلا ونقلا اما ان أبابكر الصديق تعين للصلاة فسلم بالاتفاق منا ومنكم واما انه عزل فعندنا ممنوع وعند الامامية واقع ويستشهد على عدم وقوعه ان النبي لم يأمره بالصلاة الا لعلمه بانه أحق من غيره فعينه لما هو أعظم المطالب وهي الامامة واذا عزل من الصلاة يلزم اما تعين واحد من الصحابة أو ترك الجماعة أو ان النبي بنفسه صار اماماً وكل الشقوق باطلة اذ ذلك لم ينقل في التواريخ ولا في السير فتبين ان أبابكر الصديق صلى في الناس ولو سلم

وغيرها يشترك به الحيوان والانسان لان الحيوان يدرك الامور أيضاً كما نشاهد كثيراً من الحيوانات تطلب الماء عطشا وتهرب من عدوها وتألف الى من يسقيها ويطعمها وقابلة للتعليم فلا بد وان يفرق بين الانسان والحيوان بان للانسان والحيوان قوة الا ان قوة الادراك الذي في الانسان وهو استخراج المجهولات النظرية بواسطة المعلومات ولنكشف لك الحقيقة بان نقول وبالله التوفيق ان الانسان عالم بالامور الفطرية يدركه من أول الوهلة من غير نظر وسوق مقدمات وتكثير انتظاره وكذلك الحيوان الا ان الانسان يدرك بعض ماغاب عن الحس ويقتنص معان كلية نظرية بمقدمات ضرورية وليس الحيوان كذلك فتبين ان نوع البشر ممتاز عن غيره من الحيوانات فاذا هو أشرف الموجودات لان مدار الشرف على التميز الذي به ارتفع شأن الانسان عنها وانقادت اليه ليسوقه الى أي أمر شاء ولما كان في أوان خلقته قوة تميز ليس لها بناء على ما اقتضا مجرى حكم الحكيم ترجحه على غيره فتشرف لان يكون مخاطباً وذلك انما نشأ له من قوة مميزة يدرك بها الامور النظرية ويقتدر على ادراك معان لم يكن في عالم الحس لها وجود وقال رب الارباب ولقد كرمنا بني آدم وقال أيضاً لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وقد بين بعض العلماء في تفسير هذه الآية وجوها أحدها ان الانسان مخلوق

على نمط عجيب لم يكن غيره أبدع منه والثاني انه في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه والثالث ماقاله ابن سينا بكون الانسان مخلوقاً في أحسن تقويم انه حين خلقته من حيث فطرته على أحسن تقويم بان جعل له قوة عاقلة بها يميز الضروريات من النظريات ويعرف طرق الاكتساب الثاني من الاول وهذا الذي جعل الانسان رفيع القدر حتى جاء لميدان التشرف بخطاب علم الانسان مالم يعلم وبلغه المقام السني من التكريم بخطاب علم الانسان مالم يعلم حتى استحق بان يكون تكريمه من جانب الحق جلاوعلا بقوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم ونعمة العقل لايقاس بها مثلا وانما أعطاها اليه لتتجلى بها الخفايا من مكنون الاسرار ولئلا يضيع البعض حقوق البعض لان البشر لما كان فيه الميل الى الشر وهو يقتضي انخرام الهيئة المجتمعة فوهب الله له عقلا ليكون بذلك مدركا للامور الغريبة فيحافظ به حقوقه لانه لابد ان يقع بينهم الشرور والمنازعات فتخرم هذا الاجتماع والعقل لايعني بدفع ذلك مالم يكن ناموس وشرع يرفع مجاوزة الحقوق من البين وينظم الهيئة المجتمعة على نظام يحصل به ماهو المطلوب وذلك موقوف على دفع الشرور عن الطبايع وتهذيبها بحيث لايجب الانسان لابحسب طبعه مجاوز الحقوق ومهاجمته بالشرور فجائت النواميس من زمان آدم الى زمان نبينا محمد عليه الصلاة والسلام

انه هزل فلابد ان الذي صلى في الناس رسول الله وذلك لاينافي ان رسول الله لما رآه أهلا وأحق في الصلاة بعده عينه وبعد رفع المانع أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى بالناس وذلك لاينافي نصب أبي بكر الصديق وترجيحه على جميع الصحابة واستدل الامامية على تعين علي للخلافة بما رواه أبو سعيد مسعود ابن ناصر السجستاني واتفق عليه مسلم في صحيحه وأحمد ابن حنبل في مسنده من عدة طرق باسانيد متصلة الى ابن عباس والى عائشة قالا لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع نزل الجحفة فأتاه جبريل فأنزل الله تعالى ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك الآية فلما كان يوم غدير خم قام فحمد الله

مفصلا بها مايقتضيه الاجتماع على مقتضى ذلك الزمان لان لكل زمان مقتضى ولكل أوان عقول فالناموس يقتضى ان يكون على ذلك المسرى ويكون فيه خطاب منبه على محافظة الحقوق ومن المعلوم لديك أيها الخبير ان النواميس لابد لها من انتهاء لان تغيرها اذا كان على حسب الزمان والاستعداد فاذا كان الزمان زمان الترقي والعقول قابلة لدرك الحقائق فحينئذ لابد ان يلاحظ فى الناموس تربية نوع البشر من حيث انه نوع بشر لا يلاحظ الاستعداد الخاطر فالشرع الوارد على هذا الترتيب لايمكن ان يتغير وذلك الناموس لابد وان يكون من الله تعالى فلا بد من اثبات وجود الله أولا للخصم الجاحد ثم الكلام في الشرع واثبات انه من الله تعالى ﴿فصل﴾ فى اثبات وحدة الله تعالى جل جلاله قال بعض المحققين فالله أصله الاله حذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ثم جعل علما لذات واجب الوجود الخالق لكل شئ ومن زعم انه اسم لمفهوم الواجب لذاته أو المستحق للعبودية قال انه كلى انحصر في فرد فلا يكون علما لان مفهوم العلم جزئي فقد سهى الا يرى ان قول لااله الا الله كلمة توحيد بالاتفاق من غير ان يتوقف على اعتبار عهد فلو كان الله أسما لمفهوم المعبود من حيث هو يحتمل الكثرة لما صح وأيضاً فالمراد بالاله في هذه الكلمة اما المعبود بالحق فيلزم استثناء الشئ من نفسه أو مطلق المعبود فيلزم الكذب

وأثنى عليه قال الستم تقولون اني أولى بكم من أنفسكم قالوا بلا يارسول الله قال عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعادي من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وأنصر من نصره وأخذل من أخذله وأعز من أعزه وأعن من أعانه قال ابن عباس وجبت والله في اعناق ثم ذكر رواية أخرى للسجستاني مثل ذلك وعن ابن صاغ المالكى انه روى فى كتاب الفضول انه لما نزلت هذه الآية وهى قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم ورضيت لكم الاسلام ديناً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ورضى الرب برسالتى والولاية لعلي ابن أبي طالب وان

لكثرة المعبودات الباطلة فيجب ان يكون بمعنى الاله بمعنى المعبود بحق والله علم للفرد الموجود منه والمعنى لامستحق للعبودية في الوجود أو موجود الا الفرد الذي هو خالق العالم هذا معنى قول الكشاف ان الله مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره بالفرد الموجود الذي يعبد بالحق تعالى وتقدس ومن هذا الحصر تبين ان الله تعالى موجود واحد لاشريك له فلا بد قبل الخوض في البراهين المثبت له تعالى من البحث عن وجوده أقول ان الوجود تصوره بديهي لانا نتصور الوجود فتصوره اما بالبداهة أو بالكسب اذ لا واسطة بينهما والثاني ممتنع فتعين الاول لانه لو كان كسبياً لكان اما بالحد أو بالرسم واللازم باطل لان الوجود بسيط لانه لو كان مركباً لكان جزء فجزئه اما موجود أو معدوم وكل منهما محال اما الاول فلامتناع التركب الشئ من الموصوف بنفسه وأما الثاني فلامتناع تركب من الموصوف بنقيضه والا يلزم ان يكون نقيض الشئ جزأ له فلا يكون مركباً فيكون بسيطاً فلا يحد ولا يرسم لان الرسم انما يكون بما هو أعرف منه ولا شئ أعرف من الموجود وان كان شئ أعرف من الوجود فالرسم لا يعرف كنه حقيقة الشئ وعلى الوجه الذي قرر اندفع الاعتراض بانه لا يلزم من امتناع تعريف الشئ بداهته ولقائل ان يقول الا تم ان أجزاء الوجود اذا كان موجودا يلزم ان يكون الوجود

حسان ابن ثابت قل يا رسول الله أتأذن لي ان أقول أبياتا في علي فقال قل على بركة الله فقال يامعشر قريش اسمعوا شهادة النبي صلى الله عليه وسلم بناديهم يوم الغدير نبيهم بخم واسمع بالنبي مناديا يقول فمن مولاكم وولكم فقالوا ولم يبدوا هناك التفاديا الهك مولانا وأنت نبينا ولن نجدن منا لك اليوم عاصياً فقال له قم ياعلي فانني رضيتك من بعدي اماماً وهادياً هنالك دعا اللهم وال من واليته وكن للذي عادى عليا معاديا وحديث من كنت مولاه فعلي مولاه مما شاع وذاع ثم قال ان الله أنزل بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فقد

جزأ نفسه وانما يلزم ان يكون الوجود جزأ من الموجود اذا كان اعتبار الموجود مع الوجود بالجزئية وهو ممنوع فان الموجود هو شئ له الوجود واعتبار الوجود معه بالعروض فلا يلزم ان يكون الوجود جزأ نفسه لا يقال حينئذ يلزم ان يكون ما فرضنا جزأ للوجود معروضاً له وهو الممنوع لانا نقول لا امتناع في كون جزء الشئ معروضاً له واعتبر الناطق بالنسبة الى الانسان فانه اذا قيل الناطق انسان يكون قضيته صادقة لان كلا من المساويين يصدق على الآخر فان الانسان المحمول على الناطق لا يكون تمام حقيقة ولا داخلا في حقيقة الناطق فيكون خارجا لازماً وكل محمول خارج لازم عارض والموضوع معروض له واعلم ان الحق ان تصور الوجود بديهي ولا شئ أعرف من الوجود فان ما يعلم فانما يعلم بالوجود ولا يعلم الوجود بشئ أعرف منه وقولنا تصور الوجود بديهي قضية بديهية فان الحكم فيها لا يتوقف الا على تصور الطرفين والبديهي لازم لتصور الوجود فلا يحتاج في اثباته لتصور الوجود الى وسط بل يكفي فيه تصور الطرفين لكن قد يشكل على بعض الاذهان الجزم بالنسبة الواقعة بين طرفي التصديق البديهي لعدم تصور طرفيه على الوجه الذي يتوقف عليه الجزم فان الوهم يزاحم العقل في ادراك المعقولات فلا يقع تصور طرفي التصديق البديهي كما هو حقه فيحتاج الى تنبيه فما يذكر لبيانه انما

أمرني جبريل عن ربي ان أقول ان أخي ووصي وخليفتي في أمتي والامام بعدي فسألت جبريل ان يستعفي من ربي لعلمي بقلة المتقين وكثرة المؤذين لي بملازمتي لعلي وشدة اقبالي عليه حتى سموني أذنا فقال تعالى الذين يؤذون ويقولون هو أذن قل اذن خير لكم أقول في الجواب ان اصل الحديث من كنت مولاه فعلي مولاه بهذا اللفظ فقط وروي الزهري وغيره ذلك مع زيادة اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وجميع ذلك لا دليل فيه على خلافة علي لما سيأتي ورواه أيضاً الامام أحمد وغيره كذلك واما مسلم فلم يخرجه في صحيحه واتفق عليه مسلم في صحيحه كذب مفتري ولم يذكر أحد من المحدثين نزول هذه الآية في هذا الحديث وما ذكره الواحدي في

هو لتنبه النفس في تصور طرفي التصديق على الوجه الذي يتوقف عليه الجزم لا الى برهان وان كان على صورة البرهان فالمنع والمعارضة لايجري فيه كثر نفع ثم ان الوجود مشترك بين جميع الموجودات عند جمهور المحققين من الحكماء والمتكلمين وخالفهم الشيخ أبو الحسن الاشعري فانه قال وجود كل شئ عين ماهيته ولا اشتراك الا في لفظ الوجود والمختار ماذهب اليه الجمهور واحتج عليه بوجهين أحدهما لو لم يكن الوجود مشتركا لما كان الجزم محققا به مع التردد في كون الشئ جوهراً وعرضاً واللازم باطل فالملزوم مثله ودليل الملازمة انه لو لم يكن الوجود مشتركا لكان مخصصا فيلزم من التردد في الخصوصيات التردد في ذاتياتها المختصة وخواصها فان انتفاء الشئ يستلزم انتفاء ذاتية المختص وانتفاء خاصته فيلزم من التردد في كون الشئ واجبا وجوهراً وعرضا التردد في وجوده وليس كذلك لانا نجزم بوجود الشئ ونتردد في كونه واجباً وعرضاً وجوهراً وبعد ماثبت كونه مشتركا ذهب جمهور المتكلمين الى ان الوجود زائد على الماهيات في الواجب والممكنات خلافا للشيخ أبي الحسن الاشعري مطلقاً أي في الواجب والممكن فانه قال وجود كل شئ عين ماهيته وخلافا للحكماء في الواجب فانهم قالوا وجود الواجب عين ماهيته ووجود الممكنات زائد على ماهيتها أما ان الوجود زائد في الممكنات

كتابه المسمى اسباب النزول فان هذه الآية نزلت في غيره واما ان الحديث لايدل على خلافة علي فان معنى المولا هو الناصر ولا يجوز ان يراد غير ذلك ولو جاز فاما ان يراد معنى المحب او معنى السيد وكل ذلك لايدل على ان علياً خليفة بعدى أولا أي قبل كل الخلفاء بل يدل على ان علياً مستحق للخلافة واما قولهم قد أمرني جبريل عن ربي ان أخي ووصي وخليفتي في أمتي والامام بعدي علي فسألت ربي ان يستعفي من ربي لعلمي بقلة المتقين وكثرة المؤذين لي بلازمتي لعلي وشدة اقبالي عليه حتى سموني اذناً فقال تعالى الذين يؤذون الى آخر الآية أقول هذا كلام مفترى من وجوه الاول قول النبي لجبريل ان يستعفي له من ربه كذب محض من رواي الحديث لانه

استدلوا عليه بثلاثة وجوه الاول انا نتصور الماهيات ونشكر فى وجودها الخارجي والذهني حتى يقوم عليهما البرهان وذلك يقتضى زيادة الوجود على الماهية الثاني الماهية قابلة للوجود والعدم والوجود ليس بقابل لهما لان الشئ غير قابل لنفسه ولنقيضه فلا يكون الوجود نفس الماهية ولا داخلا فيها الثالث ان الماهيات متخالفة والوجود مشترك من حيث المعنى فلا يكون الوجود نفس الماهيات والا يلزم اما اتحاد الماهيات أو تخالف الوجودات ولما فرغنا من بيان الوجود زائد فى الممكنات شرعنا فى ان الوجود زائد فى الواجب واقوى دليل فى بحث زيادة الوجود فى الواجب ان وجود الواجب بديهي معلوم لكل أحد وذاته غير معلومة لاحد فوجوده غير ذاته وذلك معارض بان الوجود المطلق المشترك معلوم لكل أحد وليس وجود الخارجي بمعلوم ونحن ندعي ان وجود الخارجي عينه وذهب الحكماء بان وجوده تعالى عينه اذ لو زاد لاحتاج الى معروضه فاحتاج الى سبب مقارن فيتقدم ذاته بالوجود على وجوده ويلزم التسلسل أو مباين فيكون ممكناً واجيب بان العلة المقارنة لا يجب تقدمها بالوجود فان ماهية الممكنات علة قابلة لوجوداتها وأجزاء الماهية علة لقوامها مع ان تقدمها ليس بالوجود والحق ان الوجود زائد فى الواجب والممكن والمقصد من مباحث الوجود وكونه زائداً أو عيناً

يدل على ان النبى راغب في كتم الحق الثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تأخذه فى دين الله لومة لائم فكيف يجوز ان يقال انه قال لعلمى بقلة المتقين وكثرة المؤذين وان النبى لم يزل لاظهار كلمة الحق يسوق الجيوش ويكثر بالحرب والضرب وأيضاً ان لعلمى بقلة المتقين يدل على ان النبى لم يطرد المنافقين من عنده وقد نزلت الآيات المتعددة في طردهم وفي ذمهم فكيف يجوز للرسول ان لا يطردهم من عنده فلا بد ان النبى ما قاله بل هو أمر مفترى وعلى من افتراه ما يستحقه من الله وان قوله استعفنى من ربي يدل على ان الرسول المحترم قال لجبريل ان يستعفيه وذلك كلام بينه وبين جبريل فمن أين ظهر هذا الخبر والمحاورة لان الحديث ليس فيه استدلال الان جبريل قال لرسول الله ورسول الله أجابه بهذا

الدخول على وجه فيما هو المطلوب أوضح وأبين ولا تطلب تحقيق كون الوجود زائداً أو عينا من هذا الكتاب لانه ليس معمولا له بل أطلبه من شرح المواقف والمقاصد وغير ذلك أقول الشيء قد يكون معلولا باعتبار ماهيته وحقيقته وقد يكون معلولا فى وجوه كما فى المثلث فانه من حيث حقيقته معلولا بالسطح والخط اللذان هما مقومان له ومن حيث وجوده فقد يتعلق به علة أخرى أيضاً غير هذه العلة وهي علة الفاعلية والغائية فتبين لك فرق بين الشيء ووجوده ويظهر ذلك فى المثلث فانك قد تفهم معنى المثلث وتشك هل هو موجود أم لا بعد ماتمثل عندك انه خط وسطح ولم يتمثل لك انه موجود فى الاعيان واعلم ان المعلولات تنقسم الى مالا مادة له ولا صورة والى ماله مادة وصورة والقسم الاول ينسم الى مايوجد في موضوع والى مالا يوجد فيه والاول يحتاج فى وجوده الى علة توجده والى موضوع يقبله والثاني يحتاج الى علة توجده فقط والشيخ لم يتعرض لذكر هذا القسم اذ لم يكن له علل الماهية والقسم الثاني وهو المعلول المركب من المادة والصورة والشيخ خص البحث به والعلة الغائية التي لاجلها الشيء علة بماهيتها ومعناها لعليته العلة الفاعلية ومعلولة لها في وجودها فان العلة الفاعلية مالوجودها ان كانت من الغايات التي تحدث بالفعل وليس علة لعليتها ولا لمعناها والمعلولات

الجواب وذلك ان كان قائما كان بينه وبين جبريل فمن أين سمعه حتى يرويه ولو سمع فلا معنى للاستعفاء فضلا من ان هذا أمر لا يليق بالرسول وان راوى هذا الحديث ليس مراده الا الطعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لو أجاب المفتري وقال ان جبريل عليه السلام جاء على رسول الله وأمره ان يقول ومحمد صلى الله عليه وسلم أراد الاعراض عن هذه المقالة فلم يفد ذلك شيئاً فكرر الامر عليه وأراد اعلانه فبخبر رسول الله للمقالة فقال وذكر لعلمى واستعفاء تأكيداً للمطلوب لزاد على ذلك الاعتراض غيره وهو ان رسول الله كان عالماً بان الدين يحتاج بعده الى خليفة أم غير عالم والثاني باطل فيلزم ان يكون عالما واذا كان عالماً وقد تبين له وتعين ما هو أحق من قبل الرب جل جلاله

تنقسم الى مبدع والى محدث على ماسيأتي بيانه والغاية في القسم الاول يوجد مقارنة لوجود المعلول بماهيتها ووجودها معا وفى القسم الثاني يوجد متاخرة بوجودها عنه وان كانت متقدمة بماهيتها عليه والعلة لايمكن ان تكون متاخرة عن معلولها فاذن وجود الغاية فى هذا القسم لايكون عليه بل ربما يكون معلولا للمعلول بوجه والعلة انما يكون هي ماهيتها المتقدمة وعليتها تكون بان يجعل الفاعل فاعلا بالفعل فهي علة لفاعلية الفاعل والفاعل يكون علة لصيرورة تلك الماهية موجودة فماهية الغاية تكون علة لعلة وجودها مطلقاً بل على بعض الوجود فلا يلزم من ذلك دور ثم ان كانت علة الاولى لايمكن ان يكون صورة لوجوب تقدم الفاعل عليها اما بالاطلاق واما فى صيرورتها مادة فى الفعل ولاغاية لوجوب تقدم سائر العلل بالوجوب فاذن ان كان فى الوجود علة أولى فهي علة فاعلية لكل وجود معلول ولكل صورة أو مادة هما علتان لتحقق أي معلول كان في الوجود كل وجود اذا التفت اليه من حيث ذاته من غير التفات الى غيره فاما ان يكون بحيث يجب له الوجود فى نفسه أولا يكون فان وجب فهو الحق بذات الواجب وجوده من ذاته وهو القيوم وان لم يجب لم يجز ان يقال انه ممتنع بذاته بعدما فرض موجوداً بل ان قرن باعتبار ذاته شرط مثل شرط عدم علية صار ممتنعا أو مثل شرط وجود علته صار واجبا وان لم تقترن

فيلزم على الرسول ان يبين الخليفة الاحق وأيضاً ان الاحق في الخلافة من يتمكن الى تمهيد دين الله ونشره وتكثير أهله الذين يتفكرون في آيات الله ونحن نشاهد ذلك متحقق في أبي بكر الصديق فينبغي ان يكون أحق بها وأيضاً لو فرضنا انه ما ورد حديث وآية في تعين خليفة وأريد منا الحكم بالاحق بالخلافة من هو فلا بد وان ننظر الى الآثار وان امر الدين باي زمن من الزمان انتشر حتى بلغ المشرق والمغرب ثم نحكم بالاحق بالخلافة وهذا الوقوف لايكون الا من السير والتواريخ وقد ذكر ان القرآن المجيد اجتمع وانتشر في زمن أبي بكر الصديق والفتوحات العظيمة جرت على يده والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين تمت

بها شرط لاحصول علة ولا عدمها بقوله في ذاته الامر الثالث وهو الامكان فيكون باعتبار ذاته الشئ الذي لايجب ولا يمتنع فكل موجود أما واجب الوجود بذاته أو ممكن الوجود بحسب ذاته ثم ان الممكن أما ان يحتاج ذاته في ان يكون موجوداً الى غيرها أو لايحتاج والثاني باطل لاستحالة ترجيح أحد الشيئين المتساويين من غير مرجح فاذن الاول حق واذا ثبت ان الممكن محتاج الى الغير فذلك الغير أما واجب أو ممكن فان كان واجباً ثبت المطلوب والا فاما ان يتسلسل ذلك الى غير النهاية فيكون كل واحد من آحاد السلسلة ممكناً في ذاته والجملة متعلقة بها فيكون غير واجبة أيضاً ويجب بغيرها ولنزيد هذا بياناً ان واجب الوجود لذا وتقرير الكلام بعد ثبوت احتياج الممكن الى الغير ان ذلك الغير أما واجب وأما ممكن والكلام في ذلك الممكن كالكلام في الاول فاما ان ينتهي الى واجب أو يدور الاحتياج أو يتسلسل الى غير النهاية وان سلسلة الممكنات على تقدير وجودها محتاجة الى شئ خارج عنها يجب هي به فالخارج ان كان من الممكنات لو تسلسلت لم يكن لها بد من شئ يحتاج اليه جملة تلك الاحاد الممكنة وكل واحد منها مغاير لها ولآحادها وجب ان يكون خارجاً عنها وان لايكون ممكناً اذ لو كان ممكناً لكان منها فاذن هو واجب وقال أيضاً هذا موقوف على بيان ان السبب لايجوز ان يكون متقدماً بالزمان على المسبب اذ لو جاز ذلك لما امتنع استناد كل ممكن الى آخر قبله لا الى أول وذلك عندهم جائز أما اذا ثبت ان السبب لابد من وجوده مع المسبب فحينئذ لو حصل التسلسل لكانت الاسباب والمسببات معا وكان البيان مستقيما وأيضاً كل جملة كل واحد منها معلول فانها تقتضي علة خارجة عن آحادها يعني ان

سلسلة الممكنات على تقدير وجودها محتاجة الى شئ خارج عنها على وجه البسط فجعل الداعي أعم ماخذا بان حكم على كل جملة سواء كانت متناهية أو غير متناهية بشرط ان يكون كل واحد منها معلولا بالاحتياج الى شئ خارج وذلك لانها أما ان لا يقتضى علة أصلا فيكون واجبة غير ممكنة وكيف يتأتي هذا وانما وجب بآحادها وتقرير البرهان بالقسمة الى قسمين أحدهما ماذكره وأوضح فساده والقسم الآخر وهو ان يقتضى علة تنقسم الى ثلاثة أقسام لان علة الجمله أما ان تكون كل الآحاد أو بعضها أو شيئاً خارجا عنها وأما ان يقتضى علة هى الاحاد باسرها فيكو معلولة لذاتها فان تلك والجملة والكل شئ واحد فليس يجب به الجملة بيان فساد القسم هو ان كل الاحاد أما ان يراد به الجملة أو يراد به كل واحد والاول باطل لان نفس الشيء لايكون علة لها والثاني باطل لان علة الشئ يجب ان يكون مقتضية له ووجود كل واحد من الآحاد ليس بمقتضى للجملة واعلم ان حصول الجملة من أجزائه يكون على ثلاثة أنواع أحدها ان لايحصل عند اجتماع الاجزاء شئ غير الاجتماع كالعشرة الحاصلة من آحادها والثاني ان يحصل هناك مع الاجتماع هيئة أو وضع مامتعلقة بالاجتماع كشكل البيت الحاصل من اجتماع الجدران والسقف والثالث ان يحصل هناك بعد الاجتماع شيء آخر هو مبدأ فعل واستعداد كالمزاج الحاصل بعد تركيب الاستقساط والحاصل فى الاول هو شئ فقط والثاني هو شئ لشئ مع شئ وفى الثالث هو شئ مع شئ واما ان يقتضى علة هى بعض الآحاد وليس بعض الآحاد أولى بذلك من بعض اذ كان كل واحد منها معلولا لان علته أولى بذلك يعني ان كل واحد من الجملة لما كان معلولا فلم

يكن بعض الآحاد بالعلية أولى لان كل بعض يفرض علة فالبعض الذي هو علة ذلك البعض أولى منه بالعلية واما ان يقتضى علة خارجية عن الاحاد وكلها وهو الباقي وفساد الاقسام المذكورة دل على صحة هذا القسم ثم كل علة هي غير شئ من آحادها فهي علة أولا لآحادها للجملة والا فليكن غير محتاجة اليها فالجملة اذا تمت بآحادها لم يحتج والا فليكن غير محتاجة اليها فالجملة اذا تمت بآحادها لم يحتج اليها بل ربما كان شئ ماعلة لبعض الآحاد دون بعض فلم يكن علة للجملة على الاطلاق لما ثبت ان كل جملة معلولات يفرض فهي محتاجة الى علة خارجة ثم ان العلة الخارجة ان كانت علة لتلك الجملة على الاطلاق كانت أولا علة لواحد واحد من الاحاد وبينها بالخلف ففرض كل واحد من الآحاد غير محتاج ولزم من ذلك كون الكل غير محتاج اليها هذا خلف أو بعض الآحاد غير محتاج اليها وذكر ان هذا الفرض ممكن الوقوع بخلاف الاول الا انه يلزم منه ان لايكون علة الجملة علة لها على الاطلاق قال العلامة لما كان امتناع كون بعض الآحاد علة للجملة انما يتبين بان يقال بعض الآحاد ليس بعلة لجميع الآحاد لانه ليس علة لنفسه ولا لعلله وكل ماليس علة لجميع الآحاد ليس بعلة للجملة على الاطلاق ثم كل سلسلة مترتبة من علل ومعلولات كانت متناهية أوغير متناهية فلا يخلو اما ان لايكون مشتملا على علة أو يكون مشتملا عليها والقسم الاول

يقتضى احتياجها الى علة خارجة عنها هى طرف لها لامحال ولا يمكن ان يكون تلك الخارجة أيضاً معلولة لان سلسلة المفروضه تامة بل يكون قطعة من سلسلة تامة والكلام فى جملة السلسلة والقسم الثاني يقتضى اشتماله على طرف فعلى التقديرين لابد من طرف والطرف واجب

كما مر فاذا كل سلسله ينتهي الى واجب الوجود بذاته وهو المطلوب ثم ان الاشياء قد تختلف بالاعيان كهذا الشخص وذلك الشخص وقد لا يختلف باعيان بل اما بالاعتبار كالعاقل والمعقول أو بغير ذلك والمختلفة بالاعيان قد يتفق في أمر مقوم كزيد وعمرو في الانسانية وقد يتفق في أمر عارض كهذا الجوهر وذلك العرض في الوجود فالمختلفة عيان المتفقة فى أمر مقوم يشتمل لامحالة على أمرين قد اجتمعا فيه أحدهما مايختلف به والثاني مايتفق فيه واجتماعهما لايخلو اما ان يكون مع امتناع انفكاك من احد الجانبين اولا يكون والاول هو الملزوم والثاني هو العروض واللزوم لايخلو اما ان يكون من جانب مابه الاتفاق ووجود هذا القسم ليس بمنكر وهو كالحيوان اللازم للناطق والاعجم فى الانسان وغيره من الحيوانات واما ان يكون من جانب مابه الاختلاف وهو محال لامتناع كون الحيوان ناطقا واعجما معاً هذا اذا كان ما به الاختلاف اشياء كثيرة كما فرض فى الكتاب اما اذا كان شيئاً واحداً وكان لازماً للجزء المقوم الذي به يكون الاتفاق لو جاز التكثر كان المركب منهما شخصاً واحداً لاغير فيكون نوعه من شخصه واما العروض فلا يخلو أيضاً اما ان يكون مابه الاتفاق عارضاً لما به الاختلاف ووجوده أيضاً ليس بمنكر وهو كالجود العارضى لهذا الجوهر وذلك العرض عند اطلاق هذا الموجود وذلك الموجود عليهما فان الموجود مقوم لهما من حيث هما موجودان وعارض لذاتهما المختلفتين بالكلية وبالعكس ووجوده أيضاً ليس بمنكر وهو كالانسانية المفروضة لهذا وذلك عند اطلاق هذا الانسان وذلك الانسان عليهما فان الانسانية مقومة لهما وهى معروضة لما اختلفا به من الشخصية قال ابن سينا قد يجوز ان يكون ماهية

الشئ سبباً لصفة من صفاته وان يكون صفة له سببا لصفة أخرى مثل الفصل للخاصة ولكن لايجوز ان يكون الصفة التى هى الوجود للشئ انما هى سبب ماهية التى ليست هي الوجود أو لسبب صفة أخرى لان السبب منقدم فى الوجود قبل الوجود قال الشارح هذه مقدمة أخرى لمسئلة التوحيد ومثال كون ماهية الشئ التى سبباً لصفة من صفاته كون الاثنينية سبباً لزوجية الاثنين ومثال كون صفة ماهي الفصل سبباً لصفة أخرى هي الخاصة كون الناطقية سبباً للمتعجبة ومثال كون صفة ماهي الخاصة سبب لصفة هي خاصة أخرى كون المتعجبة سبباً للضاحكية ومثال كون صفة ما هي العرض سبباً لصفة أخرى مثلها كون اتصاف الجسم باللون سبباً لكونه مرتباً والفرق بين الوجود وبين سائر الصفات ههنا ان سائر الصفات انما يوجد السبب الماهية والماهية يوجد بسبب وأيضاً أقول ان حقائق الموجودات لازال فى تغير وتبدل وذلك التبدل اما ان يكون من ذات الشئ أو من غيره ولا يجوز ان يكون من ذات الشئ أو من غيره لان ما بالذات ان كان علة فلا يخلو اما ان يكون علة من حيث الذات أو هو علة باعتبار طريان استعداده وتبدله والاول لايتخلف والثانى لابد ان يكون بسبب خارج فالكلام على ذلك الخارج اما ان يكون ممكنا أو واجبا فان كان الاول لزم التسلسل وهو باطل من وجوه فيقتضى ان يكون الثاني فثبت المطلوب ويدل على مانقول ويشهد بان الله واحد التامل الصادق لانه يظهر صدق ماقلنا وهو ان البقعة الواحدة اذا سقط فيها حبة بر انبتت سنبلة برة أوحبة شعير انبتت سنبلة شعيرة ويستحيل ان يقال ان اجزاء الارضية والمائية يتحرك بذاتها وينفذ فى جوهر البرة وتربيه فانه سيظهر ان تحركها عن

مواضعها ليس لذاتها والحركات التى لذاتها معلومة فيجب ان يكون تحركها انما هو لجذب قوى مستكنة فى الحبات جاذبة باذن الله ثم لايخلواما ان يكون فى تلك البقعة اجزاء يصلح لتكون البرة واخرى تصلح لتكون الشعير فان كان الصالح لهما اجزاء واحدة فقد سقطت الضرورة المنسوبة الى المادة ورجع الامر الى الصورة طارية على المادة من مصور يخصها بتلك الصورة ويحركها الى تلك الصورة وانه دائماً أوفى أكثر الامر يفعل ذلك وقد بان ان ما كان كذلك فهو فعل يصدر عن ذات الامر متوجهاً اليه اما دائم فلا يعاق أو أكثري فيعاق وهذا هو مرادنا بالغاية فى الامور الطبيعية وان كانت الاجزاء مختلفة فالمناسبة مابين القوة التى فى البرة وبين تلك المادة مايجذب تلك المادة بعينها ويحركها الى حيز مخصوص فى الدوام أو الا كثر تكسبها صورة مافيكون أيضاً القوة التى فى البرة تحرك بذاتها هذه المادة الى تلك الصورة من الجوهر والكيف والشكل والاين ولا يكون ذلك لضرورة المادة وان كان لابد من ان يكون المادة على تلك الصفة لينقل الى تلك الصورة فلنعنى ان طباع المادة صالحة لهذه الصور أو غير قابلة لغيرها مثلا لابد من ان يكون انتقالها الى حيث يكسب هذه الصورة بعد مالم يكن لها ليس لضرورة فيها بل عن سبب آخر يحركها اليها فيحصل لها ماهي صالحة لقبوله أو لايصلح لقبول غيره فيستبين من هذا كله ان تحريكات الطبيعية لاتكون الا على سبيل قصد ومن هذا يتبين ان الطبيعة لاحكم لها وان الموجد هو الله وحده لاشريك له وأيضاً مما يشهد على ان الله تعالى واحد كرة الشمس والارض لان تأثر الحرارة

من الشمس الى الارض واحد مع اختلاف المؤثر وان كرة الارض كل نقطة منها يختلف بالانبات فلو كانت النباتات يحصل منها لما كان التخالف موجوداً فان قيل بعض البذر الساقط فى بعض النقط من الارض يخالفه طبعه طبع الارض فلا يحصل الانبات كما انه لو رميت حبة نواة فى أرض باردة لم يحصل منها نخلة لانه لابد من التوافق بين الارض والحبة قلت انه تبين من هذا ان سبب الانبات قوتان الارض وطبيعة البذر فحينئذ لو زرعنا مايكون مغايراً وضداً الى ذلك البذر فيقتضى عدم انباته وما نشاهده بخلاف ذلك فلا بد من الحكم بان الموجد هو الله تعالى وحده لاشريك له وأيضاً ان البشر له فى نظر التربية حالتان الحالة الاولى تكميل نفسه والثانية منعه من المجاسرة والمداخلة في حقوق غيره فان الحالة الثانية ولو كانت داخلة في الاولى ومعدودة منها الا انه فى نظر التربية لها معاملة غير معاملة الاولى والدليل على ان للبشر حالتين بنظر التربية انه لو يمنع الانسان من المجاسرة لاختل النظام ولولا تكميل النفوس بالمعارف والكمال لصار العالم فى بحر التعطيل يموج وبسبب ذلك ان الجهل يمنع الانسان من السعادة الا ان تكميل النفوس لايحصل الا بعد تغليب القوة العقلية التي هى مرشد على دواعي الجسمانيات التي هي تفرد الانسان الى الشر وذلك مسلم وتهذيب النفوس موقوف على رسول يثبت ذلك بمقدمات وأمور خفية على أهل العقول السليمة لانها قبل تهذيبه ميالة للشر بلاشك ولا تعرف كيفية التدبير وترتيب القانون لانها فى عالم النقصان لعدم وجود المعرفة والعلوم فلو كانت هي منظمة لزم التكمل بامر ناقص وهو محال فاحتاج الى وجود مكمل النفوس وانما هو الله اذ ذلك لايجوز ان يكون

لبشر لانه ناقص لعدم الوقوف على الحقائق والدقائق الا بعد الممارسة فى الامور والتجاريب لما نشاهد ان الانسان لا يكون عارفاً فى أمر من الامور الا بعد وجود معلم فاحتاج العالم الى معلم يكمل حقائقهم وذلك لا يتم الا بالشرع فذلك المعلم هو الرسول الداعي الى الله بلسان الحقيقة فيبلغ الناس الشرايع والاحكام الآلهية ليحصل تهذيب الاخلاق التي لولاها لما كان البشر بشراً فتبين مما سقناه انه لابد من وجود اله في الكون وشريعة ومعلم وأيضاً أقول ان العالم لا يتقوم حاله ولا يتم نظامه الا بنواميس ولا بد وان تكون تلك النواميس مشتملة على أوامر ونواهي والاوامر تنقسم على قسمين منها مايراد به خدمة نوع البشر والهيئة المجتمعة ومنها مايراد به خدمة الفرد المعين وينبغي ان يترتب على امتثال تلك الاوامر المكافآت حتى تشتاق النفس العمل فيها لان كثيرا من الاوامر ماهو شاق عليه فامتثاله بدون تعلق العلم بما يترتب عليه من المكافات يزيد على مابه من المشقة لا يمكن للبشر العمل مطلقا لانا نراه راغبا في منافعه وعلى العمل في النواهى المجازات لان النهي ينقسم الى قسمين فمنه ما يكون خادماً للهيئة الاجتماعية غير خادم الى الفرد المعين ومنه مايكون خادماً للفرد المعين وان لم يكن فيه خدمة الى الهيئة الاجتماعية ثم تلك الخدمة منها ما تكون منفعته ظاهرة ومضرته خفية عليه فلا شك ان البشر له رغبة في منافعه التي بحسب علمه فيشق عليه عدم العمل به فلا بد من ناموس مرتب فيه الجزاء ووقوعه عليه عند العمل ليحترز من القبيح ويميل الى الصالح ثم ذلك الترتب لا يتم الا بعد علم النفوس بان هذا المنهي عنه والمأمور به من الله جل جلاله المطلع على السرائر فحينئذ يكون ذلك الناموس حاكما على الطبيعة وحكمه

على الطبيعة يؤثر فيها وهو يستلزم الاحتراز ولو عند التمكن منه واما لو علمت النفوس انه من غير الله تعالى وتعلم ان العمل فيه له منفعة فلا شك انه عند وجود التمكن وعند عدم اطلاع من يشيع الخبر تكون عاملة به فذلك لايحصل به التأثر فى النفوس بل يحصل به الامتثال بحسب الظاهر ومادام الرقيب وقديحصل فيه العمل به مع وجوده ان امكن اسكاته فالبشر بهذا الوضع والترتيب لاتحصل له التربية فى نفس الامر وان امتنع من الاقدام على فعل فانما هو لمانع والافهو بحسب حبه وميله للفعل يريد الاشتغال به وهو بهذا لايكون صالحاً ولا الهيئة الاجتماعية طيبة لانه مادام كل فرد من افراده لايخلو قلبه عن الفساد والميل اليه فالفساد حاصل تقديراً فأصل الاصلاح والمحافظة موقوف على وضع حب الخير فى قلب البشر وجعله ميالا اليه وذلك لايكون الا بعد تهذيب الاخلاق وتطبع على ان يرجح القوة الروحانية على القوة الجسمانية وجعله خادماً اليه وحصول هذا موقوف على وجود معلم هو الرسول يبلغ الاحكام ويبين ان الله يعلم ويحشر الناس فيسوق الصالح الى جنات عدن والفاسد الى الجحيم ويبين حال الجنة وحال الجحيم ثم نرجع الى أصل الكلام ونقول ان الامر لايكون الا فى الشئ الحسن لذاته والحسن قسمان حسن بالنظر الى ذات الشخص وحسن لا يعود الى ذات الشخص بل حسنه يعود الى الهيئة الاجتماعية لكن ينبغي ان يكون الحسن عائداً الى الطرفين فى نفس الامر والا فالحسن الذي لاوجود له فى نفس الامر بل قبحه ثابت فيه فلا يجوز الامر به والقبيح بحسب الظاهر الحسن فى نفس الامر لا يجوز ان ينهي عنه بل يأمر به وهذا لايكون الا بعد الاحاطة بجميع الافراد

الواقعة من أول الدنيا الى آخرها لان الحسن النفس الامري والقبيح فيه لايكون معلوماً للانسان الا بعد الوقوف على افراد المأمور به والمنهي عنه وذلك محال لانه موقوف على التجربة وهي لاتتم الا بعد ان يعيش عمراً لانهاية له وهو غير واقع ولوعاش كيف الوقوف على هذه الامور حتى يستخرج منها ماهو صالح فى نفس الامر أوضده فلا بد وان يحكم بان الناموس المتكفل بالتربية يكون من قبيل حكيم عليم لاتخفى عليه خافية هو الله جل جلاله وأيضاً ان البشر لما كان محباً ومألوفاً بما يدركه وان العقول متفاوتة بالذكاء وضده وان الربع المسكون من كرة الارض لكثرة جسامته وتغير هوائه ومائه وتبدل احواله فكل يميل الى عادة ونظام ومعلوم ان الانسان لايحكم على شئ حتى يعلمه والعلم بجميع أحوال الربع المسكون من العالم للبشر محال واذا امكن فترتيب ناموس كافل بالاحوال محال لان الناموس المرتب لايكون الا بالنظر الى زمانه واذا مضى قرن وترقت الافكار فيسعى تغيره ولا يمكن ادراك غيرماوقف عليه فكيف ينظم ناموساً يكون كافلا بتربية جميع العالم والاقاليم اذ ذاك لايكون حاصلا الامن قبل الخالق وذلك لايتم الا بتبليغ رسول من جنس العوالم لان الانسان يأخذ العلوم من ابناء جنسه لاغير لان نفس البشر الناقصة ليست بمقتدرة على الاستفادة التامة الا ممن هو من نوعها وذلك ثابت بالمشاهدة ثم ذلك التلقي والانقياد يكون بعد تسليم ان الله واحد وبيان الحشر والميعاد وترتب العقاب والثواب مؤثراً فى النفوس وحاكما على الطبيعة فالذي فى نفسه هذه الامور راسخة وعنده المحبة التامة الى خالقه يتبعد عن عمل السوء أو مايخالف الشرع فانه لايعمله الا ومغلوبا للقوة الجسمانية لان الانسان

له حالتان روحانية وجسمانية فاذا أخذ بالروحانيات وخدمه صارت القوة الجسمية مقهورة له فحينئذ يكون مظهرا للخير واذا أخذ بخدمة الجسمانيات صارت القوة الروحانية مقهورة لها فيكون مظهراً للشر وان كان عالما بترتب العقاب لانها تأخذها الى عالمه حتى تطمس على قلبه فالانسان لا يكون كاملا مالم يكون خادماً للروحانيات لان النفوس اذا علمت مقام الالوهية ومقام الجسمانية فلا شك بعد ماتعلق علمها بهذين العالمين أعرضت عن الثاني وتوجهب الى الاول بالكلية فلو علم الانسان لماذا وجد ومن الذي وجد لاجله لعلم علم يقين انه يجب على نوعي البشر أن يعرض عن خدمة الجسم ويتوجه الى المعارف الالهية التى هي المقصد من ايجاد البشر ولا يعرض عن ذلك المقام وتوجه الى الملك العلام وتبين عنده ان العالم الروحاني هو قطعة من عالم التقديس وان من وفق الوصول الى ذلك العالم انكشف عنه حجاب الظلمة فقام على ساق المسرة ينادي لقد كشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد وأقبل يقول أيها اللاهي بشهوة جسم كثيف ومعرض عن الامر اللطيف لقد بعت الاعلى بالادنى ولم تتعظ بقول الواحد القهار ان الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين لو كنت تعلم ان الخسران مقرون بخدمة الاجسام لاعرضت ولكن الغافلين في خسران عظيم. ويح قوم جاهلين لا يتأملون في قوله تعالى لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون الذين يعلمون المقصد الالهي من ايجاد العالم نكثوا الحيوة الدنيا ورآء ظهورهم وتبذوها واشتغلوا بالروحانيات بكرة وأصيلا ولم تلههم الدنيا اذ عرفوا انها متاع للغرور فاشتغلوا بذكر الملك العلام فتهذبت اخلاقهم فاكثروا النصح بين الانام وشمروا ساعدهم للمواعظ

آناء الليل وأطراف النهار ألم يتلي عليكم قول الله الملك المتعال أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لاترجعون فمن أمعن النظر في كلام الله القديم ووجه قلبه الى الملك العليم طالبا منه الهام الوقوف على حقيقة المعنى علم ماله وما عليه وما به من الحكمة التي أودعت والدقائق التي وضعت في مزايا أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لاترجعون فالآية ناطقة بان المنكر لازال في غلط عن المراد الالهي لان معنى أفحسبتم أفزعمتم والزعم هو ادراك أو تخييل أمر لاوجود له فيكون حاصل الآية أيها المخاطبون لاتتخيلوا أموراً لاأصل لها وهو انكم تتخيلون ان هذا الكون والعالم عبثاً لافائدة في ايجاده وكل من كان هذا شأنه فلا ينبغي ان يحشر اذ كثيراً ماوقع في الاذهان هذا فذكر الله تعالى هذه الآية الشريفة توبيخاً لهم لان المراد بالاستفهام الواقع في الآية التوبيخ والسخرية بعقولهم فيكون مفاد الآية انكم زعمتم ان ايجاد هذا العالم عبثاً ولم تكون لكم عقول تصلون بها الى دقائق الحكمة حتى تصلون بها الى نظام أودعه الحكيم المطلق لتعلموا ان هذا العالم البديع النظام لايمكن ان يصدر الا من حكيم عليم فيلزم جزم يقين بان هذا الحكيم تقدس وتعالى ما اوجد هذا العالم الرصين الترتيب الا لحكمة اقتضته الايجاد فلما ابدع الانسان على هذا النظام المعلوم وهو ان الله اوجده في أحسن تقويم بان جعل له قوة عقلية تستنار به مطالبة التي يتوجه اليها فيأخذ تلك المطالب بنور عقله ولما كانت القوة العقلية تأخذ المعلومات بتوسط الحواس فتتألف الى الامور الحسية أشد تألف وذلك مما لايشك فيها رجل البتة لانه من القضايا المسلمة ان الانسان لايألف الا الاشياء مالم يدركها وان ادراكها مشروط بالحسن فلا شك ان

الامور المحسوسة منها ماتألفه الروح ومنها ماتنفر عنه ولا شك ان العدم منظور الطبائع الى كل من الحيوانات فاذا كانت طبائع كل ذي حس الميل الى البقا والنظر عن العدم وما ذلك الا لعدم وقوفها على انها ستخرج من عالم الى عالم آخر واذا لم يكن لها وقوف على ان البقاء ليس بدائم بل هو مقدمة للانتقال من حياة دنيويه الى حياة برزخيه وذلك لان الحواس ليست جواسيساً للقوة العقلية في هذا المطلوب لانه من الامور العقلية المحضة وهي لاتكون حاصلة الا من قبل الحواس والحواس تنبه العقل اما بمحسوس تعلقت به واما استخرجت من تلك المحسوسات أمورا عقلية والحكم بالحياة البرزخية لانها لم تقف القوة الحسية على مقدمة ضروريه تدل على وجودها فحكمت بعدم وجودها ولذلك قال معظم الفلاسفة وأكبرهم بعدم وجودها لانهم وقفوا على أدلة تجب فناء النفوس من حيث هي هي ولذلك صار الحكم بعدمها فلا بد من وجود بشر له اتصال بعالم التقديس يسمى بلسان أهل الحقائق والشرائع بالرسول حتى يبلغ الاحكام ويوصل الى الاذهان ماقد خفي عليها وهو صالح لنظام الجمعية لتكمل حقائق نوع البشر وتظهر آثار الروحانيات غالبة على الامور الجسمانية حتى ينقطع نزاعه لان العالم الروحاني لانزاع فيه مع غيره بل هو مشغول بالوصول الى الحضرة الالهية وتهذيب الاخلاق الناقصة لعلمه ان البشر لايكون في حقيقة كاملة حتى يصل بتوجهه على النفس الى المقام المقدس ولذلك قال من قال

كمل حقيقتك التي لم تكمل والجسم دعه بالحضيض الاسفل

ثم اعلم وفقك الله فاقول ان في الانسان قوة تباين به سائر الحيوانات وغيره وهو المسماة بالنفس الناطقة وهي موجودة في جميع الناس على الاطلاق

الا انها غير متساويه لان في قواها تفاوتاً في الناس فقوة أولى متهيئة لان تصير صورا لكليات منتزعة عن موادها ليس لها في ذاتها كالنار بالقوة المحرقة وقوة ثانية لها قدرة وملكة على التصور بالصور الكلية لاحتوائها على الآراء المسلمة العامية وهو عقل قام بالقوة أيضاً كقولنا النار لها على الاحراق قوة او قوة ثالثة متصورة بصور الكليات المعقولة بالفعل منتهاء القوتان الماضيتان وخرجتا الى الفعل وهو المسمى بالعقل الفعال وليس وجوده في العقل الهيولائي بالفعل فليس وجوده فيه بالذات فاذا وجوده فيه من موجد هو فيه بالذات به خرج ما كان بالقوة الى الفعل وهو الموسوم بالعقل الكلي والنفس الكلى ونفس العالم واذا كان القبول ممن له القوة المقبولة بالذات على وجهين اما بواسطة وأما بغير واسطة وكذلك اذا وجد القبول من العقل الفعال الكلى على وجهين وأما القبول عنه بلا واسطة فكقبول الآراء العامية وبداية العقول واما القبول بتوسط فكقبول المعقولات الثانية بتوسط الآلات والموادوكالحس الظاهري والحس المشترك والوهم والفكرة واذا كانت النفس الناطقة تقبل كما بينا مرة بتوسط ومرة بغير توسط بالذات فهو فيه بالعرض فهو في آخر بالذات مستفاد وهذا هو العقل الملكي الذي يقبل بغير توسط بالذات ويصير قبوله علة لقبول غيره من القوى وليس اختصاص المعقولات الاول بالقبول بغير توسط الا من جهتين على الاختصار من أجل سهولة قبولها أو من أجل ان القابل ليس يقوي ان يقبل بغير توسط الا ليسهل قبوله ثم رأينا في القابل والمقبول تفاوتا في القوة والضعف والسهولة والعورة وكان محالا لا يتناهي لان النهاية في طرف الضعف ان لا يقبل ولا معقولا واحداً بتوسط ولا بغير توسط والنهاية في القوة هو ان يقبل بغير توسط فيكون

يتناهي في الطرفين وهذا خلف لايمكن وقد بين ان الشئ المركب من معنيين اذا وجد أحد المعنيين مفارقا للثاني وجد الثاني مفارقاله فاذا تحقق في الانسان هذه القوة المتفاوتة علم ان العقل الهيولائي لا يترقى الى تحصيل العلوم واستنباطها الا بالتربية والتحصيل وعلى حسب التربية وما حصل فيها انطبع فيه فلا يمكن ان يتغير الى حالة أخرى الا بعد مشقة عظيمة فكيف يسوغه ان يترتب مايرى البشر فالمربي لابد وان يكون من عليم حكيم وأيضاً ان العقول اذا كانت متفاوتة فلا بد وان تكون مايدركه زيد غير الذي يدركه عمرو وهذا لايقتضي جبر زيد باتباع حكم عمرو وهو يمنع الانقياد بل يجوز لان الناقص الغير المقتدر على منافعه يجب ان يكون تابعاً للكامل لتحصل منافعه ويتم امره بلا منازع فلا يحصل الفساد في النظام واما الشرع الذي يكون من قبل الحكيم العليم مع انه مشتمل على المنافع الظاهرة لكل فرد ممن يعتقد بوجود الله وانه واحد لاشريك له لاتتحقق الا بالقول بان هذا الشرع من الله جاء على يد هذا الرسول صلى الله عليه وسلم ومالت اليه النفوس واتبع احكامه وانقاد اليه كل الانقياد وبقي على هذا التقدير العالم وعلى نمط واحد لايتغير وايضاً ان المرتب للقواعد قد يكون واصلا الى العقل بالملكة والمرتب له قد يكون واصلا الى العقل المستفاد فيكون اتباع الكمال للناقص وهو لايجوز وأيضاً قد يكون المنظم للترتيب واصلا للعقل الهيولائي فكتب ما خطر في باله فيكون اتباع الاكمل للانقص وهو لايجوز والحاصل ان محافظة جمعية البشر لطف من الله ان يرسل لها شرع ورسول والا لبقي العالم فى التعطيل وذلك لوجوه الوجه الاول المرتب قواعد المحافظة لايكون الا من نال شرف التقدم فى الدنيا وذلك مسلم

ولا يلزم من تقدمه ان يكون واصلا فى الكمال المرتبة القصوى كما هو معلوم الوجه الثاني ان وقوع القواعد التى يبلغها الرسول اوقع فى النفوس الوجه الثالث ان النظام والناموس الذي يكون من قبل الحق الى الخلق اتم واحسن ثم اقول ان الانسان اما ذو ملكة أولا والذي له العقل بالملكة اما ان يكون واقفاً على الحقائق وتهذيب النفوس أولا والواقف اما ان يكون مستعداً لان تنطبع فيه صور الشئ أولا والذي ينطبع فيه صورة الشيء اما ان يكون بواسطة الممارسة أو بواسطة الحواس أو بواسطة أصل الاستعداد ياخذ من عالم التقديس فالثالث أفضل واكمل ثم هذا اما ان يكون بواسطة أو غير واسطة والثاني أفضل وهو عند الملل المسمي بالرسول وهذا الذي يتم النظام لانه لا استعداداً غالباً على استعداده حتى يقف على حقائق يحصل بها انتظام الكون ويتم اكثر مما يحصل بتبليغ الرسول فالرسول اذا كان هو اكمل من في الزمان فحينئذ يلزم اتباع الناقص الكامل وهو جائز بل لازم بخلاف ماسبق فالله جلّ جلاله لطف منه ان يوجد في الكون والزمان رجل مخلوق من أول الوهلة زي استعداد وقابلية يأخذ من عالم التقديس الشرائع ليبلغ الاحكام للعالم فلا بد للرسول ان يكون أول تبليغ احكامه وتعليمه مشتملا على التوحيد ومعرفة المعاد لان الاوامر والنواهي لاتكون منفردة فى النفوس مالم يعلم الموجد للعالم هو الله وحده لاشريك له وان الرازق العليم السميع القادر الحكيم فلذلك جائت الانبياء أولا بمعرفة . ذات الواجب الوجود وصفاته ثم بيان المعاد وما يترتب عليه من ثواب وعقاب يترتب على الصالح والفاسق لان الطبيعة البشرية لاتكون مقهورة مالم تصدق بهذه الامور فانها اذا صدقت بها راقبت العقاب

والثواب فتكون مواظبة على الامتثال للاوامر والنواهي وأيضاً انه لما كان مبنى الاوامر والنواهي على معرفة تهذيب الاخلاق لابد من شرع يبين تهذيب الاخلاق ورسول عالم بها لان غير الرسول لايمكن ان يعلم ذلك لان بقاء الشريعة مادام تهذيب الاخلاق فالرسول لازم والشرع يكون من قبل الحق فتبين ان الامر الذي ينظم العالم ينقسم الى قسمين احدهما عايد الى نفس النظام ومحافظة الهيئة المجتمعة والثاني عايد بحسب الظاهر الى نفس الشخص وفي الحقيقة الى نفس الهيئة المجتمعة ثم تهذيب الاخلاق هو تصفية الروح وتنقيحها من الرذائل فاذا صفة الروح اشتغلت فى عالمها لانه كما للحواس الظاهرة لذايذ للحواس الباطنة أيضاً لذايذ وقد اثبت الحكماء ان اللذايذ الباطنة افضل واشرف من اللذايذ الحسية وقالت الصوفية ان الحقائق اذا ماصفيت من الرذايل فالانسان يخبط خبط عشوأ في عالم الشر لايدرى اين يتوجه واذا صفى الانسان روحه من الرذائل وتوجه الى عالم التوحيد خلص من الرذائل واستغني عن الحسيات ورأى لذائذها اقبح مما يكون فى عالم الكون والاشتغال بها معطله اليها كيف ينكر لذايذ الروح بعد العلم بان الجذبة والعشق عن عالم الروح وليس الكلام في اثباتها فلنرجع الى اصل المقصود ونقول انه لابد من تقديم أوامر التي بها يحصل تهذيب الاخلاق على الاوامر التى يحصل بها المعاملات وتقرر الانسان عليها بحيث يكون مراقباً اليها كل المراقبة ثم ذكر المقالات التي بها يحصل ذلك وبيان مايترتب عليها فى الدنيا والآخرة والحكمة تقتضي أن يدعو الناس الى العقايد أولا بالادلة العقلية البرهانية والخطابية أوالجدل ويبذل الجهد فى اسماعها للخصم كل البذل لان الانسان اذا كان له قوة

عقلية ويمكنه درك الحقايق فاذا اقيم اليه الدليل فلا شك انه يسلم حقيقة الدعوى عند ظهور الدليل وامتناعه من التسلم ظاهراً لا يضر اذ هو يسلم اصل المطلوب فى نفسه لكن قد يمتنع من اظهاره لامر جسماني لكن بعض المنصفين يسلمون ظاهراً وباطناً اذا كانوا متمكنين من درك الدليل وكثيراً ممن يصدق الدعوي باطناً ويكذبها ظاهراً أيضاً يرجع الى التصديق والانقياد لامر واذا كان الخصم غير مدرك لحقائق الامور ومعني الدليل لعدم قوة عقلية ولا يرضى بالتربية فيجبر الى قبول الدعوى واذا طلب مايقنعه من المعجزات التى هي أقوى دليلا اذ يمكن ادراكها فيظهر له الحق فلابد من الاتيان بها لان التربية مرادة من تسليم القلب وان لم يرض بالتسليم بعد ذلك فهو غير متصف بحسب اخفاء الحق وكتمه وحينئذ يجبر وان لم يقنع ويرض بمحو وجوده لدفع مايحصل به من الفساد واخلال الهيئة المجتمعة فان المطلوب فى هذا العالم المحافظة للحقوق فنبين مما قررنا أولا ان الناموس الذي يتم به المحافظة يكون مشتملا على امور احدها عقايد دينية والاخرى عملية فالعقايد الدينية تكون باحثة عن ذات واجب الوجود وصفاته بانه عالم قادر قاهر عليم حكيم عزيز مدبر الامور يفعل مايشاء وانه يحشر الناس يوم القيمة والثاني عملية مشتملة على صوم وصلاة وحج وزكاة لانه فى العقايد تحقق المراقبة فتنجبر الطبيعة حتي تعلم انه الصالح لها فتفعل ذلك ميلا اليه ومحبة فحينئذ يكون الحب ملازماً للانسان بعد العمل بالصلاة والزكاة وما يوجب تهذيب الاخلاق الا انه لاتخلو هذه الاوامر من حكمة وان لم يتعلق أمر لاجلها لكن الحكمة فى ذلك المأمور به ملازمة اياها والثالث معاملات من الارث والتجارات وترتب الجزاء على من

يتجاوز الحقوق من السرقة والزناء وشرب الخمر وغير ذلك فتبين لك ايها الاخ الاديب انه في العالم آله وحده لاشريك له وله صفات وان له شريعة ورسول فالآن أوان الشروع بان محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك وان كان ظاهراً لايخفي على ارباب العقول الا انه لابد من اثباته من وجوه منها اتيانه بهذا الشرع المتقن في الاحكام المشمل على نهاية الفصاحة والبلاغة ومنها ان الذين اتبعوه من الرجال القسم الاعظم مع تمكنهم زهدوا في الدنيا ومالوا الى خدمة الشريعة وتهذيب الاخلاق كما هو معلوم من ترجمة الراشدين وغيرهم من الصحابة قبل التمسك بالدين المنير مشتغلين بالشرور والقبايح ولما تشرفوا بالدين المبين الاحمدي تبدت سرائرهم وانقلبت نياتهم من الشر الى الخير وانهم كانوا يحبون هدم الدين فانقلب بغضهم حباً فصاروا في نهاية الدرجة من التوجه الى الله وما ذلك الا لصفاء سريرة مرشدهم واتصاله مع الله فهو أيضاً يدل على انه رسول ومنها أيضاً انه ادعى النبوة بين كثير من الناس ومن يدعي مثل هذا المقام يظهر له حساد فظهرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فباشروا بالجدل معه وسئلوه مايدل على انه رسول فاثبت انه رسول حتى ارضى الحاسد وادخله في دينه وما ذلك الا لانه رسول من الله ولا زال يأمر الناس بالتوحيد وترك عبادة الاصنام ويستدل على بطلانها واثبات الوحدة بوجوه وكذلك استدلت الانبياء منها لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وتقريره انه لو امكن آلهان لامكن بينهما تمانع بان يريد احدهما حركة زيد والاخر سكونه لان كلا منهما في نفسه أمر ممكن وكذا تعلق الارادة بكل منهما اذ لاتضاد بين الارادتين بل بين المرادين وحينئذ اما ان يحصل الامران فيجتمع الضدان والا فيلزم عجز احدهما وهو امارة

الحدوث والامكان لما فيه من شائبة الاحتياج فالتعدد مستلزم لامكان التمانع المستلزم للمحال فيكون محالا وهذا تفصيل مايقال احدهما ان لم يقدر على مخالفة الآخر وبما ذكرنا يندفع مايقال انه يجوز ان يتفق من غير تمانع او ان يكون الممانعة والمخالفة غير ممكن لاستلزامهما المحال او ان يمتنع اجتماع الارادتين كارادة الواحد حركة زيد وسكونه معاً وأما نوح عليه الصلاة والسلام فقد حكى الله عن الكفار قولهم يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ومعلوم ان تلك المجادلة ما كانت تفاصيل الاحكام الشرعية بل كانت فى التوحيد والنبوة فالمجادلة فى نصرة الحق فى هذا العلم هي حرفة الانبياء واما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فالاستقصاء فى شرح أحواله فى هذا الباب مطول وله مقامات أحدها مع نفسه وهو قوله فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لاأحب الآفلين وهذا هو طريقة المتكلمين فى الاستدلال بتغيرها على حدوثها ثم انه تعالى مدحه على ذلك فقال ربي الذي يحيي ويميت فلما لم يكتف فرعون بذلك فطالبه بشيء آخر قال موسى رب المشرق والمغرب وهذا هو الذي قاله ابراهيم ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فهذا يدل على ان التمسك بهذه الآيات حرفة هؤلاء المعصومين وانهم كانوا استفادوها من عقولهم فقد توارثوها من أسلافهم الطاهرين وأما استدلال موسى عليه السلام على النبوة بالمعجزة ففي قوله أولو جئتك بشيء مبين وهذا هو الاستدلال بالمعجزة على الصدق واما محمد عليه السلام واشتغاله بالدلائل على التوحيد والنبوة والمعاد أظهر من أن يحتاج الى التطويل فان القرآن مملوء منه وقد كان عليه السلام مبتلى بجميع فرق الكفار الاول الدهرية الذين كانوا

يقولون ومايهلكنا الا الدهر والله تعالى أبطل قولهم بانواع الدلائل والثاني الذين ينكرون القادر المختار والله تعالى أبطل قولهم بحدوث أنواع النبات وأصناف الحيوانات مع اشتراك الكل فى الطبائع وتأثيرات الافلاك وذلك يدل على وجود القادر والثالث الذين أثبتوا شريكاله وذلك الشريك اما ان يكون علويا أوسفلياً اما الشريك العلوي فمثل من جعل الكواكب مؤثرة فى هذا العالم والله أبطل ذلك بدليل الخليل فى قوله تعالى فلما جن عليه الليل واما شريك السفلى فالنصارى قالوا بآلهية عيسى وعبدة الاوثان قالوا بآلهية الاوثان فالله تعالى اكثر من الدلائل على فساد قولهم الرابع الذين طعنوا فى النبوة وهم فريقان أحدهما الذين طعنوا فى النبوة فى سائر الانبياء وهم الذين حكى الله عنهم انهم قالوا ابعث الله بشراً رسولا والثاني الذين سلموا أصل النبوة وطعنوا فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود والنصارى والقرآن مملو من الرد عليهم ثم ان طعنهم من وجوه تارة بالطعن فى القرآن فأجاب الله بقوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة وتارة بالتماس سائر المعجزات كقوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً وتارة بان القرآن نزل نجما نجما وذلك بطرق التهمة اليه فأجاب الله تعالى بقوله وكذلك لنثبت به فؤادك الخامس الذين نازعوا فى الحشر والنشر فالله تعالى أورد على صحة ذلك فى ابطال قول المنكرين أنواعاً كثيرة من الدلائل السادس الذين طعنوا فى التكليف تارة بانه لافائدة فيه فأجاب الله عنهم بقوله ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها وتارة بان الحق هو الجبر فانه ينافى صحة التكليف وأجاب الله عنه بانه لايسئل عما يفعل وانما اكتفينا في هذا المقام بهذه

الاشارات المختصرة لان الاستقصاء فيها مذكور فى جملة هـذا الكتاب واذا ثبت ان هذه الحرفة حرفة كل الانبياء والرسل علمنا ان الطاعن فيـه اما ان يكون كافراً أو جاهلا أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لااله الاالله وان محمداً رسول اللهواقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان جعل النبي الاسلام مبنياً على هذه الخمسة الاول ان توحد الله جـل جلاله مع تعلق عمله بصفاته لتوجه النفس الى الطاعة ولما بيناه وبتعلق علم العبدبالرب وثانياً مايهذب الاخلاق لان المواظب على الصلاة كما هو الوارد فلا بد وان يكون خائفاً من الله تعالى فكلما أكثر الجهد في صلاته زاده خوفه فلا يمكن حينئـذ الا صدور الخير منـه أيضـاً ان النفوس حركتها على حسب ماتعود اليه فلو كانت متعودة للخـير صارت مظهرا له وبالعكس فيتهذب الخلق لان القوى النفسانية متجاذبة متنازعة فاذا هاج الغضب تشـتغل النفس عن الشهوة وبالعكس واذا تجرد الحس الباطن لعمله مشتغل عن الحس الظاهر فكاد لايسمع ولا يرى وبالعكس

﴿ مطلب في بيان حسن النية في نوع الانسان ﴾ أقول لابد قبل الشروع فى المطلب وبيان ان حسن النية وان النظام موقوف عليها من بيـان معنى اجزاء المقيد ثم البحث عن القيد وعنهما لان معرفة الماهية موقوفة على معرفة اجزائها وذلك غير خفي عند أرباب العقول لان هذا مطلب يقتضى البيان وانه أمر مبهم فى نوع الانسان لعل الغافل تأخذه أيدى الاعتبار فيخرج من وادى الغفلة الى شرعة ذى الابصار فالنية توجه النفس الى المطلوب وهي لاتكون الا بعد القوة العاقلة التى هي جوهر مجرد متعلق بالبـدن تعلق التدبير والتصرف وهو المرشـد فى الوجود وتوجه الحيوانات الى

مطالبها لايسمي نية لان النية لاتنعقد الا من مرجح أحد الامرين على الآخر مقدمة في بيان القوة العاقلة لان النية موقوفة عليها وهي تنقسم الى ستة أقسام الاول العقل الهيولائي والعقل بالملكة والمستفاد والعقل في نفسه مرآت بها تطبع الاشياء وذلك الانطباع يحصل من الحواس وغيره فالعقل الهيولائي ليس له قوة تصرف الا في الامور الضرورية الفطرية وهو فى ذلك التصرف يشارك الحيوانات الصرفة الا ان له تمايز عنه بانه فى الترقي الى معرفة النظريات ودقائق الامور بحيث يمكنه ان يستخرج المجهول من المعلوم ومن المعلوم وكيفية الاستخراج لايكون الا بعد العلم فى المقدمات فالفكر حينئذ يحصل الانتقال فى المطالب فالمقدمات التى حصلها الانسان هي المرشدة للانسان فى الحقيقة الى مطلبها فان تألفت نفسه فى مطلب خيرية فهو متوجه اليه وان تألفت فى مقدمات عكس ذلك توجه الى خلاف الخير وهو الشر لان المعلومات المتكونة فى القوة الفكرية محركة للانسان على حسب تلك المعلومات وهي سابقة للانسان وذلك ثابت ومعلوم ان الانسان لايمكنه التكلم والوقوف الا فى أمر رسخت مقدماته فى القوة العاقلة والمقدمات تنقسم الى قسمين نظرى وضروري والنظري لايحصل الا من الضروري أي يرجع اليه وحصول المطالب يورث الانسان الحركة فى جميع المطالب فالمقدمات ان كانت شكية تحصل فى القلب تردد واقدام فى الامر واجحام فيه وان كانت المقدمات مما تحصل بنتجة ظنية حصل فى نفس الانسان مارجح أحد الامرين على الاخر فتحصل فى القلب مرجح أو حصلت فى النفس نتيجة يقينية اورثت فى القلب نية فى قطعية الاقدام فى الامر فالنية تنعقد فى الانسان من مقدمات حصلها وبعد

انعقادها تتوجه النفس الى حركات تريد بها ماحصل اليها من المقدمات فتبين ان النية هي محور للحركات وعليها تدور الافعال والمطالب البتة فالنية أصل وسبب لتوجه النفس لكن بعد ان تقتبس من القوة الفكرية فالرابطة العظمي لهذه المطالب تحقيقاً هي هذه القوة وهي تجري على حسب استعدادها فى المقدمات وبعد ماحصلت نتيجة وجهت الى النفس نية وهي سبب لانعقاد قصد فى الضمائر الموجبة الى حركة النفس وكثيراً مايجعل حصول النية فى الضمير الجبر فى الحركات وكيف يمكن انكار هذا الامر المعلوم وقد نشاهد ان النفس عند ماحصلت أمراً وحصل بذلك انعقاداً وجزما لا يمكنها ان تفارقه بل تفعل ذلك حتما مقضيا النية فى الانسان تابعة الى افكاره فلا تتحقق الا بعد تحققه والافكار تابعة الى الصور الخارجية أي المعلومات التي فى تلك القوة بواسطة تعلق الحواس بالمواد وهي تتطبع فيها بناء على قول البعض فى وجود الزهني وان الجزئيات أيضاً من الموجودات الزهنية وعلى قول من ذهب بعدم الوجود الذهني وان الموجودات التي فى الخارج ليس لها وجود ذهني فهي موجودة عندالقوة العاقلة وعلى المذهبين ان القوة الفكرية لاتتحرك الى نتيجة الا بواسطة ما حصلت من المقدمات الضرورية سواء كان تحصلها خطأ اوصواباً فالواجب على نوع الانسان ان يتحرك فى مطالب خيرية فكره ويتألف فى المعارف الآلهية ليحصل له مقدمات ينعقد منها نية تحركه الى الخير وتكون النتيجة الحسنة فى الامور حاصلا من تألفه فى مقدمات أوجب فى ضميره الانتقال الى المطالب الخير فلو نظر الانسان الى ماسقناه من المقدمات لعلم ان العلم وتحصله هو الذي يوجب الفكر كيفية انتقال الفكر فى جميع المطالب اليك

ايها العلم الذي هو محور قوة الافكار وعليه تدور معرفة حسن النية فى الانسان واياك وان تفارق قوة ماهية الادراك لتحوز الشرف الرفيع ولا تكون من الذين تعلموا علوماً ليس لها فى حقيقة المطالب دخلا ولا لقوة الفكرية خادمة فلو علمتها فما انت الاحاكي عن العلماء فالمقدمات والعلم بها هو الذي يستلزم انتقال الفكر الى نتيجة فاذا كانت حاصلة من مقدمات يقينية حصلة نتيجة يقينية فيلزم منها الجزم فى ذلك المطلوب والنية اليه فتحرك جبر الى مطالب حصلها من تلك المقدمات فاياك وان تتألف فى مقدمات غير معلومة الخير فحينئذ يسوقك ذلك التألف الى الشر المحض جبراً لما يحصل لك من انعقاد النية فلا يمكن بعد حصولها الا الفعل فتبين ان حسن النية وقبحها بسبب الافكار ولا اظن انه يسوغ لاحد فى ذلك انكار لاسيما ذوى العقول والابصار المقصد الاول فى بيان خطاء الانسان فى الانتقال وذلك لايكون الا بعد ترتيب المقدمات وهى لاتحصل الا من موضوع ومحمول ولا يتحقق الحمل فى المطالب الا بملازمة النفس الامرية أو الاعتقادية وعدم الملازمة أيضاً اما فى نفس الامر أو فى الاعتقاد وهي تحصل من اعتقاد ان هذا المحمول لازم لهذا الموضوع فى نفس الامر وقد يكون ذلك لازم تحقيقاً وقد تكون الملازمة ليست بتحقيقية الا ان المعتقد اعتقد بذلك وان كان غير صحيح وذلك لعدم لحوق علمه بذلك ثم الملازمة الاعتقادية تحصل من العلم بالامور وذلك العلم يحصل من الحواس أو الاخبار فيعتقد الانسان بملازمة الموضوع للمحمول والامور الاخبارية في باب الاعتقادات اكثرها مستندة على المشاهدة والاعتقادات لاتخلو من ان تكون فى امور دينية أو مصالح حكمية والامور الدينية لابد وان تأخذ

من رسول يشاهد الحقائق فى الامور مكشوفة عنه وهو يروى حقائق ويحث العالم على العمل بها وبعض الانسان قد لايرى فى ذلك منفعة بل يعتقد مضرة فينفر طبعاً لما هو ثابت عند نوع الانسان ان جنس الحيوان يكره مايضره فتطلب النفوس منه مايثبت دعواه من أمر يميزه وهو المسمى بالاعجاز فحينئذ يحصل للنفس الزكية التصديق فى المدعى وقد يعتقد الانسان بمصالح حكمية من غير علم بالملازمة بين الطرفين واذا جرب المعتقد به وجده مطابقاً لاعتقاده وليس بعالم بالسبب الرابط بين الامرين ونذكر المسألة هذه فى بابها تفصيلا الفصل الاول فى بيان غلط الانسان فى الامور اقول انه لابد من وجود رابطة بين احد الطرفين مثل السببية والمسببية أو اللازمية والملزومية وذلك اما بالذات أو بالواسطة وهي اما حقيقية أو اعتبارية أو اعتقادية والملازمة بين الطرفين تحصل بشرط وارتفاع مانع وهي اما تحصل من مقدمات أولا وبالذات أي النفس تحصلها بدون التفات الى المقدمات بل هي حاصلة أولا وبالذات فالبشر تحصل له ملازمة بين وجود قانون وبين بقاء نوعه وذلك الملازمة لاتكون الا بعد سوق مقدمات ووجود ملازمات كثيرة وهي تعلق علمه بان البشر يجب بقائه وهذه الملازمة لاتكون بواسطة أمر غريب بل أولا وبالذات حاصلة واذا علم ان البشر يجب بقائه حصل له علم بان البشر يتغالب مع ابناء نوعه فيلزمه قانون يمنعه التجاوز فالملازمة بين نوع البشر مع وجود القانون حصلت من ملازمات كثيرة والحكم يقدم العالم حاصل من ذات الموضوع وهو الحكم بان العالم اثر قديم وكل اثر قديم قديم فالملازمة متحققة بين العالم وكونه اثر قديم وهذه الملازمة ليست

بينة بنفسها بل هي موقوفة على اثبات ان العالم اثر وحادث والاثر لا يكون الا بمؤثر فالمقدمة الصغرى في القياس فالملازمة التي بين المحمول والموضوع ليس بمسلمة الا بعد تسليم الملازمات المذكورة والمقدمة الكبرى فالملازمة التي بين الموضوع والمحمول وهي قولنا كل أثر قديم قديم موقوفة على ان القديم يجب عليه من زمن وجوده الاثر وايجاد الموجودات ولا ملازمة بين وجود القديم ووجوب ان يؤثر فالملازمة بين موضوع الكبرى ومحمولها موقوف على الملازمة بين وجود القديم ووجوب ان يؤثر وان المدنية ملزومة للمعاونة لان بين المدنية والمعاونية تلازم والبشر لا يعيب معاونة البشر الالدواعي تحرك النفس للمعاونة وتلك الدواعي منها معلومة ومنها خفية فان البشر لما كان محتاجا في تعيشه الى أمور وهي لا تكون الا بكثرة الرجال ولما كان كل واحد محتاجا الى كل واحد يكون في نفسه ميلا للمعاونة لكن لا تكون تلك المعاونة متحققة الا بعد علمه بان هذا الذي يعاونه تتحقق منه معاونة فالتلازم في المعاونة لا يتم الا بعد العلم بحصول المنفعة من الطرفين الا ان كل واحد يحب وصول المنفعة من الثاني أولا لنفسه وذلك ميل طبيعي في الانسان فالانسان لا يسعى لوصول المنفعة الى صاحبه الا بعد ان يكون أمينا بان صاحبه يقابله بالمثل فوصول المنفعة من كلا الطرفين موقوف على الامنية وهي لا تكون الا بوجود ناموس وامام يتابعه جميع أهل الحل والعقد عدل ذو رأى سديد وأيضاً في حمل الغير المتناهي على الجسم حصول الغلط ثابت من اعتقاد الملازمة وهي ان الجسم مركب من اجزاء لا تنقطع التجزية فيلزمه ان يكون غير متناهي فلزوم غير التناهي للجسم حاصل من كون الجسم مركبا من اجزاء تتجزى واثبتوا للاثير قدماً بناء على

اعتقاد انه المؤثر والمصدر فهذا الحمل اعتقادياً وأيضاً اثبتوا له حركة قديمة بناء على ان مالا حركة له لا يمكنه ان يؤثر وجعل الاثر مصدراً مؤثراً في الموجودات بناء على ان الموجودات محتاجة لموجد فسموه هو الاثر فانظر حق النظر ليتبين لك الغلط لانه معلوم عدم التلازم بين الاثير والقدم حتى يثبت انه هو المؤثر فى العالم ولا يمكن ثبوت انه هو المؤثر فى العالم بهذه المقدمة القائلة ان العالم موجود لابد له من موجد كما لايخفى فالغلط حصل من وجوه فى هذه الملازمة وهي قولنا الاثير قديم لانها مبنية على أمور كلها باطلة لااصل لها فى نفس الامر وهذه الامثلة خذها اليك فان ذكي كفاك والا فلا فائدة فى تطويل المقال المقصد الثانى فى ما تتالف منه حسنة النية وقبحها أقول ان العقول ستة الاول الهيولائي وعقل بسيط قابل لترقى والثانى العقل بالفعل والثالث العقل بالملكة والرابع العقل المستفاد والخامس العقل الفعال والسادس المسمى بعين اليقين والانسان محتاج الى عالمين الاول الجسم والثانى الروح الا ان خوادم الجسم أمور محسوسة كثيرة الجدوى وهو محتاج اليها طبعا فتحركه الحاجة فى التشبث بما يوجب خدمة ذلك العالم فاذا عقل عن خدمة الروح واكثر من مراعاة الجسمانيات غلب الجسم على الروح فتحرك جبرا الى مايوجب خدمته واذا كان عالم كثير يحبون هذه الخدمة فيطلب الجسم مايوجب راحته فتحرك الجمع الكثير الى ذلك المطلب فيعارض في تحصيله واذا كان الامر واحدا فلا بد ان يحصل لواحد منها فيبقى الكثير منهم دونه والنفس تريده فيقع التحاسد أو القتال لان الروح اذا لم يلتفت الى خدمتها الانسان فهو يكون باقيا فى العقل الهيولائي وهو لايعقل الا الامور الضرورية الصرفة التي هو

محتاج اليها طبعاً فيكون حيوانا بصورة انسان وكونه مستعدا لان يكون في العقل الفعال فذلك تمايز بالقوة لايفيد في عالم الانسانية شيئاً واذا اكثر من محبة خدمة الجسم اكثر من محبة التغالب مع ابناء نوعه لان الكثير من نوع الانسان اذا كان مشغولا في الجسمانيات فلا شك في ان التغالب في قلوبهم يكون مغروزا فهذا يوجب التشبث في مقدمات تجلب المطلوب المراد عند الشخص وتدفع معارضة الغير فالحب والتشبث بهذه المقدمات لاشك في انه يورث الانسان نية تجبره وتسوقه الى فعل وسوق مقدمات ودسائس يحصل بها مطلوبه والآخر أيضاً يمهد مقدمات يحصل بها مايريد فيحصل التعارض ويغلب أحدهما على الآخر لحصول ذلك المطلوب وكثير مايوأدى الى القتال ذلك والعالم في خدمة الجسم على قسمين جاهل أي لم يعلم كيفية حصول المطالب ولم يتألف في مقدمات توجب حصول ذلك المطلوب ومنهم من عود نفسه لحصول مطالبه بتمهيد مقدمات ودسائس توجب الغلبة على الآخر فالاول لاتدبير له الا القتل والضرب فتبين ان في العالم الخير اضافي فان العالم كلها خادمة الى اجسامها فكل واحد منهم يحب سعادة جسمه فاذا حصل أمر يوجب سعادة واحد من الجمعية اوجب للثاني مايغضبه فالخير المحض في عالم الاجسام مفقود فما ذكرناه يدل على ان العالم في طبعه يميل الى المغالبة فلا بد في العالم من قانون والا لوقع النزاع فيهم وارتفعت الحقوق عنهم والقانون المتكفل في نظام جميع نوع البشر لا يكون الا من عالم ملكوتي لان البشر دائما مشغول في منافعه وهو أمر طبيعي لايمكن انفكاكه عنه الا بعد قهر القوة الجسمية لقوة الروحانية فلو نظم البشر قانونا انما ينظمه متصورا فيه منافعه ومنافع من يكون

متابعاً له سواء كان غيره ينتفع من ذلك القانون أم لا فلا يكون منظما للبشر من حيث انه بشر وكل قوم يرتب قانونا يتحقق به منافعهم فالمعارضة مع وجود القانون باقية بل القانون هو في نفسه يعارض قانوناً غيره فنفس البشر لا يعطيها القانون محبة بقاء نوعه بل جلب ما يحبه من المنافع المقصد الثالث لا بد في العالم من ناموس ملكوتي والدليل على ذلك من وجوه الاول قد ثبت مما ذكرناه ان في البشر محبة المغالبة وجلب المنفعة فيحتاج الى ناموس يوجب بقاء نوع البشر وهو منذ تكونت الكرة في خلاف فلو كان الناظم للقانون بشراً فلا شك انه ينظم قانونا يوجب جلب المنافع لذاته ولقومه فلا يكون حينئذ خادماً لجميع البشر لمعارضته في منافعهم لان البشر كل منهم يريد سعادة ذاته فالناظم لو تصور منافعه في قانونه لا شك يعارض منافع الآخر ولو في بعض الامور فذلك القانون يورث القتال والضرب ولا يمكن ان يرتب قانوناً ولم يتصور فيه منافعه وهو بشر لانه يلزم خروجه عن البشرية لما قلنا انه من طبيعة البشر حب منافعه ومنافع قومه الثاني ان البشر مدني فيكون محتاجاً فسابقة الاحتياج يقتضي معاونة أحدهما للآخر والبشر في طبعه لا يشتغل في منفعة أحد حتى يعتقد وجود منفعة مثلها أو أزيد منها منه وكثير ما يقع في العالم احتياج أحدهما الى الآخر بدون ان يتحقق منفعة مثلها من المعاون مثل ان تجد فقيراً محتاجاً غريباً فيعتقد انه بعد معاونته اياه يفارقه ولا يتأمل منه معاونة مثلها فالبشر كثيراً ما يقع احتياجه لهذه الامور وطبع البشر لا يرضى ان يعاون أحدا بدون ان يتعلق علمه بترتب معاونة مثلها فلا بد من ناموس يحث البشر على هذه المعاونة بان يبين فيه وجود الاله يعقاب ويثيب الانسان على افعاله

على الاعداد وفن الكيمياء وهو يفيد معرفة البحث عن ماهية المواد وفن اللسان وهو يفيد معرفة ضبط اللغة والتلفظ بها على ماهي عليها والمنطق لايفيد شيئاً سوى معرفة الاستدلال في أمور ومقدمات وقف عليها وبلاغة لاتفيد الا تحسين الكلام والهندسة انما تفيد معرفة الاجسام والاشكال والمثلثات أيضاً لاتفيد غير معرفة مقدار الزاوية والحجم وفن الماكية والهيئة كله لايفيد معرفة نظام قانون يحفظ بها نوع البشر والقسم الثاني العلم الروحانى والعلم بوجود آله خالق عالم بما فى الكون يعاقب على وقوع مايضر فى جمعية نوع البشر يثيب على ماينفع فاذا تبين لك ان الجهل هادم الكون وان العلم بخوادم الجسم لايفيد شيأ في وجود نظام والعلم الروحاني لايكون الا بعد وجود آله وشريعة منزلة من قبله على يد رسول روحاني شفيق رحيم بنوع الانسان ليعلم الناس كيفية الاتحاد والمعاونة وقطع عرق الحرص والغدر الدليل الثاني ان البشر مركب من أمرين أحدهما يوجب بقاء النوع والآخر يوجب فنائه فالحرص والامل وحب الجسم يورث فناء النوع بديهي والرحمة والرقة تورث بقاء النوع وقد سبق ان الانسان اذا اشتغل في مقدمات حصلت له انتقالا في مطالب تناسب تلك المقدمات لما هو معلوم انه لابد بين المقدمات والمطالب من مناسبات وبعد الانتقال تحصل له نية توجب حركة الفكر فيما يليق بها والجزم على فعل انتقلت اليه وخدمت الجسم وبقاء الوجود طبيعة أولية فى الانسان وهذه الطبيعة في كل فرد فيلزم حينئذ بين النوع والهيئة الاجتماعية منافات لان النوع يتنازع في بقائها والفرد لاينازع في ذلك فلا بد من تحريك الرقة التى تعرض في الانسان أحيانا ليحصل التناسب بين

فيجازيه ويكافيه عليها فى يوم تعاد فيه الاجساد ومن المعلوم ان البشر دائماً يحتاج الى المعاونة ولايمكن بقاء النوع الا بها وقد تبين ان طبع البشر لايميل اليها الا بعد علمه بانه يكافى بمثلها وكثيراً مايقع فى العالم البشري وجود معاونة بدون مكافات للمعاون فاحتاج العالم لاله يعاقب ويثيب فى يوم يسمى بالمعاد ولطف منه ان ينزل فى العالم ناموساً يحثهم به على ذلك والا لما بقي نوع الانسان فنزاع نوع البشر فى بقائه يحتاج الى ناموس الهى لان البشر لايمكن ان يرتب قانوناً يحفظ به نوعه وذلك لانه على قسمين جاهل وعالم فالجاهل لايخفي انه ليس بمقتدر على ادارة نفسه فانه لو تصور فانما يتصور خراب العالم ومحو ذلك والعالم لايمكن ان يتحقق ادراكه للامور وفهمه الا بعد وجودها لان العلوم كلها على التحقيق انتزاعية وهي تنتزع بعد وجود الامور فيقتضى عند نشئة العالم وايجادها الجهل المحض لعدم العلوم وهو يؤثر القتال والمدافعة العظيمة بين نوع الانسان ويلزم منه عدم النوع لانه ثبت بالبرهان ان النوع لايمكن بقائه الا بناموس والجاهل لايمكنه ان يرتب ناموساً يحفظ به النوع والبشر فى ايجاده والنشئة الاولى ليس له سوى العقل الهيولانى وهو بسيط صرف وبعد الايجاد ومضى مائة الف من السنين لايمكن الاحاطة فى العلوم بحيث لايكون بعدها علم لان العلوم تتزايد بتزايد الافكار وترتب الناموس لايكون تماماً حافظاً حق المحافظة للانسان ممن هو ناقص فى العلوم والعلم على قسمين علم بامور جسمانية والاخر بامور روحانية فالعلم الخادم للجسمانيات كالعلم بفن الثروة وذلك يفيد الاحاطة بالتجارة وفن النباتات وذلك يفيد معرفة الاحاطة به وفن الجبر والحساب وهو لايفيد الا معرفة الوقوف

الهيئة وبين الافراد ولا تتحرك الرقة والرحمة في العالم الا بعد قطع الحرص والامل من نفس الانسان وهو لا ينقطع الا بوجود بشر رواحانى مهذب الاخلاق يحث العالم على التوحيد يبرهن على رسالته من رب البرية يعلم العالم أموراً وعلوما معرفتها توجب انتقال الافكار الى أمور حسنة صرفة فحينئذ تنعقد نية الخير فتحصل الرقة والرحمة فى القلب فيتحقق في الافراد ومايوجب بقاء النوع فلا يكون بين الافراد والهيئة مناقضة لانه لو لم تتحقق الرقة والرحمة في الانسان اي في كل فرد منه بل الحرص والمغالبة متكونة فيه فهو حينئذ لا يلتفت الا لبقاء شخصه ولا يكون باقياً الا بمحبة بقاء شخص آخر من نوعه وهي مفقودة من الشخص بدون رسول يعلم تهذيب الاخلاق فلولا الرسول الروحانى لانهدم النوع وفنائه كان متحققا فالشرع ووجود اله فى العالم أمر لابد يقتضيه بقاء نوع الانسان وجنس الحيوان الدليل الثالث التنازع في البقاء يقتضي وجود قانون يشتمل على ثلاثة أقسام سياسة المنزل والمملكة والملك وكل واحد من هذه الاقسام لابد ان يرتب له ناموس معتدل وذلك اما ان يترتب كل قوم على مقتضى مزاجهم وافكارهم أو يترتب قانون يوافق مصالح جميع البشر وانهم لو عملوا به نالوا الربح العظيم في العالم والاول لا يفيد الا العداوة فى نوع البشر وعدم التألف بين الاقوام فتكون التجارة متعطلة لان أصل العداوة بين نوع الانسان انما تحصل من تغاير الافكار فيرجع الامر الى القتال وحث البعض البعض فى متابعة أفكاره والآخر يراها خطأ لا يلتفت اليها وأيضاً ان البشر لانه كثير المكابرة ومحبة الرئاسة مغروسة فى ضميره ولو رأى الصواب فى رأى غيره لا تطاوعه نفسه الى المتابعة والرضاء بنظام يرتبه غيره وان حصلت

المتابعة بالجبر والضرب فتحرك النفوس الى القتال بين نوع الانسان وبعد الحرب والضرب يسمع الضعيف نظام القوى ومن هؤلاء كثير من يتحرك الى ان يشد ساعده ويقوي حتى يشعل نار القتال بين هذا النوع لكي يحظى بالرئاسة والامر على هذا العنوان يقوم بين هذا النوع حتى تأخذه أيدي الفناء فتبين ان انتزاع النوع والجنس فى البقاء يقتضى وجود آله فى العالم له رسول يعلم الناس ما يوجب بقائهم ويبرهن على رسالته حتى يصدق بها فيسمع كلامه وتميل نفوس المصدقين الى العمل والمواظبة على امتثال أوامره الدليل الرابع الامن فى العالم لايكون الا فى رسول يعلم العالم التوحيد ويحثهم على سماع شرعه لان البشر لوعلم علم يقين انه بعد الموت لاعقاب ولاثواب وانه لالذة فى الكون الا ماتقتضيه الاجسام والحياة لاشك انه يتشبث فى جميع المقدمات التي تقتضيها راحة الاجسام من الزناء والسرقة وهتك الاستار لاغير لاجل استراحته لنفسه فلكل من الافراد اذا كان على هذه الافكار فلاشك ان الامنية ترتفع حقيقة ولم يبق فى العالم أحد يرجى منه الامن فطبيعة النوع محتاجة للامن احتياجها للاكل والشرب وطبيعة الافراد تقتضى الافتراس فبين النوع والافراد تباين فيلزم على ذلك ان لاتكون الهيئة والنوع مقتضيين لذلك لان لايكون الا بالافراد فاقتضاء النوع من اقتضاء الافراد وجبر الحكومة والامام بسماع قانون ترتب الجزاء على الخارج الحد لا يغير مافى الطبع والكلام فى ان طبع الافراد بناء على تلك العقيدة يقتضى ان يجد البشر جميع مايريده من اللذات لاعتقاده ان الاشتغال فى اللذائذ الدنيوية هي اللذة العظمى ولا لذة ورائها ومن يترك سعادته وهو مقتدر عليها ومنع

الحكومة البشر من الاشتغال فى جميع مايريده يلزمهم الاعتقاد بظلمها فالامنية مسلوبة حقيقة وبقاء النوع يقتضيها فلا بد من وجود آله فى العالم ورسول يعلم الناس التوحيد

ويبين ان موجد العالم اله يعاقب ويثيب وان لذة الدنيا ماهي الا كالسراب تزول فى الحال وان اللذة الباقية هي لذة الآخرة بعد فناء الوجود فهى دائمة لاتزول فالمعتقد بهذه الحالة حق الاعتقاد لا شك انه لايتجاوز الحدود ولا يحب غدر أحد فأحد أركان التنازع فى البقاء وجود اله في العالم والاعتقاد به ووجود شرع ورسول يعلم ذلك الدليل الخامس انه لولا وجود الرسول فى العالم لما كان العلم موجوداً فى نوع البشر وفقدانه يلزم الفناء لهذا النوع وهو يستلزم فناء الجنس اما الملازمة فلانه قد ثبت تواتراً ان العلوم والشرائع المتداولة بين نوع البشر انما جاءت من الرسل عليهم صلاة الله فثبت انه لولا وجود الرسول لما كان علما واما عدم العلم يستلزم فناء النوع المستلزم فناء الجنس فلانه من المعلوم ان رابطة التجارة والمعاونة لاتحصل الا بالعلم وأيضاً ان تمهيد مقدمات الامنية ومحافظة الحقوق لاتكون الا بالعلم فالجهل فى نوع الانسان لاشك فى انه مثير للقتال وخادم للجسم الذي هو محل الحرص والطمع الموجب لوقوع الشرور والقتال المزيل لحياة نوع الانسان اليك اشتكى أيها العلم من يدى جهل فتكت صوارم حركاته فى نفوسنا واضمحل اركان ماكنا اليه موجودين فأنت العادل الذي أخذت بركن الوجود فقومته فما العلم والعمل به الا صورة وهيولى يشكلان ركن الوجود فى عالم التكون وما ينهدم هذا الركن الا اذا أخذ بالتسافل ولا يفيد تكون الهيولي بدون الصورة فاياك وان تأمن

البقاء اذ رأيت العلم فى الافكار خاليا عن العمل أو العمل خالياً منه فذلك أول نذير يحقق وجود انهدام الكائنات ان كنتم من قوم يعقلون الدليل السادس نظام العالم على هذا الترتيب الرصين يقتضى وجود اله ورسول فلا تغفل عن دقائق هذا الترتيب بعد ان رأيت الجوخلاء ربطت كواكبه القوة الجاذبة وما وجود تلك الكواكب فى العالم الا لانه أحد اركان الوجود لو كنت من قوم يبصرون ان الحياة شرطها بالغذاء وهو لايوجد الا بالنباتات الموقوف وجودها على تأثر الشمس بانفاذ أجزاء الحرارة لاجل تقوم ماهية النباتات والحرارة وجودها فى العلم دائماً لايفيد بل هو سبب لفناء الكون فجعل جل من رتب السماء والارض كروية الشكل وأودع فيها جاذبة فجذب الصغير الكبير فانجذبت الارض بناء على قول بعض من ذهب الى حركتها فتحركت حول الشمس فحصل من ذلك ليل ونهار وفى ذلك دقائق حكمة لاتخفي على ذوي العقول لو كانوا يتفكرون ان دوام الشمس فى محل واحد يفيد زوال الكائنات وسبب الى محو النباتات فجعل حركة الارض ليحصل الظل الظليل فى الموجودات فيعترى التعادل فى نظام الحرارة فيكون النشوء والنماء فذلك لايخفى على قوم يعلمون فن النباتات والحيوانات فانهم ذهبوا الى انه كما هو نافع لوجود النباتات فالظل كذلك لاسيما بعض النبات لاحياة لها في عدم ضياء الشمس فان ذلك معلوم عند الذين مارسوا هذا الفن وعلموه وان الحركة اليومية اثرت في العالم منافع لولاها ما بقى هذا النوع والجنس من الحيوان على كرة الارض فالنظام اقتضى الترتيب بان تكون الارض كروية وبينها وبين الشمس جاذبية لتحرك فينقلب ضياء الشمس تحت الافق وفوق الافق

فيحصل ليل ونهار وأيضاً ان بين الاجسام قوة الجذب وهي على ثلاثة أنواع جاذبية الملاصقة وجاذبية الالتصاق والالفة الكيماوية فالتغير الكيماوي بتغير الاجسام تغيراً كيماويا وجاذبية الملاصقة هى القوة التى بها تلتصق الاجسام وجاذبية الالتصاق هي القوة التى تلتصق بها دقايق أنواع مختلفة من المادة بعضها ببعض لا دقايق نوع واحد ولا تظن ان في الاجسام قوة جاذبة فحسب بل فيها قوة دافعة أيضاً فانك لو نظرت دقايق جسم واحد لرأيت فيها قوة جذب ودفع معاً الا انه ترى الجسم الواحد فيه قوة الجذب والدفع متساويتان فيكون ذلك الجسم سايلا وتكون قوة الجذب غالبة على الدفع فيكون شديد الالتصاق ولم يزل نوع الانسان يتنازع في البقاء على وجود هذا الترتيب فالانسان لولا جاذبية الالتصاق لا يمكن بقائه لعدم وجود الجوامد التي يحتاج البشر لوجودها ولولا قوة الدفع في الاجسام لما كان جسما سائلا ومعلوم انه لا حياة بدون المايعات في العالم والدليل المرشد للقوة العاقلة على انه في العالم اله هو ان الانسان لما تكون على هذه الهيئة التي نشاهدها اقتضى له قوة عقل يأمن بها على معاشه ومعاده وكيفية معاشرته مع ابناء نوعه والتمسك في اسباب توصله الى تأمين استقباله ووجود ليل ونهار لان الانسان اذ اشتغل حل في وجود التعب وزادت المشاق فاذا لم يعقها مايمكن به التوصل الى الاستراحات وزوال التعب لعظم الامر وازداد التعب فتهدم البدنية ويضمحل الجسم فجعل الله الليل وجعل في طبعه البرودة حتى يهبط الدم ويعتري النعاس فيحصل النوم فيستريح الانسان وذلك نظام غريب وأمر عجيب يدل على صنع الله تعالى وايجاده للعالم ولا يخفى ان الجواذب والروابط بين جميع أفراد العالم متحققة وذلك نظام

وترتيب وهو لايكون بلا مرتب والمرتب لا يكون الا الله تعالى ومما يرشد على ان الله واحد موجود أرسل في العالم رسلا ان نوع البشر يحب الاستعلاء في الارض والفساد وقهر غيره وهذا متحقق عند كل فرد من نوع البشر ولكن ذلك أمر طبيعي لايمكنه ان يعدل عنه بامر خارجي لانه من المعلوم ان الامر الخارجي لا يعارض الميل الطبيعي بحيث يقلعه عن أصله بل انما يعارضه فى حركته فيسكن ومن أرفع ذلك عاد الى أصله فالعالم اذاً كان ميله للشر أمر طبيعي لاينفك عنه بل هو يميل اليه طبعاً فلو بوشر بما يدفع الفساد ويرفع الشر من قهر النفس بانواع المشاق التي لا يميل الانسان طبعاً اليها حصلت الاستراحة في الجملة ولكن مارفع الفساد من الارض فالنفوس تتحرك عند الفرصة الى ماهي عليه من الفساد وتوقعه اذا ظنت عدم احاطة علم الموجاز بذلك فالارض لاشك انها في هرج ومرج وان كان الموجازات مترتبة على من يفسد في الارض الا اذا كان في النفس حكما طبيعياً يقهر النفس ويجعل ميلها الى الاصلاح والمواظبة على نقيض ما هي عليه من الفساد فحينئذ يكون العالم في راحة تامة وعيش رغد لان حكم الطبيعة الاصلية يزول ويقوم مقام ذلك التألف بمحبة الطاعة والعبادة والاعتكاف وعدم الجور على العالم فيكون هذا هو الميل الطبيعي ولا بعد بان يكون البشر في نفسه ميلا طبيعياً الى الاصلاح بعد علمك بانه خلق بسيطه فكر ينطبع فيه المعلومات الحاصلة فى قوة عقله وادراكه فلا يمكنه ان يتحرك الا بمقتضى تلك المعلومات لان البشر حركته انما تكون على موجب علمه وفكره وما هو متألف اليها فاذا تألف بامر صالح لاشك تحرك على مقتضى ذلك فحصل في نفسه الامر القاهر لميله الى محبة المغالبة والمجادلة ولا

يتم ذلك الا بتهذيب الاخلاق وهي لاتكون الا بالشرع لانه لم يوجد فى العالم داع الى تهذيب الاخلاق الا الشرع فاذا تحقق لديك ان الافكار مثلها مثل المرآة تنطبع فيها صورة الموجودات وهي انما تكون باعتبار التألف الحاصل اذ تلك قضية مسلمة ان البشر يحصل المعلومات بتألفه مع ابناء نوعه فلولم يكن في العالم شرع يعارض الميل الطبيعى بميل طبيعي الآخر لكان البشر قاهراً للبشر بحيث لايمكن منع أحدهما عن الآخر بالتدابير السياسية وجه الملازمة ان البشر ميله الطبيعى الى التغالب وحب التعالي لنفسه فحسب فلا يمكن اجتماعهما على رجل فيجعلونه أميراً ينفذ فيهم الاحكام لان البشر بحسب ميله الطبيعى كل واحد منهم يرى انه احق من غيره فالفقير يحب قهر الغني وأخذ ماله من يديه والمرأة تحب تسلم نفسها للشاب الجميل لاسيما اذا كان غنياً وأهلها وزوجها يحبون منعها طبعاً فيقع القتال ويشتد النزاع والمرجع مفقود لعدم اجتماعهم على من يرفع النزاع من البين فلا بد فى العالم من شرع يقهر الطبيعة التي لم تكن راضية بالانقياد الى شخص والقهر يكون تارة بالترغيب الحاصل بالموعظة بان يقول ياقوم آمنوا بالله الذى خلقكم ورزقكم وذلك يوجب الترغيب فان لم تلتفت النفس الى ذلك يأتي اليها بالترهيب بان يقول اتقوا ربكم الذى ان شاء يخسف الارض بكم فان لم تلتفت الى ذلك لابد من وقوع الخسف والعذاب حتى تنقاد النفوس الى أمر وناموس منكاف بالعباد فتبين ان البشر لولا وجود الشرع لوقع فى العالم أشد الهرج والمرج الذى بين البهائم الصرفة لانها تميل الى كسر غيرها بدون تحيل والبشر يميل كسر غيره مع التحيل وتمهيد الدسايس وكل يدفع غيره بمثل ذلك

وجه اثبات ان الشرع هو القاهر بان يقال ان البشر له طبيعة البشر فلا يكون صالحاً الا بالقهر وتهذيب الاخلاق ولا يكون القاهر مفيداً مالم يكن طبيعياً بحيث يزيل هذا الشر من النفس فلا زال نفتش ونبحث فلم نجد شيأ يجعل الطبع مايلا لامر صالح الا الشرع ولم نر طريقاً يميل الطبع الى الانقياد وتسليم النفس لامر الغير ونهيه كيف يكون بدون معرفة البشر اله فلا بد من الاستدلال أولا على معرفة الصانع واثباته ثم على وجود الآخر وبعد ذلك على وجود الثواب بدليل ترضاه العقول السليمة الا ان البشر لما كان محباً لشهوته لا يرضى بما يخالفها فلم يكن ملتفتا الى ما يساق من الدليل او ان البشر يحب ما يتعقله من الدليل ويميل الى ما يعتقده من الامر فلا يسمع دليلا ولا يعتقد بما يقال لان حال الاعتقاد فوق العقل فلا بد حينئذ من أمر يسوق البشر قهراً الى الانقياد وما ذلك الا القتل والعذاب الاليم فصل في امكان وقوع الآخر ان فى هذا الزمان الفاسد ظهر اناس لا ادب لهم مع الله يظنون ان الفيلسوف من لم تكن له عقيدة فى الآخر وما ذلك الا لانهم قوم يجهلون فاقول ان الامكان ما تساوي فيه طرف الوجود والعدم ولا يوجد أحدهما الا لوجود مرجح وهو عرض يقوم بالموجودات وهو ينقسم الى قسمين ذاتي واستعدادي والامكان الذاتي ما كان سبب العروض نفس الموجودات وهو لا ينفك عنها لان الامر الممكن باعتبار الذات لا يسلب عنه الامكان لا فى حال الوجود ولا فى حال العدم والا لما كانت الموجودات ممكنة لانها اذا كانت في حال العدم الصرف مما لا يمكن وجودها فكيف يتعلق فيها الايجاد وتكسب حلية الوجود فتبين انها فى كل حال وتقدير ممكنة وتعلق الارادة في ايجاد الممكن جائز

ثم أقول انه لامنافاة بين الوجود الممكن وبين الواجب العادي فان الواجب العادي معناه ان هذا الشئ من حيث ماهيته وذاته متصف بالامكان الا ان عدم وجوده باعتبار أمر خارجي عارضه فلم يوجد واذا زال ذلك الامر الخارجي جاز وجوده بمعنى ان الوجود لو تعلق به مايوجده أولو وجد فيه مرجح الوجود لعاد فالمعدوم بعد الوجود لايخلو من ان يكون وجوده موصوفا بالوجوب الذاتي أو العدم موصوفا به أو الوجود موصوفا بالامكان الذاتي وبعد ماعدم اتصف بالوجوب العادي اما الشق الاول فهو باطل لان اتصاف الموجودات بالوجوب الذاتي يقتضى ان لايعتريها عدم لان بين الوجود المتصف بالوجوب الذاتي مع الاتصاف بالعدم تضاد ومن المعلوم اتصاف الموجودات بالعدم فيقضى ان لاتكون متصفة بالوجوب الذاتي واما ان العدم موصوف بالوجوب الذاتي فأيضاً باطل لما مر من كون العدم ينافي الوجود فلوكان الوجوب الذاتي صفة للعدم لما كانت الموجودات مودة فاللازم باطل فالملزوم مثله أوما ان المعدوم موصوف بالامكان الذاتي ثم اعتراه الوجوب العادي فذلك أيضاً لاينافي قولنا اعادة المعدوم ممكنة لانه لامنافاة بين الوجوب العادي والامكان الذاتي فثبت ان اعادة المعدوم ممكنة انتهى بحمده تعالى وتوفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ تقاريظ ﴾

بعد ماسرح طرف الطرف بهذه الرسالة شيخ العلماء العلامة المفضال الشهير بين الانام حسين افندي البشددي مدرس الاعظمية في دار السلام جاد علينا بهذا التقريظ تقدس من جعل قدرته قاهرة. وحير العقول بآثار آياته الباهرة. وسير نظام الافلاك بامره وخرق نظام الطبيعة بمشيئته جل

عن الشبيه والنظير واليه المرجع والمصير والصلاة والسلام على المتعين الاول ومن عليه في مهمات الامور المعول خاتم الانبياء والمرسلين ومنقذ من ضلال العالمين وآله واصحابه اما بعد لقد سرحت طرف الطرف في هذه الرسالة فوجدتها مشتملة على تحقيقات فايقه وتدقيقات رائقة لحق ان يقال انها للافاضل مصدر تعليم ولفحول العلماء دلايل تفهيم كيف لا وهي شمس بزغت من فكر الفاضل عبد الله افندي الدهلوي الذكي الصارم الفرندي في افق الصحايف. الذي بيض نور الافكار بمسائل ظرائف اه مدرس الاعظميه حسين صبري

بعد ماسرح طرف الطرف بهذه الرسالة العلامة المفضال المشهور في الآفاق الشيخ احمد افندي مدرس في الجامع الكبير عند المرحوم شيخ العارفين وغوث السالكين كاكه احمد قدس الله سره جاد علينا بهذا التقرير

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله قاطع اعناق اهل البدع والاهواء بمرهفات سيوف العلماء الاجلاء. خالق الدهر ومكون جميع مافيه. ففي كل شئ له آية تدل على انه الواحد الذي لاشك فيه. والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائم بالحجج الباهرات. المؤيد بالمعجزات الظاهرات. وآله واصحابه الذين جاهدوا في الله حق جهاده. وتكفلوا بنصرة نبيه وانجاده. صلاة وسلاماً دائمين الى يوم حشر عباده. اما بعد فقد سرحت النظر في رياض هذا الكتاب الزاهرة واجلت طرف الطرف في ميدان الفاظه ومعانيه الباهرة فالفيته كتاباً فريداً في بابه وحيداً بين اترابه يحق للدهر ان يتبسم ثغره لظهوره والعصر ان يفتخر لوجوده في ايامه وشهوره ووجب على لسان الحال ان يعلن ببشره وسروره وان ينشد منظومه بعد منثوره

اذا رمت ان تحظي بغامض اسرار ... وترقي الى العلياء كالقمر الساري
وتقطف من روض العلوم ايانعاً ... تضوع رياها بعبهر ازهار
وتستخرج الدر الثمين باسره ... وتروي غليل الصدر من منهل جاري
عليك بهذا السفر فاجل نواظرا ... بمرآة الفاظ تخال كانوار
تجده كتاباً حاز جل حقائق ... من العلم والعرفان يا ايها القاري
فكيف وقد جادت بنسج بروده ... قريحة ذي التحقيق من غير انكار
هو الشيخ عبد الله فاضل عصره ... هو الدهلوي المحيي دوارس آثار
له الفخر قد ابدى بثاقب فكره ... مسائل اعيت ان تنال بافكار
فيالك من حبر جليل لدى الورى ... ويالك من بحر من العلم تيار
قذفت لاهل العلم درا منظما ... بسلك من التقوى وعلم من الباري
فلا زلت محموداً بكل صنيعة ... بذلت كهطال من الفضل مدرار

بعد ما لوح دقائق انظاره الفاضل المدقق والعلامة المحقق المدرس والنائب في دار السلام عبد الوهاب افندي جاد علينا بهذا التقريظ

ايها الطالب غص بحر الدرر ... ومعاني باكرات وغرر
ورياض قد زهت في ذهرها ... فتسامت عند ارباب البصر
جوهر التحقيق تجنيه ومن ... يغص البحر فتحقيقاً يسر
جاد من قد خدم العلم ومن ... شيد الدين وبالفضل اشتهر
شمس عرفان ترى الفضل له ... صبحه يجلي الدجاء المعتكر
مفرد في الناس من قد جمعا ... من علوم فاق فيها ذا البشر
ذال شك بيقين اذ اتي ... كشف الظلمة بالنور السحر
ارسل التحقيق في اقلامه ... في معاني فوق صحف وسطر

شرح الكتب وحشاها ومن جده الصديق سام بالاثر
فدع السعد وعن هذا فسل عن معانى حلها عالي الفكر
علم الافكار رد الملحد حجهم اذ ساق هذا من نظر
هذب العلم فهذا شاهه دهلوى حسن الخلق ابر
من بعد الله تدعوه الورى فضله قد طار فيه ذا الخبر

بعد ماسرح طرف الطرف الفاضل الاديب والعالم اللبيب الشيخ عبد الله افندي المشهور بين الانام فجاد علينا بهذا التقريظ

رعيا لرب الروضة السنية من جاد في الرد على الدهرية
الشيخ عبد الله ذى التحقيق المقتدى بجده الصديق
الدهلوى الفاضل المحقق بعلمه فانه المدقق
شاه العلوم ذو الخصال الفايقه وذو السجايا الباهرات الرائقه
شيخ على هام السماك قد سما من فضله بالعلم بحر قد طمى
اكرم به من نادر بالفهم ونافع بنشر طى العلم
من ناقد باعين الدرايه ومدرك بالحس كل غايه
فهو الذي جاد بهذا السفر الفه للنفع رب الفخر
سرحت طرف الطرف منى فيه فخلت ماساقطه من فيه
كالدر لكن درر الصواب تبدو بنشر طي ذا الكتاب
بفتر بالدلائل المبرهنه وبالنصوص الغرر المعنونه
وبالحقيقي من المعقول وبالمجازى من المنقول
تلوح فيه حجج لوامع وهي التى سيوفها قواطع
اقسم بالله العظيم السامى وبالنبي المصطفي الهمامي

لقد شفانا الدهلوى اذ اتي بروضة الافكار انه الفتى
رنح اذبل صدا القلوب وذاح مافيها من اللغوب
جزاه افضل الجزا مولاه فانه الاواب والاواه
لازال في عز وفى اقبال ماغرد القمري في الاطلال

بعد ماسرح طرف الطرف الفاضل المحقق والعلامة المدقق مفتي البصرة الفيحاء عبد الوهاب الحجازى جاد علينا بهذا التحقيق دام علاه خير مانطق به الاحسان واحسن ما يتلفظ بالبيان حمد مبدع الاكوان على اتم نظام واتقان واشرف صلاة وازكى سلام على المرسل الى الانام لتبليغ الاحكام وسلاماً على آله الاعلام واصحابه مصابيح الظلام صلاة وسلاماً لايعتريهما انصرام مدى السنين والاعوام وبعد فقد نظرت الى هذه الرسالة التى بلغت بجودتها غاية الجزالة فرأيتها قد اشتملت على تحقيقات فائقة وتدقيقات جليلة رائقة روح المعاني من عباراتها تلوح وريح البيان من اشاراتها تفوح ردت على الدهرية بدلائل تفتخر بها الفضلاء الفحول وبراهين ترتضيها ارباب المنقول والمعقول كيف وقد اتت من انواع الحجج اعلاها ومن الاقيسة المنتجة اسناها واقواها فالله در مؤلفها العالم الفاضل النحرير الذي فاق اقرانه بكل تحقيق وتقرير ورقى الى اوج العلى بتأليفاته الجليلة وباجابتها حوى السبق بين الانام ذى الاخلاق الجميلة الصارم الهندي الشيخ عبد الله الدهلوى الصديقي لازال نافعاً بعلومه المسلمين ولا برح ناشرا فضله على المستعين بجاه سيد المرسلين وآله واصحابه اجمعين والحمد لله رب العالمين آمين .

بعد مااطلع على هذه الكتب الثلاثة حضرة الاستاذ الفاضل واللوذعي الكامل نابغة عصره. وفريد دهره. سبط الامام العلامة الشهير. الشيخ عليش الكبير تفضل علينا بهذا التقريظ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وفق من شاء للمدافعة عن العقائد الدينيه. بالبراهين القاطعة المرضيه. والصلاة والسلام على خاتم النبوة والرساله. الماحي بشريعته آثار الجهاله. وعلى أصحابه المؤيدين للدين. المتمسكين باليقين. (أما بعد) فان الكتب الثلاثة الفريدة في بابها. الكاشفة لنقابها. التي هي كتاب الدرة السنيه. في الرد على المادية واثبات النواميس الشرعيه. بالادلة العقليه. وهو كتاب موضوعه مهم جليل. وبحر عريض طويل. ومن الواجب البحث في هذا الموضوع ليظهر الصواب من الموضوع. والنظر بعين الانصاف. ليزول أثر الخلاف. وكتاب مسالك العرفان. في فتوح الرحمن. وهو أيضاً في مباحث مهمة يحتاج اليها الاريب. وينتفع بتحقيقها اللبيب. خصوصاً بحث النفس وبحث الرؤيا المناميه الذين هما من أغمض المباحث وأخفاها. وكتاب الانصاف في رفع الاعتساف. وهو في الرد على الامامية وغيرهم من أرباب التشيع والخلاف. من أهم شئ يرغب فيه العلماء. ويحيط بكنه مافيه الاذكياء. كيف لا وهذه الكتب المذكورة من نتايج افكار علامة بغداد. المنفرد بعلو الاسناد. الآتي من الابحاث بما لايمكن ان يأتي به الفحول. الجامع لغرائب المنقول والمعقول. نادرة الزمان. ووحيد الآوان. الشيخ عبد الله علاء الدين البغدادي الدهلوي الحنفي الصديقي شملنا الله واياه بلطفه الظاهر والخفي. ووفقه لخير العمل

وكاتبه عبد الرحمن عليش
الحنفي بالازهر

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU10163816

اعلان

﴿ من المطبعه العموميه بمصر ﴾

المطبعة العمومية بشارع عبد العزيز نمرو ١٨ امام سراي (علي باشاشريف) وما بين المحافظة والدائرة السنية ونظارة الاوقاف مستعدة لطبع كافة ما يطلب اليها من مطبوعات البنوكة والدوائر والمصالح بسائر اللغات كانكميلات والسراكى والقنتراتات والشركولاريات والدفاتر والبوالص والقسايم وكامل ما يلزم لمكاتب المحامين من دوسيه وحوافظ وتواكيل ومستعدة أيضاً لطبع الكتب الكبيرة المختافة القطع والكتب الصغيرة الدقيقة الحجم والجرائد السياسية والمجلات العلمية والاشعار والقصائد ودعوات الافراح والمناعى والكارت فيزيت وكل ذلك على نسق متقن ووضع محكم بحروف جميلة من سائر الاجناس وقد ورد اليها مؤخراً كمية وافرة من النقرش والحروف العربية والافرنجية وآلات الطبع والقطع والتخريم والتجليدوالتذهيب أما الاسعار ففى غايه المهاودة. ومن يشرفنا باشغاله يرَ مايسر خاطره باذن الله

كاتبه
اسكندر آصاف